نساء حول الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

الدكتور

بسام محمد حمامي

دار دانية للطباعة والنشر والتوزيع

نساء حول الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

نساء حول الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

الدكتور

بسام محمد حمامي

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار دانية للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق : الحجاز ص ب ٦٢٠٨ - هاتف ٢٢٥٢٢٦
بيروت : شارع الحمراء - ص ب ١١٣/٥٧٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا

سورة الأحزاب/٣٣/

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

اللهَ اللهَ في أصحابي.. لا تتخذوهم غرضاً بعدي.. فمن أحبهم فبحبي أحبهم

« أحمد والبخاري والترمذي »

الإهداء

إلى المرأة...

التي ترى الحياة موقفاً ورسالة وتربية

تبنى على علم وتأبى الجهالة...

إليك...

وأنا أرى ملامح الأصالة في أمي....

وأخواتي وزوجتي وبناتي....

أقدم ما جاء في هذا العمل

د. بسام محمد حمامي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله أشرف الكـائنـات .. المبعوث بـالهدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله ولو كره الكافرون ، وصل اللهم على آله وصحبه الطاهرين ، الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن هذا الدين ، حتى رفع الله بهم مناره ، وأعلى كلمته ، فاستحقوا بذلك رضوان الله عليهم أجمعين ..

أما بعد :

فإني تفكرت في موضـوع المرأة العربية والمسـلمة في عهد البعثة الرسـالية ، ووجدت أن الرجال قد أخذوا ساحات العلم كما ملؤوا ساحات القتال .. ولا يكاد المرء يجد للمرأة موضعاً في سياق الحديث عن تلك المرحلة .. وتساءلت : لماذا تغيب المرأة في دراســات المعاصرين عن ربطها بأحداث عصرها ..؟ فقلت في نفسي لعلها كانت خاملة مهملة في زوايا البيوت ، لا شأن لها بتربية الأجيال ، أو دفع المجاهدين والمناضلين إلى ساح القتال والفتح والجهاد بالبيان والسنان ، وكان ذلك حافزاً يطفح في نفسي حيناً .. ويختفي أحياناً ..

ولما قرأت كتاب الأستاذ الباحث خالد محمد خالد (رجال حول الرسول) وجدت نفسي تصبو إلى كتاب يحمل عنوان (نساء حول الرسول) .. وكان من أحد الإخوة أن أشار إلى هذا الموضوع ودعاني للكتابة فيه .

وشرعت بعون الله تعالى وفضله ألم شعثه من أمهات الكتب القديمة ، وأجمع أطرافاً منه من كتابات المعاصرين ، إلى أن وجدت كتاباً حديثاً يحمل اسم هذا العنوان للأستاذ الفاضل (محمود مهدي الإستنبولي) .. فقلت في نفسي ولها .. ها قد قام بهذه المهمة من هو أهل لها لأني أعلم خطورة البحث في موضوع المرأة وربطها بحياة أمتنا في حياة النهضة الأولى « عصر الجيل القرآني في تاريخ أمتنا » ولم يلتفت أحد إلى أن من أسباب هذه النهضة هو وعي المرأة العربية والأدلة كثيرة .. منها تلك الصحابية التي رأت زوجها يتخلف عن الاندفاع نحو مناد الجهاد .. فسألته : ما الذي يجعلك تقدم رِجْلاً وتؤخر أخرى ؟.. فقال لها : أخاف على أولادي الصغار فلايبقى لهم معين .. وكانت إجابتها داوية في اذان الزمان : اذهب فإنا نعهدك أكالاً ولا نعرفك رزاقاً !! إنما الرزق على رب العباد ..

ربما لم أشر إلى هذه الحادثة في هذا الكتاب ، ولكنها كانت في نفسي وخاطري وأنا أتقدم نحو هذا العمل .. ومما زادني رغبة واندفاعاً أن الأستاذ الباحث (الإستنبولي) لم يشأ على جلال علمه أن يذهب على نحو ما ذهبت ، فاختلفت بنا السبل وإن كان العنوان واحداً ، وربما كانت غايتنا واحدة .. فما أردناه من هذا البحث إلا أن نوقظ الهمم ونبين للناس أن الحضارة يوم تفجرت إنما كانت بيد المرأة شهاباً يتلظى وهي التي تقدم زوجها وولدها لخدمة الدعوة والفتح ، ولايزال في مسمع الأجيال صوت الصحابية الخنساء — رضي الله عنها — وهي تستقبل خبر استشهاد أولادها الأربعة : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم » .. هذه هي المرأة وهي تسهم ببناء مستقبل الأمة ، وتقف على عاطفتها ودمعها متحدية ومعلنة افلاس اليأس .

وربما كنا نرغب في لفت النظر إلى أن النهوض بهذه الأمة من جديد يحتاج منا إلى بناء المرأة .. وإلى تربيتها ودمجها بطموحات الأمة ، فإذا كانت ستبقى بعيدة

عن الأهداف .. فإن الأهداف .. ستظل بعيدة المنال تشبه الرؤى والأحلام ..

وفي الحديث عن الماضي لايخلو الأمر من الحديث عن الحاضر فما يُدْرَسُ التاريخ ولا المواقف إلا لأمر نحتاج إليه اليوم .. وإن كنا لاندعو إلى استئناف الحياة القديمة لأنها ما عادت صالحة في أيامنا هذه !!.. فإن المرء ينتفع بطرائق القدماء في بناء الإنسان .. ومن هنا كان اختيار البحث ، والاندفاع فيه ابتغاء التعريف بهؤلاء النسوة اللواتي سكت المؤرخون المعاصرون عن مجهودهن في البناء ما خلا كتبا تكاد تحصى على أصابع اليد الواحدة .. من ذلك ما قدمته الباحثة الدكتورة عائشة عبد الرحمن وما كتبه الشيخ خالد العك ــ حفظهم الله ــ وسواهما قليل من الكتاب ممن أفدنا من فيض علمهم ، ولكن رأينا في الجديد إفادة .. وأن للحق الواحد طرائق بعدد أنفاس الخلق .. فليس الموضوع منتهياً بما كتبنا ولا ينتهي بكتابة من يأتي بعدنا .. إنما هي رؤى وأنفاس جديدة نبذلها على طريقة البضاعة المزجاة ، لاندعي لها كمالاً ولاعصمة ، ولانزعم أنها آخر المطاف .. لكنها خطوة في الطريق ..

ومن عادة المؤلفين في مقدماتهم العلمية الصارمة أن يتحدثوا عن صعاب البحث ، وعن سبل تذليلها وإني قد وجدت عوناً من فريق من أهل الفضل أمثال الأستاذ الدكتور علي أبو زيد وسواه ممن أعانوا على إتمام هذا البحث ، فقدموا من الكتب ومن الرؤى ومن المجهودات ما جعلني أفرح لعطائهم وصحبتهم ــ جزاهم الله تعالى عنا كل خير ــ وهذا يجعلني أتقدم للحديث عن طريقة بناء الكتاب ..

فقد جعلته يتألف من مقدمة وفصول لم أشأ أن أعطيها صفة علمية صارمة ، فليست فصولاً ولا أبواباً وإنما هي محطات للبحث والرؤى والخواطر ولم أحاول أن

أكسر اندفاع العاطفة والنفس في تحليل الشخصية أو دراستها بالوقوف عند التاريخ الدقيق للواقعة ولابمجاهدة القلم للتحقق من هذا النسب أو ذاك ، لأن هؤلاء الصحابيات ـ رضوان الله عنهن ـ قد حُدّمن من جهة القدماء ، ولأن غاية الدراسة التصوير والتأثير أكثر منها في التحقيق ، وإن كنت لم أشأ أن أدعها خالية من مثل هذه المسائل ..

فهذا البحث يقف عند أمهات النبي أول ما يقف ، ويعجب بعض المتلقين من جمع الأم ، هل يمكن للمرء أن يولد لأكثر من امرأة ؟.. وقد كان ذلك مقصوداً مني لأني أرى في شخصية محمد صلى الله عليه وعلى وآله وسلم خلاصة لجهود مجموعة من النساء .. فأمه التي حملته (آمنة بنت وهب) وأمه التي أرضعته (حليمة السعدية) وأمه التي خدمته (بركة بنت ثعلبة) ، وأمه التي كرمته (فاطمة بنت أسد الهاشمية). هذا يعني أن أكثر من امرأة اشتركت في تربية الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وسلم .. وذلك مما يشير إلى أن تعلق الرسول العربي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمرأة لم يكن قائماً على شهوة ، وإنما كان قائماً على إدراك لرسالة المرأة في الحياة ، لعظيم تأثيرها في بناء النفس على أساس من المحبة .. ومن ثم فإن هذه الدراسة بإماءاتها الكثيرة تومئ إلى أسرار في تاريخ الدعوة تتعلق بالمرأة ومواقفها بالحياة ..

وفي طور آخر .. يقف بنا البحث عند بيت النبي صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ويدخل عالم أسرته باحثاً عن أزواجه وأسباب تعددهن التي تتراءى وراء عرض قصص النساء وزواجهن ، وقد عرض البحث لمن عرفن بأمهات المؤمنين وأغفل عن عمد أولئك النسوة اللواتي أبين أن يدخلن في هذا الباب ، فلم أشأ أن يخلدن في بيته بعد أن سرحن منه .

وجعلت إلى جوار نسائه ما ملكت يمينه غافلاً عما ملكت أيمان أزواجه .. ثم بحثت عن بناته رضوان الله عنهن ، وسرت في حياتهن أعيش في بيوتهن وأنصت إلى واقع الرسالة وأثرها في سيرهن .. وربما كان من حق فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن أقف مع الحسن والحسين أكثر مما وقفت .. بل أشرت ، ولكن الحديث مصروف إلى النساء وليس من شرطه الدخول في حياة الرجال إلا بمقدار ما يتصل بأمر النساء .

وبعد ذلك تناولت حياة عماته رضوان الله عنهن ، وما كان في حياتهن من أصداء تربطهن بأطوار الرسالة والبعثة ..

وتفرقت بنا السبل في بيوت الصحابيات ابتداء بالصحابية أم الفضل زوجة العباس عم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم واختتمت بعاتكة بنت زيد .. ولكل واحدة من الصحابيات الفاضلات اللواتي تخيرت حياتهن للبحث عالم فسيح أو ضيق باختلاف أحوالهن وتغيرها ..

بني هذا الاختيار على أسس : منها أن تكون الصحابية أو المرأة ممن لهن أثر واضح في الدعوة ، أو كان للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلام فيها .. فصلة المرأة بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي الحد الفاصل بين اختيارها وتركها ، ولكننا لم نحط - عن عمدٍ - بأعداد الصحابيات وهن كثر ، فكان لابد من الحذف والاصطفاء ، ومما جعلنا لانوغل في حياتهن كثيراً أن هذه تجربتنا الجديدة في الكتابة الرسالية .. ولعل آراء النقاد وأهل العلم تثقف هذه التجربة وتقوم ما اعوج منها ، وذلك بالنقد وفق الأصول الرسالية (إهداء العيوب سراً أو إذا شاء بعضهم أن يجعله نقداً مكتوباً في الصحف فله ذلك ، وإن كانت الأولى أجمل بأهل الخلق) ..

وبعد فإني ختمت البحث بمصادر قليلة توضح ما اتكأت عليه ، وما أخذته من كتب ، وأشرت إلى بعض أهل الفضل من غير أن أجعل أحداً منهم شريكاً لي في غلطي أو مسؤولاً عن تقصيري ..

وعذري أني اجتهدت .. فإن أصبت ففضل من الله ومنة .. وإن أخطأت فحسبي الله ونعم الوكيل ..

٦/ذي القعدة/١٤١٣هـ
٢٧/نيسان/١٩٩٣ م

المؤلف

❀ ❀

في رحاب المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم

الجنة تحت أقدام الأمهات

أمهات رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

آمنة بنت وهب «أمه والدة»
حليمة السعديّة «أمه رضاعة»
بركة بنت ثعلبة «أمه تربية»
فاطمة بنت أسد الهاشمية «أمه تكريماً»

آمنة بنت وهب

أم النبيّ

صلى الله عليه وآله وسلم

آمنة بنت وهب

أم النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

هذا صوت وحيدك النبي الأمي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يملأ القلوب على مر الآباد :

.... « *إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد* » .

ويحقر كبرياء الأباطرة والملوك، ويسمو بأمومتك إلى أفق لا يطوله ترف الغنى ولا شموخ الجاه ، إذ يجعل منك أيتها الأم الوديعة المتواضعة ، الأم الطيبة الرؤوم ، مبعث أنسه ، وروح إنسانيته وآية محبته ، وموضع إجلاله واعتزازه(١) ...

هو أبداً مجد الأمومة الذي خلد حاملات الحياة على الدهر ، وصانعات التاريخ منذ الأزل وإلى الأبد ، وقد توَّجلكِ وحيدكِ العزيز بتاج سماوي من هذا المجد الأزلي الأبدي .

---

(١) سيدات بيت النبوة (الدكتورة عائشة عبد الرحمن) ــ دار الكتاب العربي ــ ص /٢١/ .

هي خير امرأة في قريش نسباً وموضعاً .

المباركة ، أم المصطفى آخر الأنبياء والرسل ، وصاحب الرسالة المنزلة من السماء ، الأم التي أحيطت بالبشائر بأن ذكرها باقٍ إلى الأبد ..

الطاهرة المشرفة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر (١) .

بنت سيد بني زهرة نسباً وشرفاً ..

أمها : لَبرة بنت عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر (٢) .

ولدت في منتصف القرن السادس الميلادي من أسرة تعتبر من أشرف القبائل العربية وأضمنها وأشرفها سلالة (٣) .

وهذا الشرف الذي يعتز به الرسول ﷺ قائلاً : « ***لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة ، إلى الأرحام الطاهرة ، مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما*** » .

خلال الأفراح التي دامت ثلاثة أيام ، تزوج عبد الله بن عبد المطلب من

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ــ إحياء التراث العربي (١٥٦/١) .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ــ دار إحياء التراث العربي (١٥٧/١) .
(٣) المئة الأوائل من النساء/ دار الحكمة ــ ص ٣١ .

آمنة بنت وهب أم خاتم النبيين ، وفي الليلة الأولى أفاقت مرتاعة على رؤيا جاءتها في النوم ، وحدثت عبد الله بأنها رأت كأنَّ شعاعاً من النور ينبثق من كيانها اللطيف ، فيضيء الدنيا من حولها ، حتى لكأنها ترى به قصور بصرى في أرض الشام . وسمعت هاتفاً يهتف بها : (إنكِ قد حملت بسيدِ هذه الأمة) .

وكانت آمنة قد تذكرت أن كاهنة قريش (سوداء بنت زهرة الكلابية) ، قد قالت لنبي زهرة من قبل ، إن فيكم نذيرة أو تلد نذيراً ، وحين عرضوا عليها بناتهم ، أشارت إلى آمنة .

كما تذكر عبد الله أن بنت نوفل بن أسد القرشية ، أخت ورقة بن نوفل التي عرضت نفسها على عبد الله قبل اقترانه بآمنة فرفض ، قد رأته يوم عرسه فأعرضت عنه ، فحين سألها عن السبب ، أجابت : فارقك النور الذي كان معك ، فليس لي بك اليوم حاجة .

قضى عبد الله عشرة أيام مع آمنة ، ثم التحق بالقافلة المتوجهة شمالاً نحو بلاد الشام ، فخافت آمنة وارتعشت فطمأنها وانتزع نفسه من بين يديها ، بينما كان القلق والتوجس يفترس أعصابها .

بعد شهر من غياب زوجها، أحست بالحمل ودب بها الشوق إليه ، وودت لو طارت إليه بالبشرى ، وظلت تعد الأيام بطيئة حتى جاء وقت العودة ، فوقفت في الدار تنتظر دخول عبد الله ، وتنتظر جاريتها أم أيمن بالبشرى ، لكن ...، دخل والدها بصحبة عبد المطلب ، وراحا يطلبان منها الصبر والدعاء ، فقد تخلف عبد الله عند أخواله في يثرب إثر مرضٍ ألمَّ به .

بعد عدة أيام وصل خبر وفاة عبد الله ودفنه في يثرب ، وهو لايزال عروساً

لم تكتحل عيناه برؤية زوجته مرة ثانية ، ولم يتجاوز عمره ثمانية عشر عاماً ، وحلت الفاجعة الكبرى عند آمنة ، وتفرع الحزن والألم بداخلها إلى درجة لا تطاق .

... وجاءها المخاض أوان السحر ليلة الاثنين من ربيع الأول في عام الفيل ، كانت وحيدة وخائفة ، لكنها ما لبثت أن شعرت بنور يغمر دنياها ، وبدا لها كأن جميع النساء يحطن بمضجعها ، وقد خيل إليها أنهن من بنات هاشم ، ثم أدركت أنهن أطياف بينهن مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون ، وهاجر أم إسماعيل ، وحين انبثق الفجر ، كانت آمنة قد وضعت طفلها محاطاً بالنور من كل جانب .

بعد وقت قصير أرسلت آمنة مولودها إلى البادية ليتم رضاعه ، فغاب عنها أكثر من عامين ، وحين عاد بدأت تحسن تربيته وتسبغ عليه كل عنايتها وحنانها وهو ينمو بسرعة حتى بدت عليه علائم الرجل العظيم وهو في سن السادسة .

وفي مكان بين مكة والمدينة،بين بيتها وقبر زوجها ، وسط الضياع والصحراء والحرارة الملتهبة ، هبت عاصفة محرقة عاتية ، فظلت تكافح أرتال الرمال وهوج الرياح ووعورة المسالك حتى أصابها الإعياء الشديد ، فأقامت في مكانها وأدركت أن أجلها قد أصبح قريباً ومحتوماً ، فتشبثت بطفلها الوحيد ، تعانقه بلهفة ولوعة أمٍ تعشق الدنيا في وجه طفلها البريء ، ودموعها تنهمر من عينيها مدرارة وسخية ، والطفل يناديها ويشجعها ، وفجأة تراخت ذراعاها ، وخفت بريق عينيها ، وقالت بصوت يحتضر (كل حي ميت ، وكل جديد بال ، وكل كبير يفنى ، وأنا ميتة وذكري باقٍ ، فقد تركت خيراً وولدت طهراً) .

وفي هنيهة لامست أم صاحب الرسالة ، صفحة الوجود والعدم ، ها هي العاصفة الهوجاء قد هدأت ، وحل الموت والصمت والسكون ، لايعكره سوى بكاء طفل مفجوع ، ينحني فوق جثة أمه في العراء يناديها ... ولايسمع سوى الصمت الموحش ، وكل شيء من حوله تلفه رهبة الموت .

وتتسارع الأيام والسنون ...

وبعد أربعة وثلاثين عاماً ، دخلت آمنة بنت وهب سجل الخالدين كأمٍ للنبي العربي الأمي محمد ﷺ ..

حليمة السعدية

أمٌّ بعد أمٍّ

مرضعة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

حليمة السعدية

أمّ بعد أمّ

مرضعة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ ﴾[1]

وقال رسول الله ﷺ :

ـ « *أنا أعربكم .. أنا قرشيٌّ ..واسْتُرْضِعْتُ في بني سعد بن بكر* » ..

(١) سورة النساء آية (٢٣) .

وقد روى أبو داود في سننه عن أبي الطفيل بن عامر بن واتلة الكناني قال :

ــ رأيت النبي ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة ، وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور ، إذ أقبلت امرأة دنت إلى النبي ﷺ ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه .. فقلت : من هي ؟ فقالوا : هذه أمه التي أرضعته[1] ..

حليمة السعدية : الفاضلة الطيبة ، الحاضنة المرضعة ، من كسبت شرف أمومة رسول الله ﷺ برضاعته ..

حليمة بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة ابن قبيصة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن[2]..

وكانت حليمة السعدية متزوجة من الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان بن ناصرة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن[3] ..

ونظرت آمنة إلى وليدها في حب شديد .. إنها تحاول جاهدة أن تلقمه ثديها ، ولكن الوليد أقفل فمه .. فانتابها خوف على حبيبها ، ودار بخلدها أنه لم

(١) سنن أبي داوود ، كتاب الأدب .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٦٠) .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٦١) .

يرضع لجفاف لبنها.. فقد كانت وفاة زوجها عبد الله ذات تأثير كبير جداً فيها فقد ذهب لبنها من شدة حزنها عليه ..

ومضت الليلة الثانية .. وآمنة ساهرة إلى جوار ابنها ، لم تغمض لها عين .. إن وليدها قد رفع رأسه للسماء وهو ينظر للقمر كأنه يناجيه ، قد كان مفتوح العينين ، لم يظهر على وجهه الذهول .. بل تترقرق الحياةِ في محياه ، وإن لم يعرف الغذاء طريقه إلى جوفه ، لكأنما كان منذ مولده يفضل غذاء الروح على غذاء الجسد .. ويقدم ضرورة النفس على ضرورة الجسد ..

وتنهمر الدموع من عيني الأم الحنون على وليدها شفقة ورحمة .. أيعيش ابنها يومين دون أن يطعم ؟.. دون أن يدخل جوفه شيء ؟.. وحاولت ثانية أن تلقمه ثديها إلا أنه قد أغلق فمه رافضاً الرضاعة ..

وفي الصباح جاءت ثويبة مولاة أبي لهب ، وما أن أعطته ثديها حتى أخذه وراح يرضع منه .. فتهللت أسارير آمنة بالسرور وانشرح صدرها ، وطفرت إلى مآقيها العبرات من الفرح .. وكانت ثويبة قد أرضعت من قبله أيضاً عمه حمزة بن عبد المطلب(١) .

وفي اليوم الثامن لمولد سيدي خير البشر عليه أفضل الصلاة والسلام، قدمت إلى مكة عشر نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن بها الرضعاء .. وقد كانت من عادة أهل مكة أنهم يسترضعون لأولادهم نساء البادية ، طلباً للصحة ، وطلباً للفصاحة .. لذلك قال رسول الله ﷺ :

---

(١) راجع عيون الأثر لابن سيد الناس (٣٢/١) ، والاستيعاب لابن عبد البر (٣٧٠/١) ، وفي السيرة الحلبية (٨٥/١) .

_ **«أنا أفصح من نطق الضاد.. بيد أني من قريش، واسترضعت من بني سعد» ..**

وقد كان من بين النسوة اللاتي وفدن إلى مكة يلتمسن الرضعاء، حليمة السعدية وكان بصحبتها زوجها الحارث وابنها الصغير عبد الله بن الحارث ..

ولنستمع إلى حليمة السعدية وهي تروي لنا كيف أرضعت رسول الله ﷺ، فتقول[1]:

_ كان ذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً .. فخرجت على أتان لي قمراء ومعنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة[2] .. وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه ..

وقدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ، فتأباه، إذ قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم؟.. وما عسى أن تصنع أمه وجده؟.. فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي (زوجها): والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه .. قال:

_ لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ..

قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل

(١) راجع ما ذكر في السيرة النبوية لابن هشام (١/١٦١ _ ١٦٤).

(٢) قمراء: هو بيان شيء يميل فيه إلى الخضرة. والشارف: الناقة المسنة. ما تبضُّ بقطرة: أي ما تعطي شيء من لبنها.

عليه ثدياي بما شاء من لبن[1] .. فشرب حتى روي ، وشرب معه أخوه حتى روي ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها الحافل ، فحلب منها ما شرب ، وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً ، فبتنا بخير ليلة ..

قالت : يقول صواحبي حين أصبحنا : أتعلمين يا حليمة ؟.. لقد أخذت نسمة مباركة..

فقلت : والله لأرجو ذلك ..

وتتابع حليمة حديثها ، فتقول :

ـ ثم خرجنا وركبت أنا أتاني .. وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حُمرِهِم، حتى إن صواحبي ليقلن لي:

ـ يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك ، أربعي (انتظري) علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ..

فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهي هي ، فيقلن :

والله إن لها لشأناً ..

ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسانٌ قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم :

---

(١) وقد كان الرسول ﷺ لايقبل الرضاعة من حليمة إلى من ثدي واحد ، وكانت تعطيه الثدي الآخر فيعرض عنه ، وكأنه ﷺ يعلم بأنه معه من يشاركه في الرضاع فيترك له الثدي الآخر .. (الروض الأنف) .

ـــ ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ..

فتروح أغنامهم جياعاً ما تبضُّ بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لبناً .. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفَصلَتُهُ ، وكان يشبُّ شباباً لا يشبُّهُ الغلمان ، فلم يبلغ سنتين حتى كان غلاماً جفراً (شديداً) .

وتتابع قائلة :

ـــ فقدمنا به على أُمِّهِ ونحن أحرص شيءٍ على مكثهِ فينا ، لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أُمَّهُ .. وقلت لها :

ـــ لو تركت بنيَّ عندي حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وباء مكة ؟..

ولم نزلْ بها حتى ردته معنا ..

وسارت حليمة وزوجها الحارث بصحبة ولدهما بالرضاعة عليه الصلاة والسلام .. حتى خرجوا من دار آمنة بنت وهب ، وهي ترنو إليهم خافقة القلب .. دامعة العين ، فقد جاء ولدها محمد ليهيج الذكريات ويحرك العواطف ، ثم يذهب مخلفاً في الدار التي بدأت تنبض بالحب والحياة ، فراغاً وجفافاً ووحشة ..

وكان هذا الفراق.. أول حزن أحسه الطفل الصغير وما أكثر الأحزان التي سيتحملها صابراً .. صاحب القلب الكبير ..

وعادت حليمة بالطفل المبارك إلى أرض هوازن ، وقلبها يرقص طرباً بين جنبيها ، فقد كانت حريصة على أن تعود به بعد أن أحبته من كل جوارحها .. وكذلك زوجها الحارث كان سعيداً برؤيته لما كان يرى من بركته ، فقد أصبح التوفيق حليفهم مذ ذهبوا إلى مكة يلتمسون الرضعاء وعادوا به ﷺ ..

ولم يمض على حليمة بضعة أشهر بصحبة محمد ﷺ ، حتى عادت من تلقاء نفسها بالابن المبارك إلى أمه آمنة وهي قلقة عليه ..

واستقبلته أمه آمنة بكل جوارحها .. وضمته بين ذراعيها بحنان وعطف ، ولكن لم تذهب بعيدة بفرحتها دون أن تعرف سبب عودة حليمة به ..

فقالت والدته آمنة تسأل حليمة :

ــ ما أقدمكِ بهِ ؟.. وقد كنت حريصةً عليه .. وعلى مكثهِ عندكِ ..

فقصت حليمة سبب عودتها ، فقالت[1] :

ــ رجعنا بهِ .. فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بَهْمٍ[2] لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه مسرعاً فقال لي ولأبيه :

ــ ذاك أخي القرشي .. قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه ، فشقَّا بطنهِ ، فهما يسوطانه (يضربانه) .

فخرجت أنا وزوجي نحوه .. فوجدناه قائماً منتقعاً بوجهُهُ .. فالتزمتُهُ والتزمه أبوه .. فقلنا له :

ــ مالك يا بني ؟.

فقال ﷺ :

ــ جاءلي رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاني .. وشقا بطني .. فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو ..

تقول حليمة :

ــ فرجعنا به إلى خبائنا ..

وقال لي أبوه (بالرضاع) :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١٦٤/١ ــ ١٦٥) .

(٢) البهم : صغار الغنم والماشية ..

ـــ يا حليمـة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك بهِ ..

فاحتملناه إليك ، وهذا هو أمامكِ ..

قالت آمنة :

ـــ يا حليمة : أفتخوفت عليه الشيطان ؟

ـــ نعم ..

ـــ كلا ، واللهما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبُنيَّ لشأناً ، أفلا أخبرك خبره ..

ـــ بلى !..

قالت آمنة :

ـــ رأيت حين حملتُ به أنه خرج مني نورٌ أضاءَ لي قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قطٌّ كان أخف عليّ ولا ايسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضِعٌ يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء .. دعيه وانطلقي راشدةً ..

وودعت حليمة الطفل المبارك لدى أمه آمنة ، والدموع تنهمر من عينيها غزيرة لفراقه ﷺ ..

وتذكر الروايات بأن لرسول الله ﷺ وقفةً كريمة مع قبيلة هوازن وذلك بعد عودته منتصراً بإذن الله لمن غزوة الطـائف غانماً ومعه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء .. وكذلك من الإبل والشياه مالا يعلم عددهم ..

وكانت وقفته الكريمة عليه الصـلاة والسـلام ، حين أتاه وفد هوازن ممن أسلموا فقال قائلهم :

ـــ يا رسول الله .. إنما في الحظائر عماتكَ وخالاتكَ وحواضنكَ ..

فدخل طلبهم هذا قلب رسول الله ﷺ الكبير .. واستجاب لهم سريعاً لهذه الشفاعة بالأم الكريمة (حليمة السعدية) التي أرضعته ..

فقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن :

ـــ « ***أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم .. وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ، في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ..*** » .

فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ، قام رجال هوازن .. وتكلموا بالذي أمرهم به رسول الله ﷺ ..

فقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام :

ـــ « ***أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم*** » ..

فقال المهاجرون :

ـــ وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ..

وقال الأنصار :

ـــ وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ..

فردوا لهوازن أبناءهم ونساءهم ، وذلك اعترافاً منه ﷺ لأمه التي أرضعته ، وإجلاله ﷺ التي حصلت من تلك الرضاعة[1] ..

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٨٨ ـــ ٤٩٠) .

الصحابية

بركة بنت ثعلبة

أم أيمن

مربية رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

الصحابية

بركة بنت ثعلبة

أم أيمن

مربية رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

قال رسول الله ﷺ :

ـــ **« أمُّ أيمن .. أمي بعد أمي .. »** .

أم أيمن .. الناحبة الباكية ، الصائمة القائمة ، المهاجرة الماشية ، قد سقاها الله من غير راوية ، شربة سماوية كانت لها شافية كافية ..

تقول أم أيمن رضي الله عنها :

ـــ بات رسول الله ﷺ في البيت ، فقام من الليل فبال في فخارة ، فقمت وأنا عطشى .. لم أشعر ما في الفخارة ، فشربت ما فيها ..

فلما أصبحنا ، قال لي رسول الله ﷺ :

ـــ **« يا أم ايمن أهريقي ما في الفخارة »** ..

فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق شربت ما فيها.

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال :

ـ « ***أما إنه لا يتجعن بطنكِ بعده أبداً*** »[1]...

إنها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمر بن النعمان الحبشية[2] ..

قد تزوجها عبيد بن الحارث الخزرجي ، بعد أن أعتقها رسول الله ﷺ ، فولدت له : أيمن ،ولولدها أيمن بن عبيد بن الحارث الخزرجي رضي الله عنه شأن كبير في الإسلام فقد هاجر وقاتل وجاهد مع رسول الله ﷺ وقد استشهد يوم حنين ..

كانت أم أيمن من موالي عبد الله بن عبد المطلب والد النبي محمد ﷺ ، فلما ولدت السيدة آمنة رسول الله ﷺ بعدما توفى أباه، أخذته أم أيمن واحتضنته عندها حتى كبر .. وقد أحسنت تربيته وأخلصت إليه ..

ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول :

ـ « ***أم أيمن ، أمي بعد أمي*** » ..

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٦٧/٢ ـ ٦٨) ، والإصابة لابن حجر (٧٧/١٣) وطبقات ابن سعد (٢٢٤/٨) .

(٢) الاصابة لابن حجر (١٧٧/١٣ ـ ١٧٨) وطبقات ابن سعد (٢٢٣/٨ ـ ٢٢٤) .

وكان يناديها عليه الصلاة والسلام إذ يقول :

ـــ « *يا أُمَّه* »[1]...

وقد أعتقهـا رسـول الله ﷺ بعد أن تزوج السيدة خديجة ، وفاءً لها وتقديراً لإخلاصها ومعروفها في تربيته ..

وقد أعلنت إسلامها من بداية الدعوة فحسن إسلامها ، فكانت من أوائل النسوة اللاتي هاجرن إلى الحبشة وإلى المدينة ، وبايعن رسول الله ﷺ[2] ..

هذا وقد عانت أم أيمن الكثير الكثير من أذى المشركين واضطهادهم لها .. وذلك بسبب إسلامها المبكر ، وقد ثبتها الله عز وجل على إيمانها وإسلامها ، فلم تزعزعها الخطوب ولا المحن ..

وعندما اشتد أذى المشركين لها ولمن أسلم من حولها ، أذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى أرض الحبشـة ، فكانت ممن هاجرن فراراً بدينها من ظلم المشركين وإيذائهم .. وعندما عادت إلى مكة المكرمة ، آثرت على نفسها ، وصبرت على الشدة والبلاء والقلة والتعذيب ، إلى أن جاء الفرج من الله تعالى ، فهاجرت إلى المدينة المنورة بصحبة من هاجر مع النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

وقد كانت يوم هجرتها إلى المدينة المنورة ، صائمة قائمة ، مهاجرة ماشية ، لم يكن معها شيء من الزاد أو الشراب ، فأجهدها العطش كثيراً لشدة الحر في الصحراء ، ولما غابت الشمس وحانت ساعة الإفطار ... منحها الله تعالى كرامة عظيمة لم يحظ بها سواها ممن هاجرن بصحبتها، إذ دُلي عليها من السماء دلو فيه

---

(١) الإصابة لابن حجر (١٣/١٧٧ ـــ ١٧٨) وطبقات ابن سعد (٨/٢٢٣ ـــ ٢٢٤) . والحاكم في المستدرك (٤/٦٣) .

(٢) أسد الغابة لابن الأثير (٥/٥٦٧) .

ماء مغطى برشام أبيض ، فأخذته .. وشربت منه حتى رويت ..

تقول أم أيمن رضي الله عنها بعد ذلك :

ــ ما أصابني بعد ذلك عطش .. ولقد تعرضت بالصوم في الهواجر فما عطشت ..

وتقول أيضاً :

ــ كنت أطوف في الشمس كي أعطش ، فما عطشت بعدُ[1] ..

وكان لها المكانة الخاصة عند رسول الله ﷺ ، إذ إنها كانت بقية أهله الباقية له ، مؤكداً ذلك عندما قال عليه الصلاة والسلام لما نظر إليها :

ــ *« هذه بقية أهل بيتي »*[2] ..

وقد بشرها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بالمكانة العظمى في الجنة .. حين قال :

ــ *« من سَرَّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن »*[3] ..

وعندما سمع هذا (زيد بن حارثة) رضي الله عنه ، سرعان ما تقدم لخطبتها من رسول الله ﷺ ، وعقد عليها ، فولدت له (أسامة بن زيد)[4] ..

وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يلاطفها ويمازحها وكأنها أمه ، وقد جاءته ذات مرة فقالت له : يا رسول الله ، احملني .

---

(١) الإصابة لابن حجر (١٣ /١٧٨) ، وطبقات ابن سعد (٨/٢٢٤) ..

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٢٢٣) .

(٣) الإصابة لابن حجر (١٣/١٧٨) ، وطبقات ابن سعد (٨/٢٣) ، وحلية الأولياء (٢/٦٨) .

(٤) الإصابة لابن حجر (١٣/١٧٨) وطبقات ابن سعد (٨/٢٢٣) ، والحاكم في المستدرك (٤/٦٣)

فقال لها رسول الله مداعباً :

ـــ « *أحملك على ولد الناقة* » .

فقالت : يا رسول الله ، إنه لا يطيقني ولا أريده .

فقال ﷺ :

ـــ « *لا أحملك إلا على ولد الناقة* » .

فقد كان رسول الله ﷺ يداعبها بأقواله إذ كان لايقول إلا حقاً ، فالإبل كلها ولد النوق[1] ..

وقد كانت أم أيمن رضي الله عنها عسراء اللسان ، كثيراً ما تختصر من أحرف بعض الكلمات ، ففي يوم حنين ، أخذت تدعي للمسلمين بالعزة والنصر ، فقالت :

ـــ سبت الله أقدامكم .

فقال لها النبي ﷺ :

ـــ « *اسكتي يا أم أيمن فإنكِ عسراء اللسان* »[2] ..

وكذلك دخلت على رسول الله ﷺ يوماً ، فقالت :

ـــ سلام لا عليكم .

فرخص لها رسول الله ﷺ أن تقول السلام[3] ..

وإلى جانب كل هذه الصفات الحميدة ، وكرامتها الكبيرة لدى الله عز

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/٢٢٤) .

(٢و٣) طبقات ابن سعد (٨/٢٢٤ ـــ ٢٢٥) .

وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام ، ورغم كبر سنها الذي بدأ يوهن بصحتها ، فقد أبت رضي الله عنها إلا أن تشارك أبطال الإسلام في محاربة أعداء الله عز وجل ، إعلاءً لكلمته تعالى . فقد شهدت أحداً ، مع النبي ﷺ ، وساهمت مع النسوة في سقاية الماء ومداواة الجرحى .. وكذلك شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ وشاركت على قدر استطاعتها[1] ..

ولما توفي رسول الله ﷺ ، قال أبو بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب : انطلق بنا إلى أم أيمن لنخفف عنها من أحزانها على رسول الله ، ونزورها كما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يفعل ، فلما انتهيا إليها ، بكت .. فقالا لها :

ــ ما يبكيك ؟.. إن ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ ..

قالت رضي الله عنها :

ــ ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ..

فهيجتهما على البكاء ، فجعلت تبكي .. ويبكيان معها[2]..

وعندما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بكت أم أيمن رضي الله عنها ، وقالت :

ــ اليوم وهى الإسلام[3] .

---

(١) نفسه .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٤) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦٣٥) ، وفي حلية الأولياء (٢/٦٨) ، وطبقات ابن سعد (٨/٢٢٦) .. وقد أخرجوه كلهم من طريق سليمان بن المغيرة ابن ثابت ، أنه عن أنس بن مالك قال :... الحديث .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/٢٢٦) بسند صحيح ، وعن الحافظ في الإصابة (٨/٢١٤) .

وأسلمت روحها الطاهرة للباري عز وجل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي صلى عليها ، ثم واراها مثواها في البقيع الشريف . وكان ذلك بعد مقتل عمر بن الخطاب بعشرين يوماً ..

فرحم الله تعالى أم أيمن حاضنة سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، الطاهرة المهاجرة الماشية ، التي منحها الله كرامة عظيمة وسقاها شراباً سماوياً كان لها الشفاء والمانع من العطش ..

الصحابية

فاطمة بنت أسد

الهاشمية

مكرمة اليتيم

صلى الله عليه وآله وسلم

الصحابية

فاطمة بنت أسد

الهاشمية

يقول عنها النبي ﷺ :

- « ... *إنه لم يكنْ بعدَ أبي طالب أبرَّ بي منها ، إنما ألبستُها قميصي لتكسى من حُللِ الجنّةِ ، واضطجعتُ في قبرها ليهون عليها عذاب القبر* .. »...

فاطمة بنت أسد : الصحابية الجليلة ، المبايعة المؤمنة ، المهاجرة إلى رسول الله ﷺ هجرة الإيمان ، داعية راضية صابرة ..

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية ..
وفاطمة رضي اللهعنها .. زوجة عم الرسول ﷺ أبي طالب..
وأم ربيب النبي عليه الصلاة والسلام وابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ..

وهي أم إخوة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وأم هانئ وجمانة ، وريطة بن أبي طالب[1] ..

وفاطمة بنت أسد رضي الله عنها قد أشرفت على تربية رسول الله ﷺ حين كان في عهدة عمه أبي طالب ، فرعته أحسن مما ترعى أولادها.. وكانت بارة به محافظة عليه ، طيلة كفالة عمه أبي طالب له !..

كان لفاطمة بنت أسد رضي اللهعنها الدور الرئيسي في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد كان الطفل اليتيم الذي تنتقل رعايته في بني هاشم .. فبعد أن ماتت أمه آمنة كفله جده عبد المطلب ، وبعد أن توفي جده .. انتقلت وصايته إلى عمه أبي طالب ، وعاش اليتيم بين أبناء عمه ..

وكانت زوجة عمه فاطمة ، تشعر باليتم الذي يعانيه هذا الطفل الفقير ، فراحت تبذل أقصى جهدها كي لاتجعله يشعر بأي أرق أو غربة أو فارق مع أبنائها ،بل كانت تعطيه الرعاية الخاصة ، حتى كانت تفضله في بعض الأوقات على أبنائها ، وقد بقي حسن معاملتها هذه مثالاً للنبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم .. فلم يَنْسَى المعروف الذي قدمته له ، ولا الخير التي كانت تجزيه له .. بل أبرها كأمه تماماً ، وحفظ لها صنيعها .. وبقي يذكرها حتى ماتت .. فأكرم مثواها كما يكرم أمه تماماً ، ودعى لها بجنان الخلد ..

فاطمة بنت أسد .. صاحبة الأخلاق الحميدة ، والإيمان العميق .. والشخصية الفذة القوية .. وهذا ما تركته لأبنائها ، وخاصة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ..

---

(١) راجع أسد الغابة لابن الأثير (٥/٥١٧) ، وطبقات ابن سعد (٨/٢٢٢) ،والإصابة لابن حجر (٧٣/٧٧) .

فبعد وفاة زوجها أبي طالب .. التزمت في منزلها تمارس دورها الصحيح في تربية أبنائها تربية صالحة .. إلى أن دخلت في دين الإسلام ، وأنار الله قلبها نوراً بدين الحق والإيمان .. فبايعت الرسول الكريم ﷺ على الإيمان بالله تعالى .. وهاجرت مع من هاجر إلى المدينة المنورة .. داعية مكافحة في سبيل إعلاء كلمة اللهوتوطيد دعائم الإسلام ..

وكان الرسول ﷺ يعتبرها من كبار أهله وأعيان قومه .. وكان يحفظ لها في نفسه صورة الإخلاص والمروءة والوفاء بالعهد .. حتى كان يزورها دوماً ويقيل في بيتها بعض الوقت ..

وأقامت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها في المدينة المنورة مهاجرة في سبيل دينها وعقيدتها .. بصحبة رسول الله ﷺ ، ومن حولها أولادها أبناء أبي طالب ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد والغزوات ، غير جعفر بن أبي طالب ، حيث كان مهاجراً في الحبشة ..

ولما خطب علي بن أبي طالب كرم اللهوجهه ، ابنة رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء سُرَّت بذلك أمه سروراً عظيماً ، فلما أصبحت في داره زوجة مكرمة معززة.. خشي علي رضي الله عنه أن يحصل خلاف بينها وبين أمه ، وهو الرجل البار بأمه ، فقضى بينهما وكان من أقضى الناس وأعدلهم .. فقال كرم اللهوجهه لأمه :

ـــ أكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء ، والذهاب في الحاجة ، وتكفيكِ الداخِلَ ، الطحن والعجن[1]..

وبذلك ضمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رضى أمه وزوجته معاً .

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٥/٥١٧) .

وعندما توفيت رضي اللهعنها .. ماتت في المدينة المنورة وخلال حياة الرسول ﷺ ، فقد روي عن علي بن الحسين أنه قال :

ـ حدثني أبي قال :

سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، يقول :

ـ لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم ، كفنها رسول الله ﷺ في قميصه ، وصلى عليها ، وكبر عليها سبعين تكبيرة ، ونزل في قبرها، فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها ، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان ، وكان قد جثا في قبرها .

وفي رواية أخرى :

ـ أنه اضطجع معها في قبرها ، وحين ذهب اقترب منه عمر بن الخطاب رضي اللهعنه .. وقال له متسائلاً :

ـ يا رسول الله .. رأيتك تفعل لهذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد من قبل :

فقال ﷺ :

ـ **« يا عمر .. إن هذه المرأة كانت بمنزلة أمي التي ولدتني ، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة .. وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا .. فأعود به »** .

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .. أنه قال :

ـ أن رسول الله ﷺ كفن أُمَّهُ فاطمة بنت أسد في قميصه ، واضطجع في قبرها ، وجزاها خيراً ، فقالوا :

ـ يا رسول الله .. ما رأيناك صنعت بأحدٍ ما صنعت بهذه ؟..

فقال رسول الله ﷺ :

ـ « *إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرَّ بي منها !!.. إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُلَلِ الجنّةِ .. واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر* »[1]..

كانت رضي الله عنها فاطمة بنت أسد ، من أقرب المقربات لحياة الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم .. وكانت مصدراً صحيحاً للنقل عنه والرواية له .. وقد حفظت عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث .. وروت عنه ﷺ ستة وأربعين حديثاً ، وأخرج لها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه ..

فرحم الله الصحابية الجليلة فاطمة بنت أسد الهاشمية .. صاحبة الجود والعطاء والكرم .. ومربية الرسول اليتيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. وأحسن الله مثواها .. ورضي عنها وأرضاها ...

---

(١) من رواية ابن عباس ، في أسد الغابة لابن الأثير (٥/٥١٧) ، وذكر في الإصابة لابن حجر (١٣/٧٨) .

في بيت المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم

أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة

الخالدات

أمهات المؤمنين

رضوان الله عليهن

الطاهرة أم المؤمنين

خديجة بنت خويلد

رضي الله عنها

سيدة نساء قريش

الطاهرة أم المؤمنين

خديجة بنت خويلد

رضي الله عنها

سيدة نساء قريش

عندما فتحت أبواب الحرم في مكة ، تدفقت النسوة إلى البيت العتيق ، دخلت خديجة ومن حولها إماؤها إلى الكعبة ترفل في ثياب من حرير يتألق وجهها بالنور ، دخلت من باب إبراهيم تحس إحساساً غامضاً أن القدر يخبئ لها شيئاً رائعاً لاتدري ما هو ولكنها تستشعر أن فيه تحقيق الآمال العريضة التي باتت تتخايل لها من يقظتها ومنامها .

« وطافت بالبيت سبعاً ثم وقفت عند الملتزم بين الحجر الأسود والكعبة وراحت تدعو الله وتبتهل إليه . إنها لم تسأله لأول مرة أن يبارك لها في تجارتها بل كانت تسأله في حرارة وصدق أن يحقق لها أحلامها »[1] .

---

(١) راجع محمد رسول الله والذين معه (عبد الحميد السحار) جـ ٨/٢٢ .

الطاهرة الشريفة ، سيدة قريش .. وسيدة نساء العالمين في زمانها ، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة(١).

ولدت في بيت مجدٍ وسؤددٍ قبل عام الفيل بخمسة عشر عاماً (عام ٦٨ قبـل الهجرة) تقريباً ، ونشـأت في بيت من البيوت الشريفة ، فغدت امرأة عاقلة جليـلة ، وقد اشتهرت بالحزم والعقـل ، والأدب الجم ، لذلك كانت محط أنظار كبار الرجال من قومها .

تزوجت من أبي هالة بن زرارة التيمي فأنجبت منه هالة وهنداً(٢)، ولما مات أبو هالة تزوجت من عتيق بن عابد بن عبد الله المخزومي(٣) فلبثت معه فترة من الزمن ثم افترقا ...

---

(١) راجع السـيرة النبـوية لابن هشـام (١/١٨٧) . والاستيعـاب (٤/١٩١٧) . وتاريخ الطبري (٣/١٧٥) . ونسب قريش (٣٣٠) . والمحبر ١٢ ــ ١٨ .

(٢) هالة بن زرارة التيمي ، مات في الجاهلية وقد ولدت له خديجة هنداً الصحابي راوي حديث صفة النبي ﷺ ، شهد بدراً وأحد . وكان هند فصيحاً بليغاً وصافاً . وكان يقول : أنا أكرم الناس أباً وأماً وأخاً وأختاً ، أبي رسول الله ﷺ وأخي القاسم وأختي فاطمة وأمي خديجة . وقتل مع علي كرم الله وجهه يوم الجمل ، وقيل مات بالبصرة في الطاعون ، كما ولدت خديجة أيضاً لأبي هالة : هالة بن أبي هالة ، وكان له صحبة .

(٣) عتيق بن عابد المخزومي ، فولدت له بنتا اسمها هند ، وقد أسلمت وصحبت . راجع السيرة النبوية لابن هشام (١/١٨٧) وتاريخ الطبري (٣/١٧٥) . والمحبر (٧٩) . والسمط الثمين (١٣) . وعيون الأثر (١/٥١) . وترجمة عتيق وأبي هالة في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص (١٣٣/١٩٩) ط١ ، ذخائر العرب .

ثم تقدم لها بعد ذلك كثير من أشراف قريش لكنها آثرت الانصراف لتربية أولادها ، وإدارة شؤون تجارتها حيث كانت غنية ذات مال ، وكانت تستأجر الرجال ليتاجروا لها ، وتدفع لهم المال مضاربة ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ قبل بعثته ما اتصف به من الصدق والأمانة والخلق ، أرسلت إليه ليخرج بمالها وتجارتها إلى الشام مع غلام لها يقال له ميسرة على أن تعطيه أكثر مما تعطي غيره [1] .

ووافق الصادق الأمين وسافر مع غلامها ، ووفقه الله في هذه التجارة فكان الربح وفيراً ، فسرت خديجة بهذا الخير الكثير الذي أحرزته على يد محمد ﷺ ، ولكن إعجابها بشخصه كان أعظم وأعمق حين دخل عليها ، كان ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه وسيماً قسيماً في عينيه دعج وفي شفتيه وطف وفي صوته صحل يخبرها بما ربحوا .. إنه ضعف ما كانت تربح . فبدا عليها السرور ، وتحدثت فأصغى ملتفتاً إليها بكل حواسه وجسمه ، « فقد كان يحسن الاصغاء ويحسن الصمت ويحسن الكلام ، فإن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لانزر ولا هذر ، تتألق أسنانه المفلجة البيضاء إذا تكلم أو ابتسم »[2] .

... وأصبحت ترى أن محمداً كفء لها ، بل صارت تحس أنها أسيرة روحه القوية التي يخشع لها روحها وتتهلل بالفرح في نفس الوقت ، إنها خشية المنتشي وخضوع المحب .. واستسلام الراغب في الغناء فيمن يعشق ..

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام (١٨٨/١) ، وتاريخ الطبري (١٩٦/٢) ، والسمط الثمين للمحب الطبري ص ١٣ . عيون الأثر (٥٧/١) . بما معناه أن السيدة خديجة هي التي عرضت عليه مباشرة أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً .

(٢) محمد رسول الله والذين معه /عبد الحميد السحار/ (ج ٨/٦٠) .

.. ولكن ترى هل يقبل الشاب الأمين الصادق بالزواج منها وقد بلغت الأربعين من عمرها ..؟ أتراه يستجيب بعاطفة أرملة كهلة وهو الذي انصرف عن عذارى مكة وزهرات بني هاشم الناضرات ؟.

وفي غمرة حيرتها واضطرابها ، زارتها صديقتها « نفيسة بنت مُنية »[1] فما زالت تحادثها حتى كشفت لها عن سرها المطوي .. فهونت الأمر عليها ، فما في نســاء قريش من تفوقهـا نسبـاً وشرفاً ، وهي ذات الغنى والجمال ، وكل قومها حريص على الزواج منها لو يقدر على ذلك[2] .

وما إن خرجت « نفيسـة » من عند صديقتها خديجة حتى انطلقت إلى الأمين الصادق وابتدرته متسائلة بذكاء :

ما يمنعك أن تتزوج يا محمد ؟

فقال لها : ***ما في يدي ما أتزوج به*** .. فابتسمت قائلة :

فإن كفيت ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة فهل تجيب ؟.

فردَّ متسائلاً : ***ومن ؟***..

قالت على الفور : خديجة بنت خويلد .

فقال : ***إن وافقت فقد قبلت*** [3].

---

(١) نفيسة بنت منية : هي بنت أمية بن أبي عبيدة التميمية الحنظلية ، تنسب إلى أمها منية بنت جابر راجع ترجمتها في الإصابة (٨/٢٠٠) والاستيعاب (٤/١٩١٩) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٠١) .

(٣) راجع السيرة النبوية لابن هشام أن السيدة خديجة عرضت نفسها عليه من غير وساطة ، وروى المحب الطـبري في السـمط ، أنها بعثت إلى محمـد ﷺ ولم يذكر اسـم من بعثـه ، وتاريخ الطـبري (٢/١٠٠) ، وعيون الأثر (١/٤٩) .

وانطلقت نفيسة لتزف البشرى إلى خديجة ، وأخبر الأمين أعمامه برغبته في الزواج من السيدة خديجة ، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عم خديجة « عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي » لخطبتها . فأثنى عليه عمها ، وأنكحها منه ، على صداق قدره عشرون بكرة[1] .

ولما تم العقد نحرت الذبائح ووزعت على الفقراء ، وفتحت دار خديجة للأهل والأقارب فإذا بينهم « حليمة السعدية » مرضعة الرسول الكريم ﷺ جاءت لتشهد عرس ولدها ، وعادت بعد ذلك إلى قومها ومعها أربعون رأساً من الغنم هدية من العروس الكريمة لمن أرضعت محمداً الزوج الحبيب .

وأصبحت الطاهرة سيدة قريش زوجاً لمحمد الأمين وضربت أعظم الأمثال وأروعها على حبها لزوجها وإيثارها لمن يحبه . فعندما رأت أنه يحب مولاها زيد بن حارثة وهبته له . ولما آنست منه الرغبة في ضم أحد أبناء عمه أبي طالب إليه رحبت بذلك وأفسحت لعلي رضي الله عنه المجال الأوفر ليكسب من أخلاق زوجها محمد ﷺ .

واستغرقا في هناءتهما خمسة عشر عاماً ، ناعمين بالإلفة والاستقرار ، وقد أتم الله عليهما نعمته ، فرزقهما البنين والبنات : « القاسم ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة »[2] .

---

(١) راجع رواية السمط (١٥) ، والمحبر (٧٩) ، أنه أصدقها اثنتي عشرة أوقية . وكذلك في عيون الأثر (٥٠/١) ، والسيرة النبوية (١٩٠/١) برواية لابن إسحاق والزهري أن أباها هو الذي زوجها . كما يقال أيضاً أن الذي أنكحها هو أخوها عمرو بن خويلد .

(٢) راجع المحبر (٧٩) ، والاستيعاب (١٨١٧/٤) ، ونسب قريش (٢١) ، والسيرة النبوية (١٩٠/١) فيما ذكر عن ابن إسحاق أن القاسم وأخوه عبد الله قد هلكا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه ﷺ .

وحبب الله سبحانه وتعالى إلى الأمين الصادق الخلوة .. فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلو وحده ، فأخذ يتعبد في غار حراء شهراً كاملاً من كل عام ، يقيم هناك الليالي ذوات العدد ، على الزاد القليل بعيداً عن لغو أهل مكة ولهوهم وما كانوا عليه من عبادة الأوثان .

وما كانت السيدة الطاهرة (خديجة) لتضيق ذرعاً بهذه الخلوات التي تبعده عنها أحياناً ، وما كانت لتعكر صفو تأملاته بفضول الأسئلة والقيل والقال ، بل حاولت ما وسعها الجهد أن تحوطه بالرعاية والهدوء ما أقام في البيت ، فإذا انطلق إلى الغار ظلت عيناها عليه من بعيد ، بل وترسل وراءه من يحرسه ويرعاه[1] دون أن يقتحم عليه خلوته .

ومكث رسول الله ﷺ على ذلك الحال ما شاء الله له أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان[2] ، وكان معه من أمر الوحي ما كان ، ثم انطلق يلتمس بيته في غبش الفجر خائفاً شاحباً مرتعد الأوصال وهو يقول :

- *«زملوني زملوني . دثروني دثروني »* ..

وضمته إلى صدرها ، وقد أثار مرآة أعمق عواطف الأمومة في قلبها ، وهتفت في ثقة ويقين :

---

(١) راجع السيرة النبوية (٢٤٣/١) ، والسمط الثمين (١٩) ، والإصابة (٢٠٠/٨) .

(٢) ويقال إن بعثه ﷺ كان يوم الإثنين ، ويستدلون على ذلك بقوله ﷺ لبلال : لايفتك صيام يوم الاثنين ، فإني قد ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأموت فيه وقيل غير ذلك . (راجع السيرة النبوية ٢٣٣/١) ، وشرح المواهب ، والروض .

« اللّٰهيرعانا يا أبا القاسم ، أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، والله لايخزيك الله أبداً .. إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق »[٣].

واطمأن فؤاد النبي أمام هذا التثبيت ، وعاودته سكينته أمام تصديق زوجته وإيمانها بما جاء به .

واستراحت عيناها عليه برهة وهو مستغرق في نومه الهادئ المطمئن ، ورفّ حوله قلبها ملء الحب والإيمان ، ثم قامت فتسللت من المخدع على حذر ، حتى إذا بلغت الباب اندفعت إلى الطريق الخالي ، تسرع خطاها نحو ابن عمها « ورقة بن نوفل »[٢] ، وحدثته بما كان من أمر محمد ﷺ فما كان منه إلا أن صاح قائلاً :

« قدوس ... قدوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى وإنه لنبي هذه الأمة ، فقولي له فليثبت »[٣] .

وأسرعت الزوجة إلى الحبيب لتزف له البشرى ، ثم لتعود بصحبته ليسمع

---

(١) راجع السيرة النبوية (٢٥٣/١) ، وشرحها في الروض الأنف (٢٧٠/١) ، وتاريخ الطبري (٢٠٥/٢ ــ ٢٠٧) ، والسمط الثمين (١٠) ، وعيون الأثر (٨٣/١) ، والإصابة (٢٠٠/٨) .

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عم السيدة خديجة ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل . (راجع السيرة النبوية/٢٣٨/١) .

(٣) راجع السيرة لابن هشام (٢٥٤/١) وتاريخ الطبري (٢٠٦/٢) وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث عائشة رضي اللّٰهعنها . فأخرجه البخاري في أول كتاب الوحي (٣/١) وأخرجه مسلم في الإيمان ، باب بدء الوحي (١٣٩/١) .

بنفسه من ابن عمها ورقة الذي ما كاد يلمحه قادماً نحوه حتى صاح : (والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولتكذبّن ولتؤذين ، ولتخرجن ولتقاتلن ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه .

فقال محمد ﷺ :

« *أو مخرجي هم ؟* ».

أجاب ورقة : نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، ليتني أكون فيها جزعاً .. ليتني أكون حياً ، ثم لم يلبث ورقة أن توفي[1] .

وطابت نفسه ﷺ بما سمع ، وعلم أن للدعوة أعباء كثيرة ، وأن هذه هي سنة الله في أنبيائه والداعين إليه . فليلقِ في سبيل دعوته الخالصة لرب العالمين كل ما عند المشركين من أذى واضطهاد .

وكانت السيدة خديجة أول من آمن بالله وبرسوله ودخلت في الإسلام[2] . وآزرته على أمره ، وصدقّت بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ ، فإنه لايسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته ، وتخفف عليه ، وتصدقه ، وتهون أمر الناس عليه .

« ولما قضي على بني هاشم وعبد المطلب أن يخرجوا من مكة لائذين بشعب أبي طالب بعد أن أعلنت قريش عليهم حرباً مدنية لا ترحم ، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة علقت في جوف الكعبة »[3] ، لم تتردد خديجة في الخروج مع

---

(١) المصدر السابق .

(٢) السيرة النبوية (١/٢٥٧) .

(٣) السيرة النبوية (١/٣٧٥) وتاريخ الطبري (٢/٢٢٨) .

زوجها ، وهكذا تخلت عن دارها الحبيبة مغنى صباها ومجمع هواها ، وقامت تتبع زوجها ونبيها في كل مكان .

وأخذت آيات القرآن تترى وتتابع :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (1)

وأخذت السيدة خديجة رضي الله عنها تدعو إلى الإسلام بجانب زوجها عليه الصلاة والسلام بالقول والعمل ، وكان أول تلك الثمار مولاها زيد ، وبناتها الأربع رضوان الله عليهن .

واختار الله ابنيها القاسم وعبد الله وهما في سن الطفولة[2] واحتسبت ، ورأت بعينها أول شهيدة في الإسلام (سمية) وهي تعاني سكرات الموت على أيدي الطغاة حتى أسلمت الروح لخالقها عزيزة كريمة .

كذلك ودعت ابنتها وفلذة كبدها (رقية) زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي تهاجر إلى الحبشة فراراً بدينها من أذى المشركين .

---

(١) سورة المدثر ، الآيات (١ ــ ٧) .

(٢) ذكر السهيلي عن الزبير أن القاسم مات رضيعها ، وأن رسول الله ﷺ دخل على خديجة بعد موت القاسم ، وهي تبكي ، فقالت : يا رسول الله لقد درت لبنة القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهون علي ؛ فقال : إن شئت أسمعتك صوته في الجنة ؛ فقالت بل أصدق الله ورسوله . (السيرة النبوية ١/١٩٠) .

أقامت في شعب أبي طالب في أثناء المقاطعة والحصار ثلاث سنين متواصلة، صابرة مع الرسول ومن معه من صحبه وقومه ، على عنت الحصار المنهك ، وجبروت الوثنية الراسخة العاتية العمياء ...

وفاتها :

كانت في فراشها تودع الدنيا ، وزوجها عليه الصلاة والسلام إلى جانبها يرعاها ويؤنس وحشة احتضارها ببشرى مالها عند الرفيق الأعلى ، ويتزود منها لفراق لا لقاء بعده في هذه الدنيا . ثم أسلمت الروح بعد ثلاثة أيام بين يدي الزوج الذي تفانت في حبه منذ لقيته ، والنبي الذي صدقته وآمنت برسالته في فجر ليلة القدر ، وجاهدت معه حتى الرمق الأخير من حياتها ، وكانت له سكناً وأنساً وملاذاً ، إلى أن رجعت نفسها المطمئنة إلى ربها راضية مرضية ، ودفنها ﷺ بالحجون »[1] .

وكانت وفاتها ، رضي الله عنها ، قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح[2] .

قال : « ابن اسحاق » : « فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام »[3] .

وهكذا ذهبت النفس المطمئنة إلى ربها عند انتهاء الأجل المحتوم ، وبعد أن ضربت أروع النماذج وأصدقها في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله ، فكانت بحق

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة ـــ د. عائشة عبد الرحن (٢٣١) .

(٢) ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير (عيون الأثر ١/ ١٣٠) والإصابة (٦٢/٨) (والمحبر لابن حبيب ١١) .

(٣) السيرة النبوية (٥٧/٢) ـــ وتاريخ الطبري (٢٢٩/٢) ـــ وعيون الأثر (١٣٠/١) .

الزوجة الحكيمة التي تقدر الأمور حق قدرها وتبذل من العطاء ما فيه إرضاء الله ولرسوله ، وبذلك استحقت أن تبلغ من ربها السلام ، وأن تبشر ببيت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب[1] .

ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول :

« خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد »[2].

فارض اللهم عن خديجة بنت خويلد السيدة الطاهرة ، أم المؤمنين ، الزوجة الوفية الصادقة ، المؤمنة المجاهدة في سبيل دينها بكل ما تملك من عرض الدنيا .

وجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خير جزاء .

---

(١) أنظر نص الحديث في صحيح بخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب تزويج النبي خديجة وفضلها (٤/٢٣١) ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها برقم (٢٤٣٢) .

(٢) البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب تزويج النبي خديجة وفضلها (٤/٢٣٠) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضي اللهعنها برقم (٢٤٣٠) .

أمّ المؤمنين

سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ

رضي الله عنها

المهاجرة زوجة المهاجر

أم المؤمنين

سودة بنت زمعة

رضي الله عنها

المهاجرة زوجة المهاجر

أحست وكأن كابوساً يطبق على صدرها فهمست في ضراعة :

« أمسكني يا رسول الله ، ووالله ما بي على الأزواج من حرص ولكني أرجو أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك » .

كان السرور يغمر قلبها ... عندما استشعرت بدموع الفرح تبلل روحها .. قد رأت في منامها أن قمراً انقض عليها من السماء وهي مضطجعة ، فما كانت تدري تأويله ، وما كانت تطمع في أن تكون زوجة رسول الله ﷺ بعد أن نالت منها السنون .
إنه لشرف لايدانيه شرف أن تصبح أم المؤمنين وأن تتوج صبرها على اضطهاد الكافرين وهجرتها إلى الحبشة لله ورسوله بذلك التكريم .

الطيبة الطاهرة المهاجرة التي آثرت على نفسها مرضاة للزوج الكريم ﷺ ، فوهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها رعاية لقلب رسول الله ﷺ .

ــ سودة بنت زمعة : بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر ابن مالك بن حسن بن مالك القرشية العامرية[1] .

ــ وأمها : الشموس بنت قيس بن زيد بن عمر، من بني عدي بن النجار[2] .

السيدة سودة الجليلة النبيلة ، كانت متزوجة من ابن عمها السكران بن عمرو ، أخي سهيل بن عمرو العامري ، وكانت ضمن النفر الثمانية من بني عامر[3] الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم ، وركبوا أهوال البحر راضين بما هو أقسى من الموت من أجل النجاة بدينهم ، وقد اشتد عليهم العذاب والضغط لردهم إلى الضلال والشرك ، وما كادت تنتهي محنة غربتها في أرض الحبشة حتى فقدت

---

(١) من بني عامر بن لؤي ــ راجع نسب قريش (٤٢١) ، وجمهرة الأنساب (١٥٧) ذخائر .

(٢) أنها بنت قيس بن عمرو بن زيد . راجع نسب قريش (٤٢٢) ، وعيون الأثر (٣٠٠/٢) ، وجمهرة أنساب العرب (١٥٨) ، وكذا في الاستيعاب (١٨٦٧/٤) ، والإصابة (١١٧/٨) ، والسيرة النبوية (٣٥٢/١) ، والمحبر (٧٩) .

(٣) يذكر بأن النفر الثمانية المهاجرين كانوا : « مالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس العامري »أخو سودة ، و« السكران بن عمرو بن عبد شمس » زوجها وابن عمها ، وأخواه « سليط وحاطب ولدا عمرو بن عبد شمس » ، وابن أخيه « عبد الله بن سهيل بن عمرو » . وثلاث من زوجاتهم العامريات « سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس » ، « وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس » ، و« عمرة بنت الوقدان بن عبد شمس » .

ــ كما ذكر في تاريخ الطبري : (٢٢٢/٢) ، وعيون الأثر (١١٥/١ ــ ١١٨) ، والسيرة النبوية (٣٥٢/١) ، وجمهرة الأنساب (١٥٧) ، والسمط (١٠١) .

الزوج المهاجر[1] ، لتعاني محنة الترمل بعد محنة الاغتراب ..

ـــ « كان جميع صحابة رسول الله ﷺ يعلمون مدى حاجة الرسول عليه الصلاة والتسليم إلى زوجة ، ولكن أحداً منهم لم تكن عنده الشجاعة ليفاتح الرسول الواله الحزين من فراق السيدة خديجة في أمر من يحل مكان الزوجة الأولى الطاهرة » .

وذات ليلة بينما كان رسول الله ﷺ في الدار يتذكر أيامه الخالية مع أم المؤمنين ، السيدة خديجة ، إذا بخولة بنت حكيم[2] امرأة عثمان بن مظعون تدخل عليه ، فرحب بها ، فهي من المؤمنات الصادقات قد هاجرت الهجرة الأولى إلى الحبشة مع زوجها عثمان ، ثم ما لبثت أن عادت معه إلى مكة ليكونا إلى جوار إخوانها المسلمين يتحملان معهم في صبر ما ينزل بهم من عذاب حتى يأتي نصر الله .

وتقدمت إليه تجمع أطراف شجاعتها قبل أن يتحرك لسانها ، متلطفة مترفقة تقول :

---

(١) في موت السكران بن عمرو روايتان : أنه مات عن سودة بأرض الحبشة مهاجراً . وقيل : عاد بها إلى مكة فما لبث أن مات قبل الهجرة إلى المدينة .

ـــ رواهما ابن عبد البر في ترجمة السكران بن عمرو بالاستيعاب (٦٨٥/٢) .

وعلى القول الأول موسى بن عقبة . وابن حزم في الجمهرة (١٥٧) .

والزبير بن البكار ، فيما نقل ابن سعد . وعلى الثاني : ابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام (٧/٢) والواقدي .

حكاه ابن سعد أيضاً وابن حجر في ترجمتهما بتهذيب التهذيب . وابن سيد الناس في عيون الأثر (٣٠٠/٢) .

(٢) تاريخ الطبري (١٧٥/٣) ، والإصابة (١١٧/٨) ، والسمط الثمين (١٠٣) .

ــ ألا تتزوج يا رسول الله ؟

ــ فانتبه عليها رسول الله ﷺ من بين أهدابه الطويلة ، وأجابها بنبرات مليئة بالحزن والأسى :

ــ « *ومن بعد خديجة يا خولة ؟؟!!* »

ــ فقالت : إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيباً .

ــ « *فمن البكر ؟* » .

ــ فقالت : ابنة أحب خلق الله إليك ، عائشة بنت أبي بكر[1] ..

ــ وبعد فترة صمت قال ﷺ :

ــ « *ومن الثيب ؟* » .

ــ قالت : إنها سودة بنت زمعة التي آمنت بك ، واتبعتك على ما أنت عليه .

وتمثل الرسول ﷺ « سودة » وهي تودع أرضاً عزيزة حلت بها تمائمها وازدهر فيها صباها واطمأنت على أرضها كهولتها ، ثم تمضي إلى بلد مجهول ، وناس لا هي منهم ولا هم منها ، لسانهم غير عربي ، ودينهم غير الإسلام ، وقبل أن تؤوب من غربتها ، وتهبط « أم القرى » فاضت روح زوجها . وتأثر ﷺ للمهاجرة المؤمنة المترملة أيما تأثر ، فما كادت « خولة بنت الحكيم » تذكرها له ، حتى مد يده الرحيمة إليها يسند شيخوختها ، ويهون عليها الذي ذاقته من قسوة الحياة .

(١) تاريخ الطبري (١٧٥/٣) .

ـــ فقال ﷺ :

ـــ « *اذهبي فاذكريها عليّ* » .

فذهبت خولة ، فمرت أولاً ببيت « أبي بكر » ثم جاءت بيت « زمعة » .

وعقد النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها ، وتزوج من سودة التي انفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر ، حتى دخل بعائشة . واستغرب الناس في مكة زواج النبي ﷺ من سودة بنت زمعة ، وتساءلوا في ارتياب : أرملة مسنة غير ذات جمال تخلف سيدة نساء قريش ومطمح أنظار السادة منهم .

وعرفت من اللحظة الأولى التي جمعتها بزوجها ، أن « الرسول » هو الذي تزوجها ، لا « الرجل » الذي لم تجرده النبوة من بشريته ، وإنها أو سواها لن تخلف خديجة ولكنه البر والرحمة وجبران الخاطر من نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولكن ذلك لم يرعها ، بل كان حسبها أن رفعها رسول الله إلى تلك المكانة ، وأن جعل منها أماً للمؤمنين .

وكان يسعدها أن تراه ﷺ يضحك من مشيتها ـــ إذ كانت ثقيلة الجسم ـــ وأن يأنس أحياناً إلى خفة روحها أو يستملح عبارة من عباراتها ...

ـــ قالت له مرة :

« صليت خلفك الليلة يا رسول الله ، فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم »[1] .

فتبسم ﷺ ضاحكاً من قولها ...

---

(١) الإصابة (١١٨/٨) ، والاستيعاب (١٨٦٧/٤) .

هذا واستطاعت سودة رضي الله عنها أن تقوم على بيت النبوة ، وتخدم بنات النبي ﷺ ، وأن تدخل السرور والسعادة إلى قلب النبي عليه الصلاة والسلام بخفة روحها ومرحها بالرغم من ثقل جسمها ، إلى أن مر ثلاث سنوات ودخلت السيدة « عائشة بنت أبي بكر » بيت النبوة ، فأفسحت لها « سودة » المكان الأول في البيت ، وحرصت جهدها أن تتحرى مرضاة العروس الشابة ، وأن تسهر على راحتها .. ومن ثم وفدت على البيت أزواج أخريات مثل حفصة وزينب ... إلخ .

وأدركت السيدة سودة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يتزوجها إلا إشفاقاً لما لها بعد وفاة زوجها . واتضح لها ذلك عندما أراد النبي ﷺ أن يسرحها سراحاً جميلاً ليعفيها من وضع شعر أنه يجرح قلبها . فلما أنبأها بعزمه على الطلاق ، أحست وكأن كابوساً يطبق على صدرها فهمست في ضراعة ، « أمسكني يا رسول الله ، والله ما بي على الأزواج من حرص ولكني أرجو أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك »[١] .

فنظر إليها رسول الله ﷺ في إشفاق وتأثر .. وأخذ الصمت منه وقتاً . إلى أن عادت قائلة بكلمات تعثرت في حلقها :

ـــ أبقني يا رسول الله ، وأهب ليلتي لعائشة ، وإني لا أريد ما تريد النساء[٢] .

---

(١) الإصابة (١١٧/٨) ، والاستيعاب (١٨٦٧/٤) ، والحديث أخرجه مسلم في الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لضرتها برقم /١٤٦٣/ .

(٢) أخرجه البخاري في النكاح ، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها ، (١٥٤/٦) ، وأخرجه مسلم نحوه كما في الحديث السابق .

واستجاب رسول الله ﷺ لصاحبة الشعور النبيل وأنزل الله في ذلك قرآناً يتلى :

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[(1)]

ومكثت سودة في بيت النبوة راضية مطمئنة شاكرة الله أن ألهمها هذا القول الموفق للرسول الكريم لتكون مع خير خلق الله في الدنيا أماً للمؤمنين وزوجاً له في الجنة ، فقامت في مخدعها تصلي وتشكر الله تعالى وقلبها عامر بنشوة الرضى والإيمان !..

وتوفيت رضي الله عنها في آخر زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(2)] .

وقد ظلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تذكر لها صنيعها وتؤثرها بجميل الوفاء فتقول : « ما من امرأة أحب إليَّ من أكون في مسلاخها[(3)] ، من سودة بنت زمعة لما كبرت قالت : يا رسول الله قد جعلت يومي منك لعائشة إلا أن بها حدَّة »[(4)] .

---

(١) سورة النساء ، آية /١٢٨/ .

(٢) الاستيعاب (١٨٦٧/٤) ، والإصابة (١١٧/٨) ، وعيون الأثر (٣٠١/٢) .

(٣) أكون في مسلاخها : أي تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها . دون الحدَّة التي ذكرتها في آخر الحديث .

(٤) أخرجه مسلم في الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لضرتها برقم /١٤٦٣/ . ونحوه في ترجمتها بالاستيعاب والإصابة .

أم المؤمنين

عائشة بنت أبي بكر

رضي الله عنها

المبرّأة من فوق سبع سماوات

أم المؤمنين

عائشة بنت أبي بكر

رضي الله عنها

المبرأة من فوق سبع سماوات

الصديقة بنت الصديق ، العتيقة بنت العتيق ، حبيبة الحبيب ، وأليفة القريب ، سيد المرسلين محمد الخطيب عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، المبرأة في كتاب الله من العيوب ، المعراة من ارتياب القلوب ، لرؤيتها جبريل رسول علام الغيوب .

من كانت تصوم وتصوم حتى يذلقها الصوم .. صاحبة أول حب في الإسلام حب النبي ﷺ ..

وللكِ المكانة العظمى عندما قلت في حديث لعبد الله بن صفوان

خِلاَلٌ فيَّ تسع لم تكن في أحدٍ من النساء إلا ما آتى الله مريم بنت عمران ؛ والله ما أقول هذا فخراً على أحدٍ من صواحبي ، وهم : نزل الملكُ بصورتي ، وتزوجني رسول الله ﷺ لسبع سنين ، وأهديت إليه لتسع سنين ، وتزوجني بكراً لم يشرَكْهُ في أحَدٌ من الناس ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنت من أحب الناس إليه ، ونزل فيَّ آية من القرآن كادت الأمةُ أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحدٌ من نسائه غيري ، وقبض في بيتي ولم يلِهِ أحد غير الملك وأنا .

الصديقة الوفية المخلصة الغيور العتيقة :

(عائشة بنت أبي بكر الصديق)[1]..

أبوها : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي .

---

(١) قال رسول الله ﷺ :
« من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر » .
فغلب عليه إسم عتيق .
راجع ترجمته في الإصابة (١٠٤/٣) ، والسيرة النبوية (٢٩٣/٤) ، تاريخ الطبري (١٧٧/٣) ، عيون الأثر (٣٠٠/٢) ، الاستيعاب (١٨٨١/٤) .

أمها : أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية[1] ، الصحابية الجليلة المؤمنة ، التي قال فيها عليه الصلاة والسلام : « من سره أن ينظر إلى امرأةٍ من الحور العين فلينظر إلى أم رومان »[2] .

المبرأة من فوق سبع سماوات .. عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، معلمة الرجال ، الصديقة بنت الصديق ، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله ابن قحافة، القرشية التيمية، المكية ، أم المؤمنين ، زوجة سيد ولد آدم ، وأحب نسائه إليه ، وابنة أحب الرجال إليه[3] .

من أثبتت للدنيا منذ أربعة عشر قرناً أن المرأة يمكن أن تكون أعلم من الرجال وأن تكون سياسية ، وأن تكون محاربة .

هذه المرأة التي تتلمذت وتخرجت من مدرسة النبوة ، مدرسة الإيمان ،

(١) أم رومان الكنانية رضي الله عنها : من بني مالك بن كنانة ، لاخلاف في نسبها كما صرح في الاستيعاب (١٩٣٦/٤) ، راجع نسب قريش (٢٧٦) ، وجمهرة أنساب العرب (١٢٧) ، وتهذيب التهذيب (٤٣٣/١٢) ، وعيون الأثر (٣٠٠/٢) ، والمحبر (٨٠) .
كانت من الصحابيات الجليلات ، وقد تزوجت في الجاهلية من عبد الله بن الحارث الأسدي ، فولدت له الطفيل . ثم توفي عنها فخلف عليها أبو بكر رضي الله عنه فولدت له عائشة وعبد الرحمن . وهاجرت إلى المدينة بعد أن استقر مقام الرسول ﷺ وصاحبه بها ، فلما توفيت بعد حادثة الإفك — نزل ﷺ قبرها واستغفر لها وقال : « ***اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك*** » (أخرجه ابن سعد في طبقاته ، وكذلك ابن حجر في الإصابة ، وعبد البر في الاستيعاب) . وانظر دراستنا عنها في كتابنا هذا صفحة رقم (٣٧٧) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) روي في الصحاح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه سأل النبي ﷺ أي أحب النساء إليك بارسول الله ؟ قال : " عائشة " ؟ قال : فمن الرجال ؟ قال : " أبوها " . أنظر البخاري (١٩/٧) في فضائل أصحاب النبي ، باب قول النبي لو كنت متخذا خليلا ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر ، برقم (٢٣٨٤) .

مدرسة الفرسان ، فقد تولاها في طفولتها شيخ المسلمين وأفضلهم أبوها الصديق ، ورعاها في شبابها نبي البشرية ومعلمها ، وأكرم البشر وأفضلهم زوجها رسول الله ﷺ ، فجمعت من العلم والفضل والبيان ما جعلها تخلف في التاريخ دوياً تتناقل أصداءه العصور ، فهذه آثارها تدرس في كليات الآداب كما تدرس أبلغ النصوص الأدبية ، وهذه فتاواها تقرأ في كليات الدين ، وهذه أعمالها الكاملة مجال بحث لكل مدرسٍ لتاريخ العرب والمسلمين .

تزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله عز وجل[1]، إثر وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها ، وهي بنت ست سنوات وكذلك تزوج من سودة بنت زمعة رضي الله عنهما ، ولكنه دخل بالسيدة سودة وتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة وهي بنت تسع سنوات وكان دخوله بها في شوال في السنة الثانية للهجرة بعد وقعة بدر .

وتصف عائشة رضي الله عنها يوم عرسها فتقول : « جاء رسول الله بيتنا فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني أمي وأنا في أرجوحة بين عذقين ، فأنزلتني ثم سوت شعري ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى إذا كنت عند الباب ، وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي ، ثم أدخلتني ورسول الله جالس على سرير في بيتنا ، فأجلستني في حجره وقالت :

---

(١) انظر البخاري (١٧٥/٧) في مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة ، وفي التعبير باب كشف المرأة في المنام . وباب ثياب الحرير في المنام . وكذلك راجع صحيح مسلم في فضائل الصحابة ، باب فضل عائشة برقم (٢٤٣٨) .

وفيما روي عنهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« أرأيتك في المنام ثلاث ليال ، جاء بك الملك في خرقة من حرير فيقول : هذه امرأتك ، فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه . فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضيه » .

هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهن ، وبارك لهن فيك[1] .

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها عروساً حلوة ، خفيفة الجسم ، ذات عينين واسعتين ، وشعر جعد ، ووجه مشرق ، مشرب بحمرة ، وقد انتقلت إلى بيتها الجديد ، وما كان هذا البيت سوى حجرة من الحجرات التي شيدت حول المسجد، من اللبن وسعف النخيل ، وضع فيه فراش من أدم حشوة ليف ، ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير ، وعلى فتحة الباب أسدل ستار من الشعر ...[2] .

قال المستشرق بودلي : « منذ وطئت قدماها بيت محمد ، كان الجميع يحسون وجودها ، ولو أن هناك شابة عرفت ما هي مقبلة عليه ، لكانت عائشة بنت أبي بكر .. فلقد كونت شخصيتها منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه دور النبي الملحقة بالمسجد ...»[3] .

وفي تلك الحجرة المتواضعة ، من خلال بيت الزوجية غدت السيدة عائشة رضي الله عنها معلماً لكل امرأة في العالم على مر العصور ، فكانت خير زوجة تؤنس الزوج ، وتدخل السرور إلى قلبه وتزيل عنه ما يكابده خارج المنزل من مصارعة الحياة والدعوة إلى الله تعالى ...

كانت خير زوجة ، كريمة اليد والنفس ، صبرت مع الرسول ﷺ على الفقر والجوع حتى كانت تمر عليها الأيام الطويلة وما يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار لخبز أو طبيخ ، وإنما كانا يعيشان على التمر والماء .

---

(١) راجع بنحوه : صحيح مسلم ، كتاب النكاح (١٤٤٢) ، وتاريخ الطبري (١٧٦/٣) ، ووفاء الوفا (٢٦٠/١) ، والسمط الثمين (ص ٣٢) .

(٢) راجع صحيح مسلم برقمين (٢٠٨٢ ــ ٢٤٣٨) ، وفاء الوفا (٤٥٩/٢) .

(٣) راجع الترجمة العربية لبودلي في كتاب الرسول (ص ٩٣ ــ ١٣٠) الدراسات العربية « فرج وسحار » .

ولما أقبلت الدنيا على المسلمين أتيت مرة بمئة ألف درهم من معاوية ، وكانت صائمة وليس لديها ما تفطر عليه ، فأخذت المال وفرقته جميعه على الفقراء والمحتاجين . فقالت لها مولاتها : أما استطعت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه ؟ قالت : لو كنت ذكرتني لفعلت[1] .

فلم يزعجها الفقر ، ولم يبطرها الغنى ، صانت عزة نفسها فهانت عليها الدنيا ، فما عادت تبالي اقبالها ولا إدبارها .

هذا وقد كانت رضي الله عنها خير من اهتم بالتلقي عن رسول الله ﷺ ، فبلغت من العلم والبلاغة ما جعلها تكون معلمة للرجال ، ومرجعاً لهم في الحديث والسنة والفقه .

فقال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل[2] .

وقال هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لقد صحبت عائشة ، فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآيةٍ أنزلت ، ولا بفريضة ، ولا بسنة ، ولا بشعر ، ولا أروى له ، ولا بيوم من أيام العرب ، ولا بنسب ، ولا بكذا ، ولا بكذا ، ولا بقضاء ، ولا طب ، منها ، فقلت لها يا خالة : الطب من أين تعلمته، فقالت : كنت أمرض فينعت لي الشيء ، ويمرض المريض فينعت له ، واسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه[3] .

---

(١) أنظر الحاكم في المستدرك (١٣/٤) ، والأصبهاني في الحلية (٤٩/٢) ، وطبقات ابن سعد (٦٧/٨) ورجاله ثقات .

(٢) راجع المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة (١١/٤) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٥/٩) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٣) انظر حلية الأولياء (٤٩/٢) ورجاله ثقات .

وعن الأعمش : عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال : قلنا له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض ؟ قال : والله لقد رأيت أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض .

ومن أهم المواقف في حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موقف التهمة الشنيعة التي اتهمت بها (محنة الإفك)[1] .

حدث ذلك في نحو السنة السادسة للهجرة ، بعد أن تزوج رسول الله ﷺ « زينب بنت جحش » .

وكان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق، أقرع بين نسائه كما كان يصنع، فخرج سهم عائشة رضي الله عنها دون باقي نسائه ، فانطلقت في صحبته سعيدة هانئة بما آتاها الله من شرف صحبته .

وكانت فألاً حسناً على القائد المصطفى ﷺ ، فعاد من غزوته منتصراً ، وسار ركبه الظافر نحو المدينة المنورة يهزج بأغاني النصر والفخر .

وعاد ﷺ من غزوته مضطرباً أشد الاضطراب لشيوع الفتنة بين المسلمين واتباع عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين وزعيم الخزرج ، وذلك عندما تنازع رجلان منهما على الماء كما يحدث على كل بئر وفي كل مورد يكثر حوله القصاد ..

---

(١) انظر حديث الإفك مفصلاً عن الإمام البخاري في التفسير ، عند تفسير سورة النور ، باب (لولا إذا سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) (٥/٥) ..
وعند مسلم في التوبة ، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف برقم /٢٧٧٠/ .
وانظر الحديث مفصلاً في سيرة ابن هشام(٣/٣٠٩) . وما بعدها ، وكذلك تاريخ الطبري (٢/١١١) ط دار الكتب العلمية ، وطبقات ابن سعد (٢/٤٦) ط ليدن .

فصاح صائح : يا للخزرج ، وصاح الآخر : يا لكنانة ، يا لقريش ، وخرج النبي ﷺ غاضباً لهذه العصبية البغيضة ، وسأل :

- « *ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة* »[٢] .

ولما أخذ جيش الرسول ﷺ المسير باتجاه المدينة المنورة عائداً من غزوته منتصراً بما آتاه الله تعالى من فضل واعتلاء لدين الإسلام . دنا الليل عليهم وهم على مقربة منها فأناخ الركب للراحة ، وما إن مسوا الأرض حتى وقعوا نياماً .

فخرجت أم المؤمنين لبعض حاجتها ، وقد كان في عنقها عقد فيه جزع ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقها وهي لاتدري . وعند عودتها إلى هودجها تفقدت عقدها فإذا به قد انسل منها فحسبها التماسه هنيهة ، فعادت تبحث عنه في مكان حاجتها إلى أن وجدته ، ومن ثم عادت إلى مكان هودجها فإذا بهم قد احتملوه وارتحلوا وهم يحسبون أنها فيه لخفتها .

فأقامت رضي الله عنها حيث هي وظنت أنهم سيرجعون إليها لا محالة إذا أحسوا غيبتها وافتقدوها .

وكان صفوان بن المعطل رضي الله عنه على ساقة الجيش يتخلف عنه ليلتقط ما يسقط من المتاع ، فلما نهض ليتبع الجيش في ساقته رأى سواداً على البعد ثم عرف أنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأنه كان يراها قبل الحجاب ، فجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ... ويكرر ذلك لينبهها باسترجاعه لأنه يتهيب التحدث إليها ، فما كلمها بكلمة ، وإنما أناخ لها الراحلة وأخذ بزمام البعير فركبتها وانطلق يقود الراحلة حتى أدرك الجيش في نحر الظهيرة .

---

(٢) مختصر سبب غزوة بني المصطلق . راجع تاريخ الطبري(١٠٩/٣)، وكذلك السيرة النبوية (٣٠٧/٣) .

وأطمأن رسول الله ﷺ أن وجدها بخير ، وسمع منها حديثها عن سبب تخلفها فما أنكر منه حرفاً .

ولكن ابن سلول وهو من الخزرج وكان من أعداء الدين الإسلامى ومن أعداء الله ورسوله يأبى أن يمر حدث إلا ويلفظ فيه ووجد أن الفرصة مهيأة للقيل والقال والافتراء ، فأطلق لسانه البذيء فقال : ـــ والله ما نجت منه ولا نجا منها ـــ متوخياً في ذلك أن يوقع بين النبي ﷺ وأقرب المقربين إليه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أو يفلح في تشكيك المسلمين في كرامة نبيهم .

تقول أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما :

وكان الذي تولى كبر الإفك : عبد الله بن أبي سلول : فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر ، وهو يريبني في وجعي ، إني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل فيسلم ، ثم يقول : « كيف تيكم ؟ » ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا أشعر بالشر حتى نقهت ، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع ، وهي متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا .

وحين فرغنا من شأننا نمشي ، فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح . فقلت لها : بئسما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟.. فقالت : يا هنتاه ألم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً إلى مرضي ..

فلما رجعت إلى بيتي ، دخل رسول الله ﷺ فسلم وقال : « كيف

تيكـم ؟ ». فقلت ائذن لي إلى أبوي ، قالت : وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله ﷺ ، فأتيت أبويَّ ، فقلت لأمي : يا أمتاه ، ماذا يتحدث الناس به ؟ فقالت : يا بنية ، هوني على نفسك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئـة عند رجل يحبهـا ولها ضرائر إلا كثرن عليها ، فقلت : سبحـان الله!!.. ولقد تحدث النـاس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة ، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحـل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، وقد بكيت ليلتين ، ويوماً وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي ...

وبينما هي على تلك الحال استأذنت عليها امرأة من الأنصـار فأذنت لها بالدخول ، فجلست بجانبها تبكي معها على بكائها ، إلى أن دخل عليهم رسول الله ﷺ فسلم وجلس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا .. فإن كنت بريئة فسيبرئك الله. وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب .. تاب الله عليه » .

تقول عائشـة رضي الله عنها : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي ، حتى ما أحس منه قطرة . فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال ، قال : واللهما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال ، قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ . فقلت ــ أي السيدة عائشـة ــ : إني والله ، لقد علمت أنكـم سمعتم ما تحدث به النـاس ، حتى استقر في أنفسكـم ، وصدقتم به ، ولئن قلت لكم : إني بريئة لاتصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر ــ واللهيعلم أني بريئة ــ لتصدقني ، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال :

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، وأنا والله حينئذٍ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحياً يتلى .. ولشأني في نفسي كان أحقر أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها . فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ، ولاخرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل الله على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه ...

قالت : فَسُرِّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك ، وكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي : « ***أبشري يا عائشة ، أما والله فقد برأك*** » . فقالت لي أمي : قومي إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : لا والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ، هو الذي أنزل براءتي ، فأنزل الله عز وجل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ

عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
۝ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

وهكذا ينتهي حديث الإفك الذي تعرضت له الجماعة المسلمة لأكبر محنة ، إذ كانت في الثقة بطهارة بيت رسول الله ﷺ ، ومحنة في الثقة ، وفي العقيدة التي تتمثل في شخص رسول الله ﷺ .

«ولذلك استحق هذا الحديث العظيم أن ينزل فيه قرآن ليرد المكيدة المدبرة من تلك العصابة المتجمعة على هدف واحد ، ولم يكن عبد الله بن أبي سلول

وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك ، وإنما هو الذي تولى معظمه ، وهو يمثل عصبة اليهود أو المنافقين الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة فتواروا وراء ستار الدين ليكيدوا له خفية ، فكان حديث الإفك إحدى مكايدهم » .

وقد امتدح شاعر الرسول حسان بن ثابت السيدة عائشة رضي الله عنها بعد أن انتهت من محنة الإفك بأبيات قال فيها :

حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى في لحوم الغوافل[1]
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم
فلا رفعت سوطي إلى أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي
لآل رسول الله زين المحافل
له رَتَب عال على الناس كلهم
تقاصر عنه سورة المتطاول[2]
فإن الذي قد قيل ليس بلائط
ولكنه قول امرئ بي ماحل[3]

(١) الغرثى : الجياع .
(٢) سورة : شدة .
(٣) ليس بلائط : ليس بحبيب . ماحل : ماكر .

وعندما مرض رسول الله ﷺ بعد عودته من حجة الوداع ، وشعر بأنه قد آن الأوان للرحيل بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة . كان يقول وهو يطوف على نسائه متسائلاً :

« *أين أنا غداً ؟.. أين أنا بعد غدٍ* »؟.. استبطاءً ليوم عائشة ، فطابت نفوس بقية أمهات المؤمنين ـــ رضي الله عنهن جميعاً ـــ بأن يمرض رسول الله ﷺ حيث أحب ، وقلن جميعاً : يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لعائشة(١) .

وانتقل حبيب الله إلى بيت الحبيبة ، فسهرت عليه تمرضه ، وبودها لو تفديه بنفسها وروحها ، وهي تقول : فداك نفسي وأبي وأمي يا رسول الله .. وحانت لحظة الرحيل ورأسه ﷺ في حجرها ...

تقول أم المؤمنين تصف لحظات وفاة زوجها عليه الصلاة والسلام : توفي رسول الله ﷺ في بيتي، وفي يومي وليلتي ، وبين سحري ونحري ، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رطب ، فنظر إليه حتى ظننت أنه يريده ، فأخذته فمضغته ونفضته وطيبته ، ثم دفعته إليه ، فاستن به كأحسن ما رأيته مستناً قط ، ثم ذهب يرفعه إلي ، فسقطت يده ، فأخذت أدعو له بدعاء كان يدعو به له جبريل ،وكان هو يدعو به إذا مرض . فلم يدع به في مرضه ذاك فرجع بصره إلى السماء وقال : « *الرفيق الأعلى* » وفاضت نفسه ، فالحمد لله الذي جمع بين ريقه وريقي في آخر يوم من الدنيا(٢) .

---

(١) راجع تاريخ الطبري أنه استأذن من نسائه أن يمرض في بيت عائشة (١٩١/٣) ، وصحيح مسلم باب فضل عائشة رضي اللهعنها برقم (٢٤٤٣) ، والسيرة النبوية (٢٩٢/٤) ، والسمط الثمين (٥٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٨/٦) ، والحاكم في معرفة الصحابة (٧/٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وتقول رضي الله عنها : قبض رسول الله ﷺ بين سحري ونحري .. فمن سفهي وحداثة سني أنه ﷺ قبض وهو في حجري ، ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت أندب مع النساء وأضرب وجهي[1] .

وكادت تكون فتنة ، عصم الله المسلمين منها وذلك إثر وفاة الرسول ﷺ ، حتى وقف أبو بكر رضي الله عنه مخاطباً الناس ، فيقول :

« أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت ... » .

وتلا فيهم قوله تعالى في كتابه المنزل على رسوله ﷺ :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2]

فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ[3] .

---

(١) تاريخ الطبري (١٦٧/٣) ، ونحوه في صحيح مسلم ، كتاب الفضائل : رقم (١٣٦٥)

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٤٤) .

(٣) راجع صحيح البخاري ، مناقب أبي بكر (٢٠١/٢) .

ودفن رسول الله ﷺ حيث قبض في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها .

وعاشت بعدها تعلم الرجال والنساء، وتصحح آراء الناس في المرأة التي صدقت وصانت نفسها ، وتشارك في حياة الإسلام بما تعلمته عن رسول الله ﷺ ، فخاضت معركة الفتنة الكبرى التي صنعت التاريخ الإسلامي منذ مقتل « عثمان بن عفان » رضي الله عنه .

وقد ذكر هشام بن عروة عن أبيه بما رآه من السيدة عائشة أثناء حياتها أنه قال: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب ، من عائشة رضي الله عنها(١) .

وقد كان عروة يقول للسيدة عائشة رضي اللهعنها : يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر ـ وكان أعلم الناس ـ ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ، ومن أين هو ، وما هو ؟ قال : فضربت على منكبي ثم قالت : أي عرية : إن رسول الله ﷺ كان يسقم في آخر عمره ، فكانت تقدم عليه الوفود من كل وجه فتنعت له ، فكنت أعالجه ، فمن ثم ...(٢) .

هكذا عاشت حياتها بعد وفاة رسول الله ﷺ تعطي مما اكتسبته ، وتعلم مما تعلمته ، وتحدث بما حفظته ، وقد ذكر لها في كتب الصحاح عن رسول الله ﷺ ألفان ومئة وعشرة أحاديث جميعها صحيحة ومثبتة .

إلى أن كانت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضين من رمضان سنة سبع وخمسين للهجرة أغمضت جفناها رضي الله عنها وانتقلت روحها إلى الرفيق الأعلى

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/٤٩) ، الاستيعاب (٤/١٨٨٣) ، والإصابة (٨/١٤٠) .
(٢) المصدر السابق .

وهي من العمر في السادسة والستين[1] ، وصلى عليها « أبو هريرة » رضي الله عنه ، ثم شيعت جنازتها في غسق الليل إلى البقيع مرقد آل بيت النبي ﷺ ـــ وهذا ما أوصت به[2] ـــ تحت أنوار المشــاعل المصنوعة من جريد مغموس في الزيت ، وكانت الناس تسير وراء الجنازة باكية معولة نادبة أم المؤمنين رحمها الله ، فلم تر ليلة في المدينة المنورة أكثر ناساً من تلك الليلة .

وأودع جثمانها الطاهر في البقيع مع أمهات المؤمنين ، بعد أن نزل معها إلى القبر لتلقي جثمانها ولدا أختها أسماء ذات النطاقين : عبد الله وعروة ابنا الزبير ، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد ، وعبد الله ابن أخيها عبد الرحمن ، وكلهم من رواة الحديث عنها[3] .

وهدأت روحها الطاهرة تحت مرقدها ، بعد أن خلفت من ورائها أجيالاً ترصد دقائق حياتها منذ كانت في السادسة من عمرها مستلهمــة تلك التربية التي صاغتها ، فجعلت منها نموذجاً فريداً لم تعرف الدنيا مثلها خلال أربعة عشر قرناً خلت .

---

(١) الاستيعاب (١٨٨٥/٤) ، والسمط الثمين (٨٢) ، وتاريخ الطبري حوادث سنة ٥٨ هـ .

(٢) راجع (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) للسمهوري (٩١٣/٣) وفيه وصف قبرها وموضعه .

(٣) راجع ما ذكر عنها في الإصــابة ، وتهذيب التهذيب ، وطبقـات ابن سعد ، والاستيعاب ، وتاريخ الطبري .. وغيره من المراجع .

أم المؤمنين

حفصة بنت عمر

رضي الله عنها

حافظة القرآن الكريم

أمّ المؤمنين

حفصة بنت عمر

رضي الله عنها

حافظة القرآن الكريم

« ... يا بنية : لا يغرنكِ هذه التي أعجبها حسنها وحب الرسول ﷺ إياها . والله لقد علمتِ أن رسول الله لا يحبكِ ، ولولا أنا لطلقكِ » .

وأشرقت في خاطره رضي الله عنه لمحة مضيئة مشرقة ، أيتزوج النبي ﷺ ابنتي حفصة ؟...

ذاك والله شرف عظيم ، لم تتطاول أمانيه أن يصل إليه أو حتى التفكير به .

ــ حافظة المصحف الشريف .. الصوامة .. القوامة .. الشريفة ..

أم المؤمنين :

حفصة بنت عُمَر بن الخطاب

ابن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي من قريش .

وأمها زينب بنت مظعون .

إنها السيدة الجليلة الأرملة الشابة .. صاحبة الشباب والجمال والتقوى . حفصة بنت عمر بن الخطاب الصحابي الجليل الذي أعز الله به الإسلام ، رضي الله عنهما ..

لقد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ ، فلم يشهد تلك الوقعة من بني سهم غيره الصحابي الجليل « خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي القرشي »[1] ، صاحب الهجرتين ، شهد بدراً وأحداً ، ثم مات بعدها في دار الهجرة على إثر إصابته في أحد . وخلف وراءه تلك الأرملة الشابة التقية حفصة بنت عمر ، وهي في زهرة الصبا ، بعمر لا يتجاوز الثامنة عشرة .

لقد ضاق صدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ترمل ابنته ، وهو يلمح شبابها تغتاله الأيام ويمحو من صباها وهي بهذه السن المبكرة ، واغتم لمصابها في زوجها المهاجر المجاهد ، وبدأ يشعر بانقباض كلما دخل بيته ورأى ابنته في حزنها ، وبدا له بعد تفكير طويل أن يختار لها زوجاً تأنس إليه فتسترد بعض الذي أضاعت من السكن إلى الزوج خلال ستة أشهر أو أكثر ...

---

(١) راجع ترجمته في وفاء الوفا (٣/٩٠٠) ، والسيرة النبوية باب زوجات النبي ﷺ (٣/٣٤١) ، وتاريخ الطبري (٣/١٧٧) ، وفي جمهرة الأنساب (١٥٦) ، والمحبر لابن حبيب (٨٣) ، ونسب قريش (٤٠٢) . وقد عرف اسم خنيس في ترجمته بطبعة الشرفية « بحصن »في ترجمة السيدة حفصة بنت عمر .

ووقع اختياره على أبي بكر الصديق رضي الله عنه أحب الناس إلى الرسول ﷺ ، فإن أبا بكر بسماحته ووداعته ورزانته حري بأن يحتمل حفصة بما ورثت عن أبيها من شدة الغيرة وصرامة الطبع .

ولم يتردد رضي الله عنه بما ألهمه الله تعالى من اختيار ، بل ذهب من فوره إلى الصديق أبي بكر يحدثه عن حفصة وما ابتلاه الله به من الترمل ... والصديق رضي الله عنه يصغي إليه في عطف ومواساة ، ومن ثم عرض عليه أن يتزوجها وفي يقينه أنه لن يتردد في قبول الشابة التقية ابنة الرجل الذي اعزَّ الله به الإسلام ، ولكن أبا بكر رضي الله عنه أمسك ولم يجبه بشيء ...

وانصرف عمر رضي الله عنه ذاهلاً من الموقف الذي وضع به ولا يكاد يصدق أن صاحبه أبا بكر يرفض الزواج من حفصة بعد أن عرضها أبوها عليه ...

وذهب إلى بيت « عثمان بن عفان » رضي الله عنه وكانت زوجته السيدة « رقية بنت محمد » ﷺ قد توفيت على أثر مرضها بالحصبة بعد أن تم نصر المؤمنين في غزوة بدر .

وتحدث عمر بن الخطاب إلى عثمان بن عفان ، فعرض عليه ابنته حفصة وهو لا يزال يحس مهانة رفض أبي بكر بالزواج منها ،.. فطلب منه عثمان رضي الله عنه أن يستمهله أياماً .

جاءه بعدها فقال له : « ما أريد أن أتزوج اليوم ! .؟.. »[1] .

---

(١) كما وردت في الاستيعاب (١٨١١/٤) ، والإصابة (٥١/٨) ، وعيون الأثر (٣٠٢/٢) ، والسمط الثمين (٨٣) .

ازداد عمر هماً وغماً برفض عثمان بعد رفض أبي بكر ، وكبر في نفسه أن يلقاه كل منهما هذا اللقاء القاسي ، وهو صاحبهما ورفيقهما الذي لا يجهلان مكانته . فوجد عليهما وانكسر ، وانطلق إلى رسول الله ﷺ ، وشكا حاله وما كان من أمر أبي بكر وعثمان بن عفان .

فتبسم النبي ﷺ وقال :

« يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة » (١) .

ويردد عمر قول الرسول ﷺ وهو مأخوذ بروعة المفاجأة « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان » ، هل يتزوج النبي ﷺ ابنتي حفصة ...

ذاك واللهشرف عظيم لم تتطاول إليه أمانيه ...

وتهلل وجه عمر رضي الله عنه بهذا الشرف العظيم ، وزال ما به من الغم ، وذهب مسرعاً ليزف البشرى لكل من يحب ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من لقيه ، وما إن نظر إليه الصديق حتى أدرك على الفور سر تهلله وفرحته فمد إليه يده مهنئاً ومعتذراً وهو يقول :

« لا تجد علي يا عمر ، فإن رسول الله ﷺ ، ذكر حفصة ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها لتزوجتها » (٢) .

---

(١) رواه البخاري في النكاح (١٣٠/٦) ، والنسائي في النكاح (٨٣/٦) ، وابن سعد في الطبقات (٨٢/٨) ، والاستيعاب (١٨١١/٤) ، والإصابة (٥١/٨) ، وعيون الأثر (٣٠٢/٢) ، والسمط الثمين (٨٣) .

(٢) السمط الثمين (٨٣) ، وعيون الأثر (٣٠٢/٢) ، والإصابة (٥١/٨) ، والاستيعاب (١٨١١/٤) .

وباركت المدينة بأسرها زواج النبي ﷺ من حفصة بنت عمر في شعبان من السنة الثالثة للهجرة(1) .

وهكذا انضمت السيدة حفصة إلى زوجات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين الطواهر ، وكان منهن في بيت النبـوة آنذاك السيدة (سودة) والسيدة (عائشة) رضي الله عنهما ، وحينا تتابعت الضرائر بالدخول إلى بيت النبوة وقفت السيدة حفصة إلى جانب السيدة عائشة رضي الله عنها لأنها ترى فيها أقرب الضرائر إليها وأجدرهن بأن تقف معها متمثلة دوماً قول أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لها :

« أين أنتِ من عائشة ، وأين أبوكِ من أبيها ؟ » .

وسمع يوماً بأن ابنته تراجع الرسول ﷺ حتى يظل يومه غضبان ، فمضى من فوره حتى دخل عليها فسألها إن كان ما سمعه حق ؟ أجابت بأنه حق ، فصاح يزجرها :

« تعلمين أني أحذركِ عقوبة الله وغضب رسوله ، يا بنية ، لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها ، واللهلقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبكِ ، ولولا أنا لطلقكِ !! » .

كانت السيدة حفصة معتدة بذاتها ، مدلّة بشخصيتها ، لا ترى في منزلة أحد من ضرائرها ما يجور على مكانتها أو ينافسها ، وكذلك زوجها عليه الصلاة والسلام لم تكن تتحرج من معارضته في بعض الأحيان .

روى « ابن سعد » في حديث الحديبيـة وبيعـة الرضوان : أن رسول الله

(1) تاريخ الطبري (9/3) ، وفاء الوفا (900/3) ، وكذلك في الاستيعاب والإصابة .

ﷺ ذكر وهو في مجلســه عند حفصــة أصحـابه الذين بايعوه تحت شجرة الحديبية ، فقال :

« ***لايدخل النار إن شاء الله أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها*** » .

قالت حفصة : « بلى يا رسول الله !!.. » .

فانتهرها . فتلت الآية الكريمة :

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾

فقال النبي ﷺ : قال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

ويشفع لها النبي ﷺ ما استطـاع ، ويعزي ذلك عنده أنوثتها الضعيفة التي كانت تستثير رحمته ﷺ وبنوتها لأعز أصحابه .

وحدث يوماً أن خلا « بمارية » في بيت حفصة فعاد جرحها يقطر دماً ، والغيرة تملأ قلبها ، فلما انصرفت « مارية »دخلت حفصة على النبي ﷺ وقالت له : « لقا رأيت من كان عندك ، والله لقد سببتني ، وما كنت لتصنعهـا لولا هواني عليك ! ... ».

---

(١) الآيتان من سورة مريم ، الآيتان (٧١ ــ ٧٢) .
والرواية ذكرت في الطبقات الكبرى (٧٣/٢) ط ليدن .

ووقعت كلمتها على النبي ﷺ موقعاً أليماً ، وبسماحة قلبه واتزان عقله أقبل عليها يترضاها ويخبرها سراً بأن « مارية » حرام عليه . ثم أوصاها أن لا تحدث أحداً بما كان ، ولتعتبره كأن شيئاً لم يحدث ..

ولم تستطع السيدة حفصة أن تكتم كلام رسول الله ﷺ لفترة طويلة ، بل قدمت إلى السيدة عائشة وأذاعت السر لها ، ولم تكن تقدر عواقب هذا الإفشاء .

فأنزل الله تعالى فيهما آياته الكريمة :

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾

فهذا الحديث عن تحريمه ﷺ « مارية » على نفسه ، وإفشاء حفصة السر إلى السيدة عائشة وتظاهرهما على النبي ﷺ ، هو المتداول في كتب الفقه وكتب التفسير في سبب نزول سورة التحريم[٢] .

---

(١) سورة التحريم ، الآية (٤) .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (٦٩/٦) باب تبتغي مرضاة أزواجك ، وكذلك أخرجه مسلم في الطلاق (١٤٧٤) باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته .

في شرح صحيح مسلم عبد القاضي عياض (١١٠٠/٢) وكذلك تفسير الطبري والزمخشري والبحر المحيط في سورة التحريم . وكذلك فيما اتفق عليه الشيخان أن آيات التحريم نزلت في تحريمه ﷺ شرب العسل على نفسه لما قالت له عائشة ومن معها : « أكلت مغافير ؟» فيما أورد في (١٦٢/٢) .

ومن خلال هذا التصرف الذي تصرفته حفصة بنت عمر أشعلت النار من حيث لاتدري ولا تقدر ، فقد دفع رسول الله ﷺ إلى تطليق حفصة طلقة واحدة كما يروي « ابن حجر » ثم ارتجعها ، وذلك رحمة بعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي حثا التراب على رأسه ، وقال : « ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها » .

وكذلك نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ، فقال : « إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر » . وكذلك في روايات أخرى أن جبريل عليه السلام ، نزل على محمد ﷺ فقال له : « أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك في الجنة »(٢) .

وأدركت السيدة حفصة فداحة ما سببت للزوج الكريم ﷺ من كرب وألم عندما أذاعت سره ، ثم عادت إلى الأمن والسكينة والاطمئنان بعد أن عفا رسول الله ﷺ عنها ، وعاشت مع الزوج الكريم عليه الصلاة والسلام كأحسن ما تكون المرأة مع زوجها .

وذكر ابن حجر في الإصابة :

أن عمر رضي الله عنه دخل على ابنته وهي تبكي ، فقال :

« لعل رسول الله قد طلقك ؟ إنه كان قد طلقك مرة ثم راجعك من أجلي ، فإن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً »(٢) .

وعندما انتقل الرسول الكريم صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى وخلفه أبو

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٢٢٨٣) ، وابن ماجه برقم (٢٠١٦) ، والنسائي في الطلاق (٦/٢١٢) .
(٢) وراجع ما ذكر في الاستيعاب (٤/١٨١٢) ، وعيون الأثر (٢/٤٠٢) والسمط (٨٥) ، والإصابة (٨/٥٢) .
(١) راجع الإصابة ، وكذلك حلية الأولياء (٢/٥١) .

بكر الصديق ، كانت حفصة هي التي اختيرت من بين أمهات المؤمنين جميعاً .. وفيهن عائشة ــ لتحفظ أول مخطوط للقرآن الكريم جمع من الصحابة رضوان الله عليهم .

وتوفي أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ في أواخر جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة للهجرة ، وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فشهد المسلمون أمجاده ومآثره في فتوح الشام والعراق ومصر ... وكذلك شهدت السيدة حفصة أمجاد أبيها وفتوحاته ، وعاشت من خلاله رضي الله عنها عابدة قانتة ، صوامة قوامة ، منفردة بشرف الائتمان على دستور الأمة وكتابها الأول ومعجزته الخالدة ، ومصدر شريعته الراشدة وعقيدته الواحدة .

وعندما أحس أبوها أمير المؤمنين رضي الله عنه بدنو أجله بعد أن طعنه «أبو لؤلؤة المجوسي» في سنة ثلاث وعشرين للهجرة من ذي الحجة ، كانت السيدة حفصة رضي الله عنها هي الوصية على تركته .

وتولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب عثمان بن عفان رضي الله عنهما وفي عهده تم توحيد حرف المصحف ورسمه ، من خلال المصحف المجموع والمودع لدى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها .

وأقامت بقية حياتها بالمدينة المنورة على العبادة قوامة صوامة إلى أن أسلمت روحها للباري في سنة سبع وأربعين للهجرة[1] ، في عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية ، بعد أن أوصت أخاها عبد الله بما أوصاها عليه أبوها ، وشيعتها المدينة المنورة إلى مثواها في البقيع مرقد أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

---

(١) في سنة وفاتها خلاف بين المؤرخين والراجح أنها توفيت كما ذكر في المتن . راجع ترجمتها في الطبقات والاستيعاب والإصابة وكذلك عيون الأثر (٣٠٢/٢) .

فرضي الله تعالى عن حفصة بنت عمر زوجة رسول الله ﷺ حافظة المصحف الشريف ، التي قال عنها جبريل عليه السلام بأنها صوامة قوامة وأنها زوجة النبي ﷺ في الجنة .

أمّ المؤمنين

زينب بنت خزيمة

رضي الله عنها

أمّ المساكين

أمّ المؤمنين

زينب بنت خزيمة

رضي الله عنها

أمّ المساكين

صاحبة الأمومتين : أم المؤمنين ، وأم المساكين...

صاحبة الإطلالة والرحمة والشفقة ، التي لم تهنأ في بيت النبوة سوى شهور عدة ، حتى انتقلت قريرة العين ، وأسلمت روحها للباري عز وجل وهي في ريعان الصبا والشباب ...

ـــ زينب بنت خزيمة :

ابن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، الهلالية[1] .

---

(١) راجع ترجمتها في السيرة النبوية لابن هشام (٦٤٧/٤) ، وتاريخ الطبري (١٧٩/٣) ، والمحبر (٨٣) وجمهرة أنساب العرب (٢٢٦) ، والسمط الثمين (١١٢) وعيون الأثر (٣٠٢/٢) ، ولم يختلفوا في نسبها لأبيها كما صرح ابن عبد البر في الاستيعاب .

وأمها : هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة ، الحميرية[1] .

« هند بنت عوف » التي قيل عنها : (ولايعلم امرأة من العرب كانت أشرف أصهاراً من هند بنت عوف ، أم ميمونة وأخواتها)[2] .

لم يمض وقت طويل على دخول السيدة حفصة بنت عمر رضي اللهعنها بيت النبوة حتى دخلته رابعة أمهات المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة زوجة كريمة للرسول ﷺ ، صاحبة الإطلالة والرحمة والشفقة بين نسائه ﷺ ، فلم تكد تمضي شهوراً قليلة بينهن لا تتجاوز ثمانية الشهور[3] ، حتى وافتها المنية وانتقلت إلى الرفيق الأعلى وهي لا تزال في ريعان الشباب بعمر لا يتجاوز الثلاثين عاماً ، وحين ماتت دفنت بالبقيع ،فكانت أول زوجة من زوجات الرسول ﷺ تدفن في هذا المكان ، وهي ثاني زوجة من زوجاته عليه الصلاة والسلام تموت في حياته بعد السيدة خديجة بنت خويلد التي دفنت بالحجون في مكة ...

هذا وقد تعددت الروايات فيمن كانت عنده قبل رسول الله ﷺ :

ففي عيون الأثر عن ابن عبد البر وابن سيد الناس والطبري في السمط الثمين ومما ذكر في ترجمتها بالإصابة والاستيعاب أنها كانت عند الطفيل بن الحارث فطلقها ، فخلف عليها النبي ﷺ .

---

(١) ذكره كذلك النسابة « أبو جعفر بن حبيب » في مبحث أسلاف رسول الله ﷺ من قبل ميمونة ابنت الحارث بن حزن الهلالية ، وقد أغفلته جميع مصادر النسب السابقة ، بل نقل عبد البر فيها قول أبي الحسن الجرجاني النسابة : « وكانت زينب بن خريمة أخت ميمونة بنت الحارث — أم المؤمنين — لأمها » .

(٢) المحبر (١٠٥ — ١٠٩) ، والإصابة (٩٥/٨) .

(٣) هذا ما ذكره ابن الكلبي .

وعن أبي نعيم في الإصابة أنها لم تلبث عنده سوى شهرين أو ثلاث وماتت .

وفي شذرات الذهب أنها عاشت عنده ثلاث أشهر ثم توفيت . — والله أعلم — .

وفي السيرة النبوية لابن هشام أنها كانت عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكانت قبله عند جهمة بن عمرو بن الحارث الهلالي ، وهو ابن عمها ..

وفي حكاية ابن عبد البر عن الزهري وابن حجر في الإصابة أنها كانت عند عبد الله بن جحش فاستشهد في أحد ، فخلف عليها النبي ﷺ .

وعن ابن الكلبي أنها كانت عند الطفيل بن الحارث فطلقها ، فخلفه عليها أخوه فقتل في بدر ، فخطبها رسول الله ﷺ .

وهكذا نرى بأنه قد تعددت الروايات والاجتهادات فيمن كانت عنده قبل النبي ﷺ والراجح والله أعلم ـــ أنها كانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ، فخلفه عليها أخوه عبيدة بن الحارث ، وقد استشهد رضي الله عنه في بدر ، فخلفه رسول الله ﷺ .

وكذلك اختلفت الروايات مرة أخرى فيمن تولى زواجها من النبي ﷺ :

وفيما ذكر عن ابن هشام في السيرة النبوية : أنه زوجه إياها عمها : قبيصة ابن عمر الهلالي ، وأصدقها الرسول ﷺ أربعمائة درهم .

وعن ابن الكلبي فيمن ذكره في الإصابة : أن رسول الله خطبها إلى نفسها فجعلت أمرها إليه فتزوجها ..

وفيما أتفقت عليه أكثر المصادر أنه ﷺ قد تزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة ، فأقامت عنده عدة شهور وبعدها توفيت ..

وكذلك اتفق أغلب المؤرخين على وصفها بالطيبة والكرم والعطف على الفقراء ، ولا يكاد اسمها يذكر في أي كتاب مما ذكرناه إلا مقروناً بلقبها الكريم : « أم المساكين » .

ومما ذكره ابن هشام في سيرته : « وكانت تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم »[1] .

وكذلك مما ذكر في الاستيعاب والإصابة: « وكان يقال لها أم المساكين ، لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم » ــ وكذلك غيره ــ[2] .

وذكر فضيلة الشيخ محمد المدني : « وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها هي أجودهن ــ أزواج النبي ﷺ ــ وأبرهن باليتامى والمساكين .. حتى كانت تعرف بأم المساكين »[3] .

والراجح أنها ماتت في الثلاثين من عمرها كما ذكر « الواقدي » ونقل « ابن حجر » في الإصابة ، ولم أقف على خبر عنها في حياتها الزوجية القصيرة ، فحسبنا أن نتمثلها هناك قريرة العين بما نالت من شرف الزواج من النبي ﷺ وأمومة المؤمنين ، منصرفة عن شواغل الحريم ، بما كان يشغلها من أمر المساكين ، قانعة بحظها من تقدير النبي ﷺ ، والمؤمنين ، لايرهقها طمع ولا تنتهكها غيرة[4] .

وأسلمت روحها للباري عز وجل في سلام ، كما عاشت هذه الفترة القصيرة بسلام ، ويكفيها عزة وشرفاً أن رسول الله ﷺ قد صلى عليها ، وكذلك دفنها بالبقيع ، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢٩٦/٤) .

(٢) تاريخ الطبري (٣٣/٣) ، شذرات الذهب (١٠/١) .

(٣) هذا ما ذكره في مقال له نشر بمجلة الرسالة العدد (١١٠٣) تاريخ ٩٦٥/٣/٤ . والأرجح في قوله أن فضيلة قد أخطأ في التسمية بين زينب بنت جحش عوضاً عن زينب بنت خزيمة سهواً ، وذلك أن جميع المصادر تثبت هذا الوصف لزينب بنت خزيمة ــ والله أعلم ــ .

(٤) نساء النبي ــ د . عائشة عبد الرحمن ــ ص (١٣٦) .

أم المؤمنين

هند بنت أبي أمية

رضي الله عنها

أم سلمة

أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة

أم المؤمنين

هند بنت أبي أمية

رضي الله عنها

أم سلمة

أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة

قالت السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما :

« لما تزوج الرسول ﷺ « أم سلمة » حزنت حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها ، فتلطفت حتى رأيتها ، فرأيت أضعاف ما وصفت به » .

إليكِ يا من بشرت بالجنة ، ويا من فديت ولد أحشائكِ خشية معصية الله ورسوله ﷺ بقولكِ لعلي كرم الله وجهه :

« يا أمير المؤمنين ، لولا أن أعصي الله عز وجل ، وأنك لا تقبله مني ، لخرجت معك وهذا ابني عمر ، والله لهو أعز علي من نفسي ، يخرج معك فيشهد مشاهدك » .

وقالت للسيدة عائشة رضي الله عنهما :
« أي خروج هذا الذي تخرجين ؟.. الله من وراء هذه الأمة !.. لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي : ادخلي الفردوس ، لاستحييت أن ألقى محمداً ﷺ هاتكة حجاباً قد ضربه علي » ..

ــ المهاجرة ، بنت زاد الركب ، ذات النسب العريق ، صاحبة الجمال والإباء والفطنة :
هند بنت أبي أمية ، أحد أبناء قريش المعدودين ، وأجوادهم المشهورين ، وقد ذهب على الدهر بلقب « زاد الركب »لأنه كان إذا سافر لايترك أحداً يرافقه ومعه زاد ، بل يكفي صاحبه من الزاد ...
ــ هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية[1] ..

ــ وأمها : عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خديجة بن علقمة الكنانية من بني فراس الأمجاد وكان جدها علقمة ، يلقب بجذل الطعان .

قد مات عنها زوجها أبو سلمة ، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم ، الصحابي الجليل صاحب الهجرتين .

(١) السيرة لابن هشام (٣٤٥/١ ــ ٢٩٤/٤) ، تاريخ الطبري (١٧٧/٣) ، نسب قريش (٢١٦) ، السمط (٨٦) ، عيون الأثر (٨٦/٢) ، الإصابة (٢٤٠/٨) .

وقد كان أبو سلمة ابن عمة الرسول ﷺ ، برة بنت عبد المطلب بن هاشم ، وكان أخا المصطفى ﷺ بالرضاعة ، فقد أرضعتهما السيدة ثويبة ، مولاة أبي لهب[1] ..

وقد كان لأبي سلمة ولزوجه هند ، إلى جانب هذا النسب العريق ، ماضٍ مجيد في الإسلام ، فقد كانا من بين العشرة الأولين الذين هاجروا إلى الحبشة .

وكانت السيدة هند خير زوجة وفاءً وطاعة وقياماً بحقوق الزوج حق القيام . فهيأت له الجو المنزلي الذي يستريح إليه ، ووقفت إلى جانبه ، وتحملت معه صنوف العذاب وأقساها ، وبعدها سافرت معه إلى الحبشة فراراً بدينها ، تاركة خلفها المال ، والأهل ، والوطن ، رافضة الاستسلام للظلم والطغيان ...

وولدت في المهجر ابنها سلمة[2] ..

وبعد تمزيق صحيفة المقاطعة ، وإسلام حمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، عاد الزوجان إلى مكة مع من عاد .

ولما أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة بعد بيعة العقبة الكبرى ، أجمع أبو سلمة أمره على الهجرة بأهله ، فكانت قصة خروجها مأساة بالغة ... نترك فيها الحديث لأم سلمة رضي الله عنها تحدثنا بلسانها عن مراحل تلك الهجرة ..

حدثت أم سلمة رضي الله عنها قائلة :[3]

« لما أزمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ، ثم حملني عليه ،

---

(١) جمهرة أنساب العرب (١٣٤) ، ونسب قريش (٣٣٧) ، السيرة (١٠٢/٣) الاستيعاب (٦٣٩) .

(٢) السيرة لابن هشام (٣٤٥/١) .

(٣) ذكره ابن إسحاق في السيرة (١١٢/٢) ، والسمط (٨٧) ، وفي ترجمتها بالاستيعاب والإصابة .

وحمل معي ابني سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بعيره ، فلما رآه رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها في البلاد ؟..

قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني ، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد وأهووا إلى ولدنا سلمة وقالوا لرهط زوجي :

لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به رهط أبيه ، وحبسني بنو المغيرة عندهم .

ومضى زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة فراراً بدينه ونفسه ...

وفي لحظات وجدت نفسي ممزقة الشمل وحيدة فريدة حيث فرق بيني وبين زوجي وبين ابني في ساعة ...

ومنذ ذلك اليوم جعلت أخرج كل غداة إلى الأبطح فأجلس في المكان الذي شهد مأساتي ، وأستعيد صورة اللحظات التي حيل بيني وبين زوجي وبين ولدي ، وأظل أبكي حتى يخيم علي الليل .

وبقيت على ذلك سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي فرق لحالي ورحمني فقال لبني قومي : ألا تخرجون هذه المسكينة ،.فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ، وما زال بهم يستلين قلوبهم حتى قالوا لي : الحقي بزوجك إن شئت ...

ورد علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني . فرحلت بعيري ، ووضعت ابني في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، وما معي أحد من خلق الله .

حتى إذا كنت (بالتنعيم)[1] ، لقيت عثمان بن طلحة[2] ، فقال : إلى أين يا بنت زاد الركب ؟؟..

فقلت : أريد زوجي بالمدينة .

قال : أو ما معك أحد ؟

فقلت : لا والله. إلا اللهثم ابني هذا .

فقال : والله مالك من مترك .

وأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه كان أكرم منه ولا أشرف . كان إذا بلغ منزلاً من المنازل أناخ بي ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فأعده ورحله ، ثم استأخر عني وقال : اركبي .

فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه وقاده ... فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمر بن عوف بقباء ، وكان بها منزل أبي سلمة في مهاجره ، قال :

إن زوجك في هذه القرية ، فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة ...

---

(١) التنعيم : مكان على ثلاثة أميال من مكة . .

(٢) عثمان بن طلحة : كان حاجب بيت اللهفي الجاهلية ، وكان يوم رافق أم سلمة مشركاً . أسلم في هدنة الحديبية ، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد ، فلما فتحت مكة. دفع النبي ﷺ مفاتيح الكعبة إلى عثمان بن طلحة وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة . استشهد عثمان بن طلحة بأجنادين في خلافة عمر رضي اللهعنهما . (راجع ترجمته في الطبقات والإصابة والاستيعاب) .

وهكذا كانت أم سلمة أول ظعينة دخلت المدينة ، كما كانت من المهاجرين الأوائل إلى الحبشة ...

وفي المدينة المنورة عكفت على تربية صغارها ـ وهذه هي مهمة المرأة الأولى ـ وهيأت الجو المناسب ليتفرغ زوجها للجهاد ورفع راية الإسلام ، فشهد بدراً وأحداً ، وأبلى فيهما بلاءً حسناً ، ورمي بسهم في عضده ، ومكث يداويه حتى ظن أنه التأم .

وبعد شهرين من أحد بلغ النبي ﷺ أن بني أسد يدعون إلى مهاجمته في دار هجرته . فدعا إليه أبا سلمة وعقد له لواء سرية إلى (قطن) وهو جبل بناحية فيد ـ ومعه مائة وخمسون رجلاً ، منهم أبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ..

ونفذ أبو سلمة ما أمر به النبي القائد صلوات الله وسلامه عليه من أخذ العدو على غرة فأحاط بهم في عماية الصبح على غير أهبة منهم ، وتم لهم نصر طيب عادوا على إثره إلى المدينة سالمين غانمين وقد أعادوا بعض ما ضيع من هيبة المسلمين يوم أحد[1] ...

وفي هذه السرية انتكأ الجرح الذي أصاب أبا سلمة يوم أحد فألزمه الفراش ، وفيما هو يعالج من جرحه ، قال لزوجه :

يا أم سلمة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لايصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول : اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا فعل به » .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢/٣٥) ، وعيون الأثر (٢/٣٨) .

وذات صباح جاءه رسول الله ﷺ ليعوده ، ولم يكد ينتهي من زيارته حتى فارق أبو سلمة الحياة . فأغمض النبي ﷺ بيديه الشريفتين عيني أبي سلمة ، ورفع طرفه إلى السماء قائلاً :

« اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المقربين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين » .

وتلقت أم سلمة تلك المصيبة بقلبٍ مملوءٍ إيماناً ، ونفسٍ مشحونة صبراً . مستسلمة لقضاء الله وقدره ، وتذكرت ما رواه لها أبو سلمة عن رسول الله ﷺ ، فقالت : اللهم أجرني في مصيبتي ...

ولم تطلب نفسها أن تقول : واخلف لي خيراً منه . لأنها تساءلت : ومن عساه أن يكون خيراً من أبي سلمة ؟!...

لكنها ما لبثت أن أتمت الدعاء تعبداً لله ...

ولما انقضت عدتها تقدم لها عدد من الصحابة رضي الله عنهم خاطبين لها . وتلك عادة المسلمين في إكرام رجالها أن يحفظوا في زوجاتهم إن هم قضوا في ساحة الجهاد ..

فقد تقدم إليها « أبو بكر الصديق » رضي اللهعنه خاطباً ، فرفضت في رفق .

وتلاه « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ، فلم يكن حظه منها غير حظ صاحبه ..

وكان النبي ﷺ حينئذٍ يفكر في أمر هذه المرأة الكريمة ، والمؤمنة الصادقة ، الوفية الصابرة ، ورأى أنه ليس من الحكمة أن تترك وحيدة هكذا وليس من معيل .

وبينما كانت تدبغ إهاباً لها في أحد الأيام ، استأذن عليها رسول الله ﷺ ، فأذنت له ، ووضعت له وسادة من أدم حشوها ليف ، فقعد عليها وخطبها إلى نفسها . ولما فرغ من مقالته ، وأم سلمة لا تكاد تصدق ما تسمع ، وتذكرت حديث أبي سلمة : (واخلف لي خيراً منها) . ورددت في نفسها : هذا هو الخير .. ولكن صدق تلك المرأة وإيمانها جعلها تتردد كثيراً ، وأن تكشف لرسول الله ﷺ عيوبها ، فقالت مرحباً بك يا رسول الله ، وما لي لاتكون بك الرغبة ، ولكني امرأة بي غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني اللّهبه ، وأنا امرأة قد دخلت في السن ، وأنا ذات عيال ...

فقال عليه الصلاة والسلام :

« أما قولك : إنك امرأة مسنة ، فأنا أسن منك !.. ولا يعاب على المرء أن يقال : تزوج أسنَّ منه..

وأما قولك : إني أم أيتام ، فإن كلهم على الله ورسوله ...

وأما قولك : إني شديدة الغيرة ، فإني أدعو الله أن يذهب عنك ذلك... »[1]

واستسلمت لرسول الله ﷺ ، وقالت : لقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ ...

وتم الزواج في شهره المبارك « شوال من السنة الرابعة للهجرة على الصحيح »[2] .

---

(١) السمط (٨٩) ، والمحبر (٨٥) ، عيون الأثر (٣٠٤/٢) ، وكذلك في الإصابة والاستيعاب .

(٢) الإصابة وعيون الاثر ، وذلك خلافاً لما ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (سنة اثنتين) فلا يصح .

وتكلفتا السيدتان « عائشة وحفصة » ما استطاعتا من شجاعة وطاقة لتستقبلا الزوجة الجديدة بشيء من الصبر والمجاملة وذلك إكراماً للزوج ﷺ ..

وذكر ابن سعد عن الواقدي ، حديث عائشة رضي الله عنها :

« لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة ، حزنت حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها ، فتلطفت حتى رأيتها فرأيت والله أضعاف ما وصفت به ، فذكرت ذلك لحفصة فقالت :

« ما هي كما يقال »... وذكرت كبر سنها ...

« فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة ، ولكني كنت غيرى » .

وأصبحت أم سلمة أماً للمؤمنين ، وعاشت في بيت النبوة مقدرة وجودها حريصة على مكانتها ، مراعية جانب المودة والألفة مع أمهات المؤمنين .

وفي الصحيحين حديث أم سلمة رضي الله عنها ، قالت :

قلت : يا رسول الله ، هل لي من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم ؟ ولست بتاركتهم هكذا وهكذا ، إنما هم بني .

قال : « ***نعم ، لك أجر ما أنفقت عليهم*** »[1] .

وكذلك يوماً أبت على « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ، أن يتكلم في مراجعة أمهات المؤمنين لزوجهن الرسول ﷺ ، وقالت له منكرة :

« عجباً يا ابن الخطاب ، قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه ؟ » .

---

(١) اللؤلؤ والمرجان (٢٣٤/١) حديث رقم (٥٨٥) .

قال عمر : فأخذتني أخذاً كسرتني به عن بعض ما كنت أجد[1] .

هذا يبين لنا أن أم سلمة رضي الله عنها كانت من النساء العاقلات الناضجات اللواتي يدركن الأمور إدراكاً صحيحاً ، ويعطين فيها حكماً صائباً ، ودليل ذلك ما حدث يوم الحديبية حين أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن ينحروا بعد أن فرغ من توقيع عقد الصلح مع وفد قريش . ولكن الصحابة لم يستجيبوا لأن في نفوسهم البشرية الشيء الكثير عن الصلح ويرونه هضماً لحقوق المسلمين ، وكرر النبي عليه الصلاة والسلام طلبه بالنحر ثلاث مرات دون أن يجيبه أحد . فدخل على أم سلمة وهو حزين متألم ، فذكر لها ما كان من أمر المسلمين ، وإعراضهم عن أمره ، فقالت رضي الله عنها :

يا رسول الله أتحب ذلك ، اخرج فلا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك .

فاستصوب النبي ﷺ رأي أم سلمة التي أشارت إليه ، فقام وخرج ، ولم يكلم أحداً حتى نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه .

فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم تقيل بعضاً غماً[2] .

هذا وكان شرفاً لأم سلمة رضي الله عنها أن صحبت النبي ﷺ في كثير من رحلاته .

فقد صحبته في العام السادس للهجرة إلى مكة معتمراً وهي الرحلة التي صدت فيها قريش محمداً ﷺ وأتباعه عن دخول البلد الحرام . وكذلك صحبته

(١) من حديث عمر بن الخطاب رضي اللهعنه ؛ متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان ٢/٨٣٠ ـــ حديث ٩٤٤) .

(٢) رواه البخاري في الشروط (١٨٢/٣) ، وأبو داوود في الجهاد رقم (٢٧٦٥) .

في غزوة خيبر ، وفي فتح مكة ، وفي حصاره الطائف وغزو هوازن وثقيف ، ومن ثم في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة ...

وبعد أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى أقامت أم المؤمنين أم سلمة ترقب مجريات الأمور ، وتطور الأحداث ، فتدلي برأيها في كل شأن فيه حفاظاً على استقامة الناس ، وعدم انحرافهم، وخاصة أصحاب السلطان من الخلفاء والولاة ، وترفع عن المسلمين غائلة الظلم ، و تصدع بكلمة الحق لاتخشى في الله لومة لائم .

وتقدم العمر بأم سلمة حتى امتحنت ، كما امتحن الإسلام وأمته ، بمذبحة كربلاء ومصرع الإمام الحسين وآل البيت ، على الساحة المشؤومة .

هذا وقد أسلمت روحها للباري عز وجل في شهر ذي القعدة من العام التاسع والخمسين للهجرة[1] . بعد أن جاءها نعي الحسين بن علي رضي الله عنهما.. وقد تجاوزت الرابعة والثمانين من العمر ...

وقد صلى عليها « أبو هريرة » رضي الله عنه وشيع المسلمون إلى البقيع ، أم سلمة بنت زاد الركب ، آخر من مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ...

(١) هذا ما ذكره ابن حجر في ترجمتها في الاستيعاب والإصابة وتهذيب التهذيب عن أبي بكر بن أبي خيثمة وابن حبان . وكذلك ذكره القاضي عياض عن ابن أبي خيثمة وابن عبد البر وكذلك أثبته ابن حبيب . وخلافاً لقول الواقدي بتاريخ وفاتها .

أمّ المؤمنين

زينب بنت جحش

رضي الله عنها

أكرم أمّهات المؤمنين وليّاً وسفيراً

أم المؤمنين

زينب بنت جحش

رضي الله عنها

أكرم أمهات المؤمنين وليّاً وسفيراً

قال الله تعالى في سورة الأحزاب :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

التقية النقية ، أم المؤمنين زينب بنت جحش ، تقول للنبي ﷺ :

« أنا أعظم نسائك عليك حقاً : أنا خيرهن منكحاً ، وأكرمهن ستراً ، وأقربهن رحماً . زوجنيك الرحمن من فوق عرشه وكان جبريل عليه السلام هو السفير بذلك ، وأنا بنت عمتك وليس لك من نسائك قريبة غيري » .

وكذلك السيدة عائشة رضي الله عنها تقول فيها :

« لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل رحماً ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به إلى الله عز وجل » .

أم المؤمنين : السيدة زينب بنت جحش ،

ابنة عمة الحبيب المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم ، الشابة الشريفة الحسناء ، التقية ، النقية ، الخاشعة الراضية ، الأواهة الداعية ، ذات الحسب والنسب والجمال .

زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر الأسدية من سلالة بني أسد بن خزيمة المضريين وحفيدة عبد المطلب بن هاشم .

وأمها : أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ[1] .

وكان اسم زينب قبل زواجها من النبي ﷺ « برّة » ولما تزوجها ﷺ سماها « زينب »[2] .

وقد أثار زواجها من الرسول الكريم ﷺ ضجة كبيرة في أوساط أهل المدينة المنورة وأصحاب رسول الله ﷺ ، إذ كانت مطلقة من زيد بن حارثة ، التي لم تكن ترغب وأهلها في الزواج منه .

---

(١) راجع ترجمتها : السيرة النبوية (٢٩٤/٤) ، وعيون الأثر (٣٠٤/٢) ، جمهرة أنساب العرب (١٨٠) ، والمحبر (٨٥) ، حلية الأولياء (٥٣/٢) ، وكذلك في الإصابة والاستيعاب وتهذيب التهذيب .

(٢) صحيح مسلم برقم /٢١٤٢/ كتاب الآداب ، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم « برّة » إلى زينب وجورية ونحوها ..

فقد كان زيد بن حارثة شاباً نهل العلم والحكمة من أصفى ينابيعهما ﷺ ، ولم يكن شاب خيراً منه في الدين ، فهو ربيب نبي الله وحِب رسول الله ﷺ . فكان كفؤاً لابنة عمة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام . ولكن تقاليد الجاهلية لم تكن قد انمحت بعد من نفوس المسلمين ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يعلم ذلك ، فقال لها :

« *رضيته لك* » .

فقالت رضي الله عنها : يا رسول الله لكني لا أرضاه لنفسي ، وأنا أيم قومي وبنت عمتك فلم أكن لأفعل .

فنزل قوله عز وجل :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾(١)

ورضيت زينب بقضاء الله تعالى ورسوله ، وقبلت أن تتزوج الشريفة سليلة المطلبين عبداً ، فقد كانت مؤمنة عميقة الإيمان ، وكانت تعلم أنه ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم .

وساق زيد بن حارثة صداق زينب بن جحش إلى رسول الله ﷺ وبنى بها وأكد الإسلام من خلال زواجهما أن الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود ولا حر على عبد إلا بالتقوى ، وأن الناس لآدم وأن آدم من التراب ، ومن أراد أن يتفاخر فليتفاخر بالتراب .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٦) .

وكان زيد أفطس الأنف غير ذي جمال ، فلم ينشرح قلب زينب له ، ولم يكتب للبيت الجديد السعادة ، وأحس نفوراً من زوجته ، ولما كان زيد ربيب النبي ﷺ فقد أبت عليه كرامته أن يرتبط بزوجة زاهدة فيه . فذهب إلى رسول الله ﷺ يعرض عليه أن يطلقها فقال له النبي عليه الصلاة والسلام :

ــ « *مالك يا زيد ؟ هل رابك منها شيء؟* » .

ــ لا والله يا رسول الله ما رابني منها شيء ولا رأيت إلا خيراً ، ولكنها تتعظم علي لشرفها وإن فيها كبراً ، تؤذيني بلسانها .

ــ « *أمسك عليك زوجك* » .

كانت زينب كارهة للبقاء مع زيد ، وكان زيد تأبى عليه كرامته أن يبقى معها فما كان يبرح رسول الله ﷺ يطلب منه أن يوافق على طلاقه من ابنة عمته زينب ، وكانت الحكمة تقتضي أن يقبل عليه الصلاة والسلام ذلك الفراق وأن يخطب ابنة عمته لنفسه لتتم شريعة الإسلام وليعوضها عن تضحيتها الغالية إطاعة لله ورسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم(١) .

ولما وقع الطلاق بينهما ومرت فترة انقضاء عدتها تقدم رسول الله ﷺليخطب زينب ، فأرسل زيد بن حارثة يخطبها له ، فذهب إليها زيد وجعل ظهره إلى الباب وقال لها :

ــ يا زينب بعث رسول الله ﷺ يذكرك .

« فلم ترد عليه زينب فقد كانت امرأة لم تكن امرأة خيراًمنها في الدين ، فاعتكفت تصلي للهتنتظر أمر السماء فيما عرض عليها ابن خالها رسول الله ﷺ » .

---

(١) ذكرت الرواية بين أقوال ابن حبيب في المحبر (٨٥) ، والسمط الثمين (١٠٨) وكذلك في المحب للطبري والزمخشري في الكشاف. وتفصيلاً بتصرف في (محمد رسول اللهوالذين معه١٣/١٩٤) .

فأنزل الله عز وجل قوله :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

ذكر الواقدي وغيره أن هذه الآية نزلت بينما كان رسول الله ﷺ يتحدث عن عائشة فأخذته غشية ، فسرى عنه وهو يبتسم ، ويقول :

« *من يذهب إلى زينب يبشرها ؟.. وتلا الآية الكريمة ....* » .

وطار البشير إلى زينب بالبشرى. وقيل إن سلمى خادمة رسول الله ﷺ هي التي حملت البشرى ، وقيل بل حملها زيد بن حارثة نفسه ، فتركت ما بيدها وقامت تصلي لربها شاكرة[٢] .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٧) .

(٢) انظر صحيح مسلم في كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس برقم (١٤٢٨) ، والنسائي في النكاح باب صلاة المرأة إذا خطبت (٦/٧٩) .

وهكذا زوج الله سبحانه وتعالى زينب رضي الله عنها من نبيه ﷺ بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد في هلال ذي القعدة سنة أربع من الهجرة[(١)] .

وكانت السيدة زينب بعد زواجها من رسول الله ﷺ تفخر بذلك على أمهات المؤمنين وتقول :

ـــ « زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق عرشه » .

وفي رواية : « إن الله أنكحني في السماء » .

وفي رواية أخرى : « وزوجني الله من فوق سبع سموات »[(٢)] .

وفي بعض الروايات كانت تقول :

« أنا أكرمكن ولياً ، وأكرمكن سفيراً : زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات »[(٣)] .

وقد كان زواج النبي عليه الصلاة والسلام من ابنة عمته حديث الدور والناس ، فراح المؤمنون يتلون الآيات التي نزلت على نبي الله ﷺ في بيت عائشة فرحين ، بينما تكلم في ذلك المنافقون فقالوا :

ـــ حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه[(٤)] .

---

(١) محمد رسول الله والذين معه (١٩٤/١٣) .

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء (١٧٦/٨) وفي تفسير سورة الأحزاب . وكذلك أخرجه الترمذي في التفسير ، باب ومن سورة الأحزاب برقم (٣٢١٢) . وأخرجه النسائي في النكاح ، باب صلاة المرأة إذا خطبت (٨٠/٦) .

(٣) راجع الإصابة (٩٢/٨) ، والاستيعاب (١٨٥١/٤) ، وطبقات ابن سعد (٧٣/٨) .

(٤) كان النبي ﷺ قد استوهب زيد بن حارثة من السيدة خديجة فخيره بين البقاء عنده أم ذهابه إلى أهله وقومه ، فاختار محمد ﷺ ، فأحبه كثيراً عليه الصلاة والسلام وخرج به إلى الملأ من قريش وأشهدهم أن زيد بن حارثة ابنه (بالتبني) وارثاً وموروثاً .

فأنزل الله تعالى آياته الكريمة :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1]

كانت زينب مفزع اليتامى والأرامل وأطول نساء النبي ﷺ يداً ، كانت تقضي نهارها في محرابها ، وتقوم الليل إلا قليل ، وقد قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ـــ ***« إن زينب بنت جحش أواهة»*** .

فقال رجل :

ـــ يا رسول الله ما الأوَّاه ؟.

ـــ قال ﷺ : ***الخاشع المتضرع إلى الله عز وجل وتلا الآية الكريمة :***

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾[2]

وأصبحت السيدة زينب بنت جحش تسامي عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما في المنزلة عند رسول الله ﷺ وعلى الرغم من غيرة عائشة منها فإنها لم تقل إلا خيراً فيها ، فقالت :

ـــ « ولم أر قط خير امرأة في الدين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٤٠) .

(٢) سورة هود ، الآية (٧٥) .

حديثاً ، وأوصــل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به إلى الله عز وجل »[1] .

ولاغرابة في قول عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تترعرع في مدرسة القرآن وتتلقى العلم من رسول الله عليه الصلاة والسلام وتتأدب بآدابه وتنهل من كريم أخلاقه .

وكانت زينب رضي الله عنهـا كريمة خيرة تصنع بيديها ما تحسن صنعـه فتدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله على المساكين .

وسمعت عائشة تقول حين بلغها نعي « زينب » :

« لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل » .

قال رسول الله ﷺ لأزواجه :

«أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً » .

فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاته ﷺ ، نمد أيدينا في الجدار ، نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش ، ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة ، وكانت زينب صناع اليد تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله[2] .

وحينما حضرتها ساعات الموت ، قالت :

---

(١) السمط الثمين (١١٠) ، والاستيعاب (١٨٥١/٤) ، الإصابة (٩٣/٨) ، حلية الأولياء (٥٣/٢) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٠٨/٨) . والحاكم في المستدرك (٢٥/٤) وصححه ووافقه الذهبي . وأخرجه مسلم نحو هذا الحديث في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها برقم (٢٤٥٢) .

« إني قد أعددت كفني ، وإن عمر أمير المؤمنين ، سيبعث إليَّ بكفن ، فتصدقوا بأحدهما وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوقي ــ إزاري ــ فافعلوا » .

وحضرتها الوفاة وأسـلمت روحها للباري عز وجل في سنة عشرين من الهجرة ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة[١] . فصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وشيع أهل المدينة المنورة إلى البقيع أم المؤمنين زينـب بنت جحش . أول من مات من نساء النبي ﷺ بعده .

« فرحم الله أكرم النساء ولياً وسفيراً وأطولهن يداً » .



(١) في رواية أنها توفيت سنـة إحدى وعشرين ، عام فتح العرب للإسكندرية (راجع الاستيعاب ١٨٥٢/٤) ، والإصابة (٩٤/٨) ، وعيون الأثر (٣٠٥/٢) ، وحلية الأولياء (٥٢/٢) . والرواية في المتن مأخوذة عن الواقدي في الإصابة والسمط الثمين (١١١) .

أم المؤمنين

جويرية بنت الحارث

رضي الله عنها

سيدة العتق والبركة

أمّ المؤمنين

جويرية بنت الحارث

رضي الله عنها

سيدة العتق والبركة

تقول جويرية بنت الحارث رضي الله عنها :
« ... رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال ، كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ ، فلما سبينا رجوت الرؤيا . فأعتقني رسول الله وتزوجني ، فتحققت الرؤيا » .

جويرية بنت الحارث :
أم المؤمنين ، سيدة بني المصطلق ، التقية النقية ، الخاشعة المتعبدة ، ذات الحسن والجمال ، والحسب والنسب .

برة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن خزيمة وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو الخزاعية المصطلقية[1] .

وكان اسمها قبل زواجها من الرسول ﷺ « برَّة » فسماها عليه الصلاة والسلام بعد أن تزوجها بـ « جويرية » كراهة أن يقال : خرج من عند « برَّة »[2] .

بلغ رسول الله ﷺ أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق جمع لحرب رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام من قدر عليه من قومه ومن العرب ، فأرسل ﷺ بريدة بن الخصيب ليعلم علم ذلك وليخبره عما يجري من إعداد العدة لغزوه .

وخرج بريدة من المدينة إلى بني المصطلق وهم بطن من خزاعة لهم ماء يعرف بالمريسيع وذلك الماء في ناحية قديد حيث يقوم صنم مناة ، وكانت إلهة الأوس والخزرج قبل أن يلقي الله في قلوبهم أنوار اليقين ومن ظل على دينه من خزاعة .

وتبين بريدة أمر بني المصطلق وما حشد من جموع لقتال الرسول ﷺ ، بقيادة زعيمهم « الحارث بن أبي ضرار »[3] .

ورجع بريدة إلى رسول الله ﷺ وأخبره ما كان من أمر بني المصطلق في قتاله ، فأمر ﷺ بإعداد العدة من الرجال والسلاح .

---

(١) راجع الإصابة للعسقلاني (٤٢/٨) . ولم أهتدي إلى اسم أمها ، لإغفاله بكافة كتب التراث .

(٢) السيرة لابن هشام (٢٩٤/٢) ، والإصابة (٤٣/٨) ، والاستيعاب (١٨٠٤/٤) . وكذلك صحيح مسلم برقم (٢١٤٢) كتاب الآداب ، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم « برَّة » إلى زينب وجورية ونحوها .

(٣) جمهرة أنساب العرب (٢٢٨) ، وكذلك حوادث السنة السادسة للهجرة من تاريخ الطبري

وخرج إليهم ﷺ ومعه من نسائه « عائشة بنت أبي بكر » حتى لقيهم على ماء لهم « المريسيع » ، فكان قتال انتهى بهزيمة المصطلق .

وسيقت إبلهم وشياههم ، وسبيت نساؤهم ، وكان من ضمن النساء السبايا « برَّة بنت الحارث بن أبي ضرار » سيد القوم وقائدهم .

وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة ، ثم فرق السبي فصار في أيدي الناس ، وبعث ﷺ أبا ثعلبة الطائي إلى المدينة بشيراً من المريسيع(١) .

ووقعت « برَّة بنت الحارث » أو جويرية كما سماها ﷺ في سهم ثابت بن قيس وابن عم له ، فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة في حصته من برة ، وأرادت أن تسترد حريتها فكاتبت(٢) ثابتاً على تسع أوراق من ذهب . فوجدت أنها لاطاقة لها بدفع ما طلب ، فانطلقت إلى حجرة رسول الله ﷺ تعرض عليه أمرها .

كان النبي ﷺ في حجرة عائشة فقدمت «جويرية» تلتمس مقابلته ، فوالله ما هو إلا أن رأتها عائشة بباب الخباء فكرهت دخولها على النبي ﷺ ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأت ، فقد كانت في العشرين من عمرها ، جميلة ذات شخصية آسرة ، تأخذ بمجامع القلوب ، لايكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه (٣) .

---

(١) محمد رسول الله والذين معه (٢٠١/١٣) .

(٢) المكاتبة : عقد القران .

(٣) السيرة لابن هشام (٣٠٧/٣) ، وتاريخ الطبري (٦٦/٣) ، والاستيعاب (١٨٠٤/٤) ، والسمط (١٧) .

ودخلت برة على رسول الله ﷺ فقالت له :

ـــ يا رسول الله إني امرأة مسلمة لأني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وإني « برَّة بنت الحارث » سيد قومه ، وقد أصابنا من الأمر ما قد علمت ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له ، وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة ، وكاتبني على مالا طاقة لي به ، وإني استعنتك فأعني في مكاتبتي .

فرق قلبه ﷺ لما سمعه من العزيزة المهانة المستذلة ، فقال لها :

ـــ « ***هل لكِ في خير من ذلك ؟*** » .

ـــ فقالت له في لهفة : وما ذاك يا رسول الله ؟.

ـــ قال ﷺ : « ***أقضي عنك كتابتك وأتزوجك*** » .

وتألق وجهها الجميل بالسرور ، وهي لاتكاد تصدق نجاتها من الضياع والهوان ، فقالت :

ـــ نعم يا رسول الله .

ـــ قال عليه الصلاة والسلام : « ***قد فعلت !...*** » .

فأدى رسول الله ﷺ ، ما كان كاتبها ثابت عليه، وأعتقها وتزوجها وسماها جويرية ، وكان يريد ﷺ بزواجه منها أن يصبح الخزاعيون أصهاره ، لعل ذلك يشرح صدورهم للإسلام .

ورأى المسلمون أنه ﷺ تزوج جويرية ، فقالوا في حق بني المصطلق :

ـــ أصهار رسول الله ﷺ .

فأعتقوا ما بأيديهم ــ أي من الأسرى ــ فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها(١) .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تصف ملاحة جويرية :

« .... وكانت امرأة حلوة ملاحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله تستعينه في مكاتبتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أن سيرى فيها ﷺ ما رأيت ...»(٢) .

وكذلك أصبحت الأسيرة الحسناء ، ابنة سيد بني المصطلق « جويرية بنت الحارث » شريكة لعائشة رضي اللهعنها وكذلك باقي أمهاتالمؤمنين زوجة من سيد بني البشر ﷺ .

وذكر ابن حجر في الإصابة عن قوة إيمان جويرية وحبها لرسول الله ﷺ ، فقال :

جاء أبوها الحارث إلى الرسول ﷺ ، وقال له :

إن ابنتي لا يسبى مثلها ، فأنا أكرم من ذلك ، فقال النبي ﷺ :

« ***أرأيت إن خيرناها أليس قد أحسنت ؟*** » .

---

(١) السيرة لابن هشام (٢/٢٩٤) ، وتاريخ الطبري (٣/٦٦) والإصابة والاستيعاب بترجمتها ، والسمط (١١٦) .

(٢) السيرة لابن هشام (٢/٢٩٤) والإصابة (٨/٤٣) والاستيعاب (٤/١٨٠٤) ، وقد ذكر السهيلي في شرحه للسيرة : وأما نظرته عليه الصلاة والسلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ، فإنما كان ذلك لأنها امرأة مملوكة . ولو كانت حرة حاملاً عينيه منها .. وجائز أن يكون نظر إليها لأنه أراد نكاحها .. وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ..
وفي الروض الأنف (٣/١٩) أنه قال للمغيرة : « لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يدوم بينكما . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك » .

قال : بلى ، فأتاها أبوها فذكر لها ذلك ، فقالت : اخترت الله ورسوله) .

وروى ابن هشام في السيرة : أنا أباها الحارث أسلم وقد أسلم معه ابنان له وناس من قومه .

وكما يذكر بأن السيدة جويرية رضي الله عنها كانت قبل أن تسبى زوجة لمسافع بن صفوان المصطلقي(١) .

وهكذا عاشت السيدة جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها في بيت النبوة مع باقي نسائه عليه الصلاة والسلام ، تنهل من نور النبوة ومن علمه وإيمانه وأحاديثه عليه وعلى آله الصلاة والسلام ... وروت عنه الحديث الشريف وأخرج لها في الصحيحين ثلاثة أحاديث للبخاري وحديثان لمسلم . وروى لها أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وكثيرون غيرهم .

وقد عاشت إلى أن استقر الأمر لمعاوية ، إلى أن أسلمت روحها للباري عز وجل في سنة ست وخمسين ، وقد صلى عليها « مروان بن الحكم » أمير المدينة المنورة وقد بلغت من العمر سبعين سنة . وقيل إنها توفيت سنة خمسين ، وهي في الخامسة والستين من عمرها(٢) .

فرحم الله أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ، فقد كان زواجها برسول الله عليه الصلاة والسلام ، بركة وخيراً أصاب أول ما أصاب قومها وعشيرتها وذوي رحمها ، فانقلبوا بسببها بحول الله من العبودية والشرك إلى الحرية ونور الإسلام وعزته .

---

(١) كما ورد في المحبر (٨٩) والاستيعاب (١٨٠٤/٤) ، والإصابة (٤٣/٨) ، والسمط الثمين (١١٦) ، وذكر في تاريخ الطبري (١٧٧/٣) أنه مالك بن صفوان ذي الشفر بن سرح بن مالك بن المصطلق .

(٢) كذا في الإصابة (٤٣/٨) ، وعيون الأثر (٣٠٥/٢) ، وتهذيب التهذيب (٤٠٧/١٢) والسمط (١١٨) ، وكذلك في ترجمتها بالإستيعاب .

أمّ المؤمنين

صَفِيَّة بنت حُيَي

رضي الله عنها

الصفيّة الصّافية

أمّ المؤمنين

صَفِيّة بنت حُيَي

رضي الله عنها

الصفيّة الصّافيَة

ذكرت السيدة صفية النبي ﷺ ، فقالت :

ــ « ... يا رسول الله في ليلة عرسي بكنانة بن الربيع ، رأيت في المنام أن قمراً وقع في حجري ، فلما صحوت من نومي ، عرضت الرؤيا على كنانة ، فقال غاضباً : (ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً) ولطم وجهي لطمة ما يزال أثر منها فيه ... » .

ويقول رسول الله ﷺ لصفية :

ــ « ... ***إنك لابنة نبي ، وإن عمكِ نبي ، وإنكِ لتحت نبي ، ففيم تفخر عليك ؟...*** » .

أم المؤمنين ، صفية بنت حيي ، الأسيرة السبية ، التقية النقية الزاكية ، ذات العينين الباكية ، صفية الصافية ...

نسبها: صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي خبيب ، من بني النضير ، وهو من سبط لاوى بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام[1] .

أم المؤمنين ، الشريفة العاقلة ، ذات حسب ونسب ، وجمال ودين ، كانت قد تزوجت قبل إسلامها ، « سلام بن أبي حقيق » ، ثم خلف عليها « كنانة بن أبي الحقيق » صاحب حصن « القموص »أعز حصن في خيبر ، وكانا من فرسان وشعراء قومها المخيرين ...

وتهيأ رسول الله ﷺ لمعركة فاصلة تنهي تمرد اليهود اللئام ، وما يطوون من حقد مرير ضد دين الإسلام ونبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من شر وغدر ...

وخرج عليه الصلاة والسلام ومن معه من جنود وعتاد في النصف الثاني من المحرم سنة سبع للهجرة[2] ، إلى « خيبر » مركز إقامة اليهود الأشرار ، فما أن أشرف عليها حتى قال ﷺ :

« .. ***الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين*** » .

---

(١) راجع ترجمتها في البداية والنهاية لابن كثير (١٩٧/٤) ، السيرة النبوية لابن هشام (٣٥٠/٣) ، وحلية الأولياء (٥٤/٢) الإصابة (١٢٦/٨) ، وكذلك في الاستيعاب . ولم أهتد إلى اسم أمها لإغفاله بكافة كتب التراث ..

(٢) كذا في عيون الأثر (١٣٠/٢) ، السيرة النبوية (٣٤٢/٣) ، تاريخ الطبري (البداية والنهاية) ، وخالفهما طبقات ابن سعد بأن وقعة خيبر في جمادى الأولى من نفس العام .

وبعد معركة دامية دارت بين الإيمان والكفر ، انتهت بانتصار الحق والإسلام ضد الباطل والإلحاد .. وسقطت خيبر ، وفتحت حصونها، وقتل رجالها ، وسبيت نساؤها .. وكان من فيهن كريمة بني النضير « صفية بنت حيي بن أخطب » زينة نسائهم وخير كريمة فيهم ، ولم تكن يومها قد تجاوزت السابعة عشرة من عمرها .

وبعد اقتحام المسلمين خيبر وحصونها وقع من ضمن الأسرى « كنانة بن الربيع » زوج صفية بنت حيي ، وقد كان أمين كنز بني النضير . فجيء به إلى رسول الله ﷺ ، فسأله عن الكنز ، فرفض أن يعترف بمكانه وأصر لعدم وجود الكنز لديه . فقال له رسول الله ﷺ :

« أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ » .

قال كنانة : نعم ..

فلما اكتشف بأن الكنز مخبأ عنده ، أرسله ﷺ إلى « محمد بن سلمة »فضرب عنقه بأخيه « محمود بن سلمة »الذي قتله اليهود في المعركة ذاتها[1] ..

وسيقت نساء القموص سبايا ، ويتقدمهن « صفية » امرأة كنانة ، وبصحبتها ابنة عم لها ، يقودهما مؤذن الرسول « بلال » رضي الله عنه .

ومرَّ « بلال » رضي اللهعنه بالسبايا في ساحة المعركة بعد انتهائها وقد امتلأت بالقتلى من اليهود ، فصاحت ابنة عم « صفية » واعولت ، وحتلت وجهها ، وحثت التراب على رأسها ، وهي تصيح بأعلى صوتها رثاءً لرجال

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٩٥) ، السيرة النبوية (٣/٣٥١) ، طبقات ابن سعد (٢/٨١) .

قبيلتها .. و« صفية » صامتة ، هادئة ، حزينة ، لايكاد يسمع لها صوت أو نواح ..

وجيء بهما إلى رسول الله ﷺ :

وبينما كان الهدوء الصامت الذي كان يهيمن على وجه الحسناء « صفية » بكبرياء وشموخ ، كانت ابنة عمها شعثاء الشعر ، معفرة بالتراب ، ممزقة الثياب ، لاتكف عن العويل والنواح والصياح في وجهه ﷺ .

فغرب بوجهه عنها وقال ﷺ :

« اغربوا عني هذه الشيطانة »[1] .

واقترب ﷺ من صفية وألقى عليها نظرة رحيمة بحنان وهو يقول لبلال :

« أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتل رجالهما ؟ »[2] .

ثم أمر « بصفية » فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فكان ذلك إعلاماً بأنه ﷺ قد اصطفاها لنفسه .

ولم يعرف المسلمون أتزوجها أم اتخذها أم ولد ، فلما حجبها عرفوا أنه قد تزوجها .

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما أخذ « صفية بنت حيي » قال لها :

« هل لكِ فيَّ ؟ »

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

قالت : يا رسول الله .. قد كنت أتمنى ذلك في الشرك ، فكيف إذا أمكنني الله منه في الإسلام ؟.. .

وانتظر ﷺ حتى طهرت من حيضها فأعتقها وتزوجها ..

وكان عتقها صداقها[1] .

وبعد أن عقد عليها ﷺ انتظر في خيبر حتى هدأت من روعها ، فحملها وراءه وانطلق بها إلى منزل في أطراف خيبر على بعد ستة أميال منها . فمال إليها يريد أن يعرس بها ، لكنها تمنعت وأبت عليه أن يفعل[2] .

فشق عليه ﷺ تمنعها ورفضها ، فعاد مجهزاً بجيشه راجعاً إلى حيث النور في المدينة المنورة ، وأثناء سيره مرَّ بمنطقة « الصهباء » فأمر بجيشه للراحة ونزل ليستريح ، فبدت له « صفية » وكأنها تتهيأ للعرس :

يقول ابن إسحاق إنه جاءتها « أم سليم بنت ملحان »أو « أم أنس بن مالك »[3] فمشطتها وجملتها وعطرتها . وظهرت « صفية » عروساً حلوة مجلوة ، تأخذ العين بسحرها حتى لتقول أم سنان الأسلمية ، إنها لم ترَ بين النساء أضوأ منها[4] .

وأضاءت المدينة المنورة بأفراح زواج رسول الله ﷺ ، وأقيمت وليمة العرس حافلة ، وأكل الناس من طيبات خيبر حتى شبعوا[5] ، ثم دخل الرسول ﷺ على

---

(١) الإصابة (١٢٦/٨) ، السمط الثمين (١٢٠) ، عيون الأثر (٣٠٧/٢) ، طبقات ابن سعد (٨٤/٢) ، الاستيعاب (١٨٧٢/٤) ، قال ابن حجر العسقلاني« وثبت ذلك في الصحيحين » ، راجع صحيح مسلم (حديث ١٣٦٥) .

(٢) السمط الثمين (١٢٠) ، والإصابة (١٢٦/٨) .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣٥٤/٣) .

(٤) الإصابة (١٢٦/٨) .

(٥) راجع صحيح مسلم كتاب النكاح (حديث ١٣٦٥) .

« صفية » وفي قلبه شيء من حزن وغصة لما جرى معه من رفضها الأول .

وأقبلت عليه العروس الحسناء « صفية بنت حيي »متلهفة ، تحادثه .. وتقول :

إنها في ليلة عرسها بكنانة بن الربيع ، رأت في المنام أن قمراً وقع في حجرها ، فلما صحت من نومها عرضت رؤياها على كنانة ، فقال غاضباً :

« ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً !... »[1] .

ولظم وجهها لطمة ما يزال أثر منها فيه .

واستمع إليها الرسول ﷺ بشغف ونظرات كلها رأفة وحنان ، وقد سره ما سمع من حديثها ، وهم بأن يقبل عليها إلا أنه تماسك عنها وسألها :

« ***ما حملك على الامتناع أولاً ؟*** » .

وأجابته المؤمنة الصادقة الحسناء « صفية » :

« خشيت عليك قربَ اليهود »[2] .

وأشرق وجهه الكريم بابتسامةٍ كريمة منه ، واقترب منها راضياً عنها ..

وقد كان خارج القبة التي دخل إليها الرسول بصفية ، أحد أحبة رسول الله ﷺ رجل من الأنصار « أبو أيوب خالد بن زيد » ساهراً على راحة النبي عليه

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٩٤) ، والسمط (١٢٠) ، والسيرة (٣/٣٥٠) ، وفي الإصابة أنها قصت الرؤيا على أمها ، وفي عيون الأثر أنها قصتها على أبيها .

(٢) الإصابة (١/١٢٦) .

الصلاة والسلام ، وسيفه بيده ، حامياً للقبة من غير علم رسول الله ﷺ ، فلما أصبح الصباح سمع عليه الصلاة والسلام حركة أمام القبة ، فخرج مستطلعاً ، فرأى أبا أيوب مكانه . فسأله :

« **مالكَ يا أبا أيوب ؟** » .

فأجابه : « يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، فقد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك » .

فدعا له رسول الله ﷺ ، وقال :

« **رحمك الله يا أبا أيوب** » **أو** « **اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني** »(١) .

وتذكر ﷺ قصة « زينب بنت الحارث » التي أهدت إليه شاة مسمومة ، ووضعتها بين يديه ومعه صاحبه « بشر بن البراء »الذي أكل من الشاة ومات على أثرها .

ووصل ﷺ ومن معه إلى المدينة المنورة .

يقول أنس رضي الله عنه في حديثه :

« فعثرت الناقة الضباء ، وندرت صفية فقام ﷺ فسترها ، وقد أشرقت النساء ، فقلن : أبعد الله اليهودية »(٢) .

ولم يدخل النبي ﷺ عروسه الحسناء على نسائه ، « وقد خرجت جواريهن يتراءينها ويشتمن بصرعتها »(٣) ، فأنزلها في بيت لصاحبه « حارثة بن النعمان » .

---

(١) السيرة النبوية (٢٥٤/٣) ، وطبقات ابن سعد (٨٤/٢) .

(٢، ٣) راجع صحيح مسلم (١٠٤٨/٢) رقم (١٣٦٥) .

وبدأت النسوة من الأنصار يتجمعن حول بيت حارثة ينظرن إلى جمال صفية ، ومن بينهن السيدة عائشة ، فلمحها الرسول ﷺ . وانتظرها حتى تخرج ، فأدركها وأخذ بثوبها مداعباً ، وسألها ضاحكاً :

« كيف رأيت يا شقيراء ؟ » .

فقالت عائشة رضي الله عنها : « رأيت يهودية ! » .

فرد عليها رسول الله ﷺ : ***« لاتقولي ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها »*** [1] .

وعادت عائشة رضي الله عنها إلى ضرائرها وكلها غيرة وغيظ وقد اعترفت لهن بجمالها وحسنها .

وانتقلت السيدة « صفية بنت حي » إلى دور النبي ﷺ لتأخذ مكانها بين نساء زوجها الكريم عليه الصلاة والسلام .

وكان الصبر والسكوت شعارها رضي الله عنها إذ أكرمها الله تعالى أن تكون في ظل أكرم زوج .. وخاصة عندما كانت تسمع من عائشة وحفصة التعريض بها جهراً ، وتلميحاً لها بالدم اليهودي الذي يجري بين عروقها وهنَّ يتفاخرن عليها بأنهن قرشيات أو عربيات وهي اليهودية الأجنبية الدخيلة عليهن .

فضاق بها يوماً ما سمعت ، وجلست تجهش بالبكاء ، فسألها رسول الله ﷺ عن سبب بكائها .فذكرت له ما قيل عنها . فقال لها ﷺ :

---

(١) ذكرت في طبقات ابن سعد وفي الإصابة والسمط ، بترجمتها .

« ألا قلت : وكيف تكونان خيراً مني ، وزوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى »[1] .

فكان كلامه ﷺ برداً وسلاماً عليها ، أراحها من عذاب وزاد من صبرها .

وشهدت السيدة صفية وفاة الرسول ﷺ ، إذ كانت من ضمن أمهات المؤمنين اللواتي اجتمعن حول فراشه ﷺ أثناء مرضه ، فقالت له صفية :

« إني والله يا نبي الله ، لوددت أن الذي بك بي » فما كان من أزواجه إلا أن غمزن ببصرهن فما راعهن إلا أن قال عليه الصلاة والسلام :

« مَضْمِضْنَ » .

فتساءلن في دهشة : من أي شيء يا رسول الله ؟..

قال ﷺ : « من تغامزكن بها ، والله إنها لصادقة »[2] .

وبعد وفاة الرسول ﷺ جلست « صفية » رضي الله عنها متعبدة متفهمة وضعها ، تحاول أن تشارك في بناء الأمة الإسلامية ، وما زالت المحرضات ضدها من كل جانب ، والغيرة تأخذ بقلوب النسوة منها .

وكما روي أن جارية لها أتت « أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، إن صفية تحب السبت وتصل اليهود » .

فبعث « عمر »رضي الله عنه إلى صفية يسألها عن ذلك ، فأجابت :

---

(١) الإصابة (١٢٧/٨) ، الاستيعاب (١٨٧٢/٤) ، السمط (١٢١) ، وكذلك أخرجه الترمذي (٣٨٩٤) ، وكذلك أحمد في المسند برقم (١٣٥/٣) .

(٢) ابن سعد في طبقاته ، بسند عن زيد بن أسلم ، والإصابة كذلك من طريقه .

« أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصِلُها » .

وانثنت إلى جاريتها فسألتها عما حملها على مثل ذلك الافتراء ، فأجابت الجارية : « الشيطان » .

فردت عليها « صفية » : « اذهبي فأنت حرة »[1] .

وهكذا عاشت السيدة صفية في صراع دائم وصبر مرير وعبادة دائمة تنهل من مدرسة النبوة التي علمها إياها رسول الله ﷺ ، وكذلك تشارك في السياسة والدين والرأي ، وتحدث عن زوجها ﷺ ، فأحاديثها مذكورة في الكُتب الستة ، والرواة عنها كثيرون .

وأسلمت روحها للباري عز وجل في زمن معاوية في سنة خمسين للهجرة ، ودفنت بالبقيع إلى جانب أمهات المؤمنين .

فرحم الله أم المؤمنين الصادقة الأمينة المسلمة « صفية بنت حيي » .

---

(١) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٧٢/٤) ، والإصابة بترجمتها وكذلك السمط (١١٢) .

أم المؤمنين

رملة بنت أبي سفيان

رضي الله عنها

أم حبيبة

صاحبة رؤيا رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

أمّ المؤمنين

رملة بنت أبي سفيان

رضي الله عنها

أم حبيبة

صاحبة رؤيا رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى في سورة الممتحنة :

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

تقول أم حبيبة رضي الله عنها :

« .. رأيت في النوم كأن آتياً يقول : يا أمَّ المؤمنين ، ففزعت ، فأوَّلتها أنَّ رسول الله ﷺ يتزوجني ، فما هو إلا أن انقضت عِدَّتي ، فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن » حاملاً خبر طلب رسول الله ﷺ بالزواج .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قالت :

« .. دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها ، فقالت: قد كاد أن يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، يغفر الله لي ولك ما كان من ذلك ، فقلت : غفر الله لك ذلك كله ، وتجاوز وحللكِ من ذلك ، فقالت : سررتني سرَّكِ الله . وأرسلت إلى أم سلمة ، فقالت لها مثل ذلك .. » .

أم المؤمنين : أم حبيبة الواثقة الغنية ، الناصحة الزكية ، المنتصحة بكتاب الله تعالى ، والمحببة إلى عباده ، من كانت عند النوازل صابرة ، وفي الحنادس طاهرة ذاكرة ..

رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، أم حبيبة ، أم المؤمنين .*

بنت زعيم قريش ، ورأس المشركين إلى ما قبل الفتح . إلى أن آمنت على الرغم من شدة كفر أبيها «أبي سفيان » حينئذٍ ، ولم يستطع أن يثنيها عن عزمها لتبقى في كفرها وعلى ملة أبيها وأجدادها ، بل أظهرت قوة شخصيتها وإرادتها ، وتحملت في سبيل العقيدة المتاعب الكبيرة والأهوال .

كانت أم حبيبة قبل أن يتزوجها سيدنا محمد ﷺ متزوجة عبيد الله بن

* راجع ترجمتها في تاريخ الطبري (٨٩/٣) ، سيرة ابن هشام (٣/٤) ، الإصابة (٨٤/٨) ، السمط (٩٦) ، وفي طبقات ابن سعد بترجمتها ، الاستيعاب (١٩٣٠/٤) ، والمحبر (٨٨) ، نسب قريش (١٢٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ابن منظور) (٣٦٦/٨) .

جحش الأسدي ، أسد خزيمة ، وكان قد خرج بها من مكة مهاجراً إلى أرض الحبشة ، فافتتن عبيد الله وتنصر بها ، ومات في النصرانية ، وأبت أم المؤمنين « أم حبيبة » أن تعود عن دين الإسلام وتتنصر ، فأتم الله لها الإسلام والهجرة حتى قدمت المدينة المنورة .

تقول أم حبيبة رضي الله عنها :

... « رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة واشوهها ، ففزعت ، فقلت والله تغيرت والله حاله ، فإذا هو يقول حيث أصبح : يا أم حبيبة ، إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية ، وكنت قد دنتها ، ثم دخلت في دين محمد ، ثم قد رجعت إلى النصرانية ، فقلت : والله ما خير لك ، وأخبرته بالرؤيا التي رأت له ، فلم يحفل بها ، وأكب على الخمر حتى مات »[1] .

وكذلك تروي ما جاءها في الرؤيا بعد وفاة زوجها ، تقول :

« رأيت في النوم كأن آتياً يقول : يا أم المؤمنين ، ففزعت ، فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني ، .. فما هو إلا أن انقضت عدتي ، فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن ، فإذا جارية له يقال لها أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فدخلت علي فقالت : إن الملك يقول لكِ : إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجك ، فقلت : بشرك الله بخير ..

كانت أم حبيبة في دار الهجرة بالحبشة معتكفة على العبادة راضية بحكم الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ ، متأثرة على زوجها عبيد الله في أمر ردته إلى النصرانية والشرك ، صابرة تتحمل من أجل إيمانها العميق متاعب الغربة والوحشة

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ابن منظور) ٨/٣٢٦ .

والبعد عن الأهل والوطن إلى أن حدث ما كانت تصبو إليه من أمر التقرب إلى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام .

وهكذا تمر عليها الأيام في الهجرة في عذاب الرمل وفقد المعيل ، ولكنها بما أوتيت من إيمان صادق استطاعت أن تصمد في وجه المحنة القاسية ، متمثلة قول الله عز وجل :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[1]

ـــ وشاء الله تعالى أن يثبت من عزيمتها ، ويكرمها على صبرها ، ويجزيها في محنتها هذه خير جزاء ، إذ تقرع عليها الباب خادمة النجاشي تبشرها بخطبة رسول الله ﷺ لها :

يا أم حبيبة : يقول لكِ الملك : « وكّلي من يزوجك » .

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكّلته .

وأعطت « أبرهة » خادمة النجاشي ، سوارين من فضة وخدمتين (خلخالين) وخواتم من فضة ، سروراً بما بشرت به[2] .

---

(١) سورة الطلاق ، (الآية ٢، ٣) .

(٢) الإصابة (٤/٤٨) ، والسمط الثمين (٦٧) .

فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين ، فحضروا ، فخطب النجاشي ، فقال :

« الحمد لله الملك القدوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام ، أما بعد ، فإن رسول الله ﷺ ، كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد أصدقتها أربع مائة دينار » .

ـ ثم سكب الدنانير بين يدي القوم .

فقام خالد بن سعيد بن العاص وكيل أم حبيبة ، فقال :

« الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أما بعد : فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان . فبارك الله لرسوله الكريم ﷺ » .

ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها منه .

ومن ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال الملك النجاشي : .

« اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام ، فأكلوا ...

وكانت أم حبيبة في الدار تنتظر بلهفة لقاءها بخير الأحبة ومركز إشعاع النور رسول الله ﷺ ، وقد غمرها سرور امتزج برهبة ، وترامى إليها أصوات الرجال الذين اجتمعوا حول الوليمة التي أعدت بمناسبة الزواج ، فتهللت بالفرح والسرور . فأمنيتها التي عاشت لها قد أرسل رسول الله ﷺ بطلب الزواج منها ..

وأمنيتها بلقائه ﷺ سوف تتحق ، فلن يمضي الليل قبل أن تمثل بين يديه ﷺ وتجلس بجانبه ، وتناجيه وتقضي ما كانت تتمناه .

وأمر الملك النجاشي نساءه أن يبعثن إلى أم حبيبة بكل ما عندهن من العطر ، فلما كان من الغد ، جاءني منهن عود وورس وعنبر وزباد كثير[1]. فقدمت بذلك كله على النبي ﷺ ، فكان يراه عليّ وعندي فلا ينكره .

فلما قدمت أم حبيبة المدينة ، أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأخذ بخطام بعيرها ، وأنزلها المنزل الذي أمره النبي ﷺ .

وبعدها أذن رسول الله ﷺ بالدخول على أم حبيبة ، فلما دخل عليها فوجد ريح الطيب ، قال :

« إنهن قرشيات بطاحيات ، قرويات ، ليس بأعرابيات ولا بدويات » .

وهكذا بنى رسول الله ﷺ بالسيدة أم حبيبة الشريفة الصادقة المؤمنة في السنة السابعة للهجرة بعد صلح الحديبية ، ودخلت أم المؤمنين دور النبوة لتعيش بين أنوار الإسلام وضياء الإيمان وسيرة رسول الله ﷺ .

ومما يذكر عن أبيها « أبي سفيان »عندما حضر إلى النبي ﷺ طالباً تمديد المهلة المحددة لصلح الحديبية المتفق عليه بين المسلمين والمشركين . وبعد رفضه ﷺ ذلك ، دخل على ابنته أم حبيبة زائراً . فلما هم بالجلوس على فراش الرسول ﷺ ، طوته دونه ، فقال : أرغبت بهذا الفراش عني ــ أو بي عنه ــ ؟، قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك ، فقال : يا بنية !.. لقد أصابك بعدي شر ، قالت : هداني الله للإسلام ، وأنت يا أبه سيد قريش

---

(١) الزباد : نوع من الطيب يتولد من السنور البري . انظر كيف يستخرج « تاج العروس »(زبد) .

وكبيرها، كيف يسقط عنك دخول في الإسلام، وأنت تعبد حجراً لايسمع ولا يبصر ، قال : يا عجباه ! وهذا منك أيضاً .. أأترك ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمد ؟. ثم قام من عندها ..

قال حميد بن هلال :

« لما حوصر عثمان بن عفان أتته أم المؤمنين « أم حبيبة » فجاء رجل فاطلع في خدرها فجعل ينعتها للناس. فقالت: ماله قطع الله يده وأبدى عورته؟.. قال : فدخل عليه داخل ، فضربه بالسيف فاتقى بيمينه فقطع ، فانطلق هارباً آخذاً إزاره بفيه أو بشماله بادية عورته » .

يقول الحسن بن علي كرم الله وجهه :

هدمت منزلي في دار علي بن أبي طالب ، فحفرنا في ناحية منه ، فأخرجنا حجراً فإذا فيه مكتوب : هذا قبر رملة بنت صخر ، فأعدناه في مكانه .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها عندما كانت أم حبيبة تحتضر إنها دعتها إليها فقالت لها :

« قد كاد أن يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك » .

فحللتها عائشة واستغفرت لها ، وهذا ما أضاء وجهها بنور الرضا والإيمان ، فقالت : « سررتني ، سرَّك الله » .

وأسلمت روحها للباري عز وجل ورقدت بسلام ، وأودع جسدها ثرى البقيع الطاهرة في المدينة المنورة في سنة أربع وأربعين .. « والله أعلم » .

وذكر لها في الصحاح ما يقارب خمسة وستين حديثاً .. بروات ثقات .



أم المؤمنين

ميمونة بنت الحارث

رضي الله عنها

آخر زوجات رسول الله

صلى الله عليه وسلم

أم المؤمنين

ميمونة بنت الحارث

رضي الله عنها

قال الله تعالى في سورة الأحزاب :

﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها فيها :

« ذهبت والله ميمونة ، ورمي بحبلك على غاربك .
أما أنها كانت والله من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم »

ويذكر السهيلي رحمه الله عنها ، فيقول :

« لما جاءها الخاطب بالبشرى ، وكانت على بعير ، رمت بنفسها من على البعير ، وقالت : البعير وما عليه لرسول الله ﷺ » ...

ميمونة بنت الحارث :

أم المؤمنين ، وآخر زوجات خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. السيدة الورعة ، الزوجة المحببة ، الحكيمة المقربة ، المتثبتة القنوعة ... رضي الله عنها وعن جميع أمهات المؤمنين أجمعين ..

ميمونة بنت الحارث[1]...

اسمها ونسبها :

برة بنت الحارث ، بن حزن ، بن بجير ، بن الهزم ، بن روبية ، بن عبد الله ، بن هلال ، بن عامر ، بن صعصعة الهلالية .

شقيقتها « أم الفضل ، لبابة الكبرى بنت الحارث »زوج العباس بن عبد المطلب وأم بنيه ، وأول امرأة آمنت بعد خديجة رضي الله عنها ، وأم الفضل هي السيدة التي يذكر لها الإسلام أنها ضربت أبا لهب عدو الله والإسلام ورسوله .

وأخوات برة من أمها :

ـــ « زينب بنت خزيمة الهلالية العامرية »أم المؤمنين وأم المساكين .

ـــ « أسماء بنت عميس الخثعمية »زوج جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين ، وأم ابنه عبد الله ، وقد تزوجت من بعده أبا بكر الصديق فولدت له محمداً ، ثم خلف عليها الإمام علي بن أبي طالب فولدت له يحيى رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) راجع ترجمتها في السيرة الهشامية (١٣/٤)، والإصابة (١٩١/٨)، السمط الثمين (١١٣)، تاريخ الطبري (١٤٢/٢ ، ٢١٠) ، الاستيعاب (١٩١٨/٤) ، ووفاء الوفا (٣١٦/١) ، عيون الأثر (١٤٨/٢) .

ــ « سلمى بنت عميس »زوج حمزة بن أبي طالب ، أسد الله ، سيد الشهداء ، شهيد أحد . وهي التي زوجها الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فولدت له بنتاً أسمياها « أمامة » .

وأمهن جميعاً :

« هند بنت عوف بن زهير بن الحارث »التي كان يقال فيها :
« أكرم عجوز في الأرض أصهاراً » هند بنت عوف ؛ فأصهارها :
رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ،وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب رضي الله عنهما ، وجعفر وعلي ابنا أبي طالب رضي الله عنهما ...

وكان لبرَّة بنت الحارث شقيقات من أبيها الحارث قد تزوجن من ذوي المكانة[1] :

ــ « لبابة الصغرى » زوج الوليد بن المغيرة المخزومي وكانت تلقب بأم خالد بنت الحارث .

ــ « عصماء بنت الحارث » أم أبان ، زوج أبي بن خلف الجمحي .

ــ « عزة بنت الحارث »زوج زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي .

وكانت « برَّة بنت الحارث » متزوجة من « أبي رهم بن عبد العزى العامري » ، فمات عنها وهي في سن السادسة والعشرين من عمرها[2] .

---

(١) السيرة النبوية (١٢/٤) ، والمحبر (١٠٧) ، وجمهرة الأنساب لابن حزم (٢٦٢) وعيون الأثر (٣٠٨/٢) ، والسمط الثمين (١١٣) ، وانظر مع طبقات ابن سعد والإصابة والاستيعاب في ترجمة (ميمونة بنت الحارث) .

(٢) هذه رواية ابن إسحاق في السيرة (١٣/٤) وفي الاستيعاب . وهناك خلاف في اسم زوجها في بعض كتب التراث ، راجع تاريخ الطبري (١٧٨/٣) والسمط (١١٥) .

وتمر الأعوام ...

سبع سنين منذ خرج الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه من مكة المكرمة مهاجراً إلى المدينة ، إلى أن تم صلح الحديبية[1] ، فأمر النبي ﷺ الناس كي يتجهزوا للخروج إلى مكة بقصد الحج والعمرة .

وركب صلوات اللهعليه ناقته « القصواء »وتبعه ألفا راكب من المهاجرين والأنصار يتلهفون شوقاً إلى أقدم بيت عُبد الله فيه ، وحرصاً على السعي إلى مثابة حجهم ومهوى أفئدتهم .

ولاحت أرباض مكة .. فارتفعت أصوات المسلمين بالتلبية للهوحده لاشريك له . وقد تهللت الوجوه وامتلأت الأفئدة راحة والصدور انشراحاً ، فقد كانت أول مرة يتدفق فيها المهاجرون والأنصار ، وسادات قريش إلى مكة وقد اتحدت قبلتهم وارتفعت تلبيتهم وشهدوا جميعاً باللسان والقلب أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ..

وأنشد « عبد الله بن رواحة » وهو آخذ بخطام القصواء يقول[2] :

خَلُّوا بني الكفارِ عن سبيلهْ
خلُّوا فكلُّ الخير في رسوله
يا ربّ إني مؤمن بِقِيْلِهْ
أعرف حقَّ الله في قَبُوْلِه

---

(١) راجع نص عهد الحديبية في تاريخ الطبري (٧٩/٣) وطبقات ابن سعد (٧٠/٢) ، وملخصه أن يرجع الرسول وأصحابه فلا يدخلوا مكة عامئذٍ في السنة السادسة للهجرة ثم يدخلها بأصحابه في عامٍ قابل ، فيقيموا بها ثلاثة أيام .

(٢) ابن إسحاق في السيرة النبوية (١٣/٤) ، وابن سعد في طبقاته (٨٨/٢) .

ودخل رسول الله ﷺ ومن معه مكة ، مهللين فرحين آمنين ، بعد أن جلا عنها الكفار المشركون ، دخلوها محرمين متعبدين مطبقين قول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

وراح ﷺ يطوف بالبيت العتيق ، وجبال مكة ووديانها تسترجع دعوة خليل الرحمن إبراهيم :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

وانتهى الطواف والدعاء ، فصلى عليه الصلاة والسلام ركعتين عند مقام إبراهيم ، ثم خرج المسلمون إلى الصفا للسعي تخليداً لذكرى السيدة هاجر المصرية أم العرب زوجة إبراهيم عليه السلام ، يوم كاد ابنها اسماعيل يموت عطشاً

عند بيت الله الحرام وهاجت مشاعر الناس في مكة مع رسول الله ﷺ وهي ترقب ساعات الفتح المبين للبيت العتيق وعودة خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم إليهم ، وكانت السيدات تتابعه بنظراتهن وقلوبهن معه . والسيدة ميمونة بنت الحارث في مقدمتهن ، فإنها ما إن استمعت إلى نداء عبد الله بن رواحة يوم أن جاء آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ مهللاً ، حتى استولت عليها فكرة أن تنال شرف الزواج من نبي الله وأن تصبح أماً للمؤمنين .

وما يمنعها أن تحقق حلمها الذي طالما راودها في يقظتها ومنامها وهي أخت أم الفضل وأسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس الأخوات المؤمنات .

وراحت تهمس بسر قلبها إلى أختها أم الفضل وتشرح لها ما يدور في صدرها من رغبتها بالزواج من سيد هذه الأمة ﷺ .

فذهبت أم الفضل تقص على زوجها العباس ما يدور في قلب « برة »ورغبتها .

فانطلق العباس إلى ابن أخيه صلوات الله عليه ، يعرض عليه الزواج من « برّة » التي وهبت نفسها للنبي . فأنزل الله على نبيه صلوات الله عليه آياته الكريمة :

﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ (١)

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٥٠).

وعاد إليها العباس ، وقد تهلل بالبشر ، فخفق قلبها سروراً قد امتزج بخوف ، فقد قرأت في وجهه القبول ولكنها كانت متلهفة على أن تلتقط أذناها الخبر السار الذي يخرج من بين شفتيه .

فقال لها العباس إن رسول الله ﷺ قد استجاب لرغبتها ، فانتابتها نشوة أحست أنها قد ارتفعت حتى كادت تلمس نجوم السماء ، فإنه لشرف عظيم ما بعده شرف أن تصبح أماً للمؤمنين وهي لم تتجاوز السادسة والعشرين . وإنه لشرف لأمها العجوز أنها ستصبح بعد أن يتزوج عليه الصلاة والسلام ابنتها « برة »أكرم عجوز في الأرض أصهاراً .

وانقضت الأيام الثلاثة لرسول الله ﷺ وصحبه التي نص عليها عهد الحديبية ، فجاءه رسولان من قريش يطلبان منه أن يخرج ، إذ قد انقضى الأجل المنصوص عليه في العهد . فقال لهم رسول الله ﷺ :

« ما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه » .

فأجابه رسول قريش : « لاحاجة لنا في طعامك فاخرج عنا » .

فنزل عند رغبة آل قريش وفاءً للعهد ، وأذن بين الناس المسلمين بالرحيل مخلفاً مولاه « أبا رافع » بمكة ليلحق به وفي صحبته العروس المؤمنة « برَّة » .

وخرج عليه السلام من مكة ، ووقفت عند أهلها يودعونه وفي القلوب لوعة ، وفي المآقي عبرات ، وخرج معه عمه العباس بن عبد المطلب فلم يعد هناك ما يفعله في أم القرى بعد أن هدى الله أهلها إلى الإسلام .

وكانت قد استخلفته السيدة « ميمونة »في صحبة « أبي رافع » مولى

رسول الله ﷺ ، لتلحق به في منطقة « سرف » وهي قرب منطقة التنعيم على بعد عدة أميال من مكة المكرمة ، فبدأت الذكريات تتزاحم في رأسها .

إن قبتها ضربت هنا في « سرف »وسوف يبني بها رسول الله ﷺ هنا ، وراحت تدير عينيها في المكان وهي في قمة النشوة ، إن روحها قد هفت إلى « سرف »وإن قدرها قد حدد هنا في « سرف »وإن مكانتها التي نالتها كانت بفضل بنائها برسول الله ﷺ هنا في « سرف » فأصبحت « سرف »هي مهوى الفؤاد ، وإنها لترجو أن تكون مثواها الأخير لما يحين الحين وتدس في التراب « بسرف » .

ودخل عليها رسول الله ﷺ من قبتها فبنى بها في شهر شوال من سنة سبع للهجرة ، ثم انصرف بها راجعاً إلى المدينة المنورة .

وهناك غير اسمها من « برَّة » إلى « ميمونة » وذلك لأن زواجه بها كان في هذه المناسبة الميمونة الغراء التي دخل بها أم القرى لأول مرة منذ سبع سنوات ، ومعه صحابته آمنين هانئين لا يخافون ...

ودخلت السيدة ميمونة بيت النبوة الخالدة كواحدة من أمهات المؤمنين المسالمات ، فقد اكتفت من دنياها بما منَّ الله عز وجل عليها وأعطاها من نعمة الإسلام ، وشرف زواجها من النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وما من شك بأنها دخلت في خضم الغيرة مع أمهات المؤمنين اللواتي سبقنها إلى بيت النبوة وخاصة مع السيدة عائشة والسيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ، فكانت من المسالمات إذ كفاها الله تعالى من العطاء بخير سيد هذه الأمة محمد ﷺ .

ولم يؤرخ لها الإسلام وكتب السيرة والتراث أي حادثةخصومة أو خلاف

مع واحدة من أمهات المؤمنين ، أو أي شجار في بيت النبوة .

ومما يذكر أنه ﷺ لما اشتد به الوجع في مرض الموت ، كان في بيتها ويومها ، فرضيت أن ينتقل وليمرض حيث أحب ، في بيت عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها .

وبعد أن لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ، عاشت « ميمونة »سنين عدداً بلغت خمسين عاماً ، أمضتها كلها بالصلاح والدعوة المحمدية والتقوى لله عز وجل ، وفية لذكرى سيد ولد آدم ومعلم البشرية ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

وقد حدثت السيدة « ميمونة »عن النبي ﷺ ستة وأربعين حديثاً ذكرت عن الأئمة الستة ، وقد روى عنها عبد الله بن عباس ويزيد بن الأصم وجماعة من التابعين ..

وقد أوصت وفاءً لذكرى أكرم الأزواج محمد ﷺ أن تدفن في المكان الذي بنى بها فيه[1] .

حدثنا « يزيد بن الأصم » قال :

« تلقيت عائشة من مكة ، أنا وابن لطلحة من أختها ، قد كنا وقفنا على حائط من حيطان المدينة فأصابنا منه .. فأقبلت عائشة على ابن اختها تلومه ، ثم أقبلت علي فوعظتني موعظة بليغة ثم قالت : أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في بيت من بيوت نبيه ؟.. ذهبت والله ميمونة ، ورمي بحبلك على غاربك .. أما أنها كانت والله من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم »[2] .

(١) ابن سعد في طبقاته (١٣٩/٨) ، والحاكم في المستدرك (٣١/٤) ، وصححه ووافقه الذهبي .
(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات بسنده إلى يزيد بن الأصم وكذلك وذكره ابن حجر في الإصابة

هذا وقد أسلمت روحها للباري تعالى عز وجل في سنة إحدى وخمسين ، وهي في الثمانين من عمرها .

وقد صلى عليها ابن أختها عبد الله بن عباس ، وأوصى الذين يحملونها بالترفق بها ، حتى أرقدوها حيث أحبت في قبتها « بسرف »[1] ..

فسلام على أم المؤمنين الصافية التقية المؤمنة المتعبدة ... آخر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً ..

---

(١) لاخلاف في مدفنها في موضع قبتها بسرف ، ولكن في تاريخ وفاتها اختلفت بعض كتب السيرة ، فعن ابن سعد عن الواقدي أنها ماتت سنة إحدى وستين للهجرة ، وعن ابن عبد البر أنها ماتت سنة إحدى وخمسين وأكد على ذلك سيد الناس . وقد بلغت حين توفيت ثمانين سنة من عمرها ، كذلك عيون الأثر (٢/٣٠٩) .

صِلَةُ البَحثِ لِزَوجَاتِ الرَّسُولِ

صلى الله عليه وآله وسلم

إن تراجم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن التي سلفت وعددها إحدى عشرة زوجة قد اجتمعت كتب السيرة والتراجم على صحة اقترانهن بالنبي ﷺ ، ودخولهن بيت النبوة ...

وثمة ست نساء ذكرتهن كتب السيرة والأخبار ، كان لهن وضع يدنيهن من هذا البحث الذي نقوم به ، ويخص زوجاته عليه أفضل الصلاة والسلام ...

اثنتان منهن كانتا ملك اليمين وهما:

١ ــ مارية القبطية « أم إبراهيم » .

٢ ــ ريحانة بنت زيد .

وأربع منهن عقد عليهن رسول الله ﷺ ولم يبن بهن لأمور ذكرتها كتب التراجم واختلفت فيها ، ولم نجد فائدة كبيرة في عرض هذه الأخبار لهؤلاء الأربع ولذلك سنكتفي بذكر أسمائهن فقط وهن :

١ ــ الشاة بنت رفاعة .

٢ ــ الشنباء بنت عمرو الغفارية .

٣ــ غزية بنت جابر (أم شريك) .

٤ ــ أسماء بنت النعمان .

ملك اليمين

مارية القبطية «أم إبراهيم»

ريحانة بنت زيد

والله يا إبراهيم...
إنا بك لمحزونون

مارية القبطية

رضي الله عنها

أم إبراهيم

مولاة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

مارية القبطية

رضي الله عنها

أم إبراهيم

مولاة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله ﷺ :

« استوصوا بالقبط خيراً فإنَّ لهم ذِمةً ورَحماً » .

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

... فتدمع عينا الرسول ﷺ على موت ابنه إبراهيم ، ويقول :

« تدمَعُ العينُ ، ويحزنُ القلب ، ولانقول إلا ما يرضي ربَّنا ، والله ! يا إبراهيم .. إنا بك لمحزونون » ...

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها :
« مـا غِـرتُ عـلى امـرأةٍ إلاَّ دون مـا غِرتُ على مـاريـة !.. وذلك أنهـاً كانت جميـلة جعـدة ، فأعجب بها رسول الله ﷺ ... » .

مارية القبطية بنت شمعون :
مولاة رسـول الله ﷺ ، الجميـلة الجعدة ، المسـلمـة ، التقيـة ، الصافية ، النقية ، أم إبراهيم ولد رسول الله ﷺ ...

ولدت مارية القبطية بنت شمعون من أب قبطي وأم مسيحية رومية ، في قرية من قرى صعيد مصر تدعى « حفن » .

وفي بداية شبابها النضر الجميل اختارها ملك القبط « المقوقس » وأختها « سيرين ».. أن تكون في مقربة منه في قصره ، فانتقلت وأختها إلى قصره لتكون من سراياه وإلى جانبه .

وقد كان من عظيم القبط « المقوقس » وشعبه ما كان من جهل في أمور دين الإسلام ، الذي كان يدعو إليه محمد رسول الله ﷺ . فأرسل إليه نبي الله عليه أفضل الصلاة والسلام برسوله « حاطب بن أبي بلتعة » حاملاً كتاباً منه يدعوه به إلى دين الإسلام ، جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم :

... « ***من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلِم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط .***

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[1]

وقرأه عظيم القبط في عناية وتوقير ، ودعا كاتبه فأملى عليه رده :

... « أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت من ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقي ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام .. وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة ، ومطية لتركبها ، والسلام عليك »[2] .

وعاد رسول نبي الله ﷺ إلى المدينة المنورة بكتاب « المقوقس » عظيم القبط ، مصطحباً معه « مارية »وأختها « سيرين » وعبداً خصياً ، وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً ليناً من نسيج مصر ، وبغلة شهباء «دلدل» وجانباً من عسل « بنها »وبعض العود والمسك والند .

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٨٥)والمحبر ٩٨ ، وعيون الأثر(٢/٢٦٦) ، وفي ترجمتها بالإصابة (٨/١٨٥) .
(٢) المصدر السابق.

تلقى ﷺ كتاب « المقوقس »وتقبل هديته .

وقد أعجبه حسن « مارية » وجمالها فاحتفظ بها لنفسه ، ووهب أختها « سيرين » لشاعره « حسان بن ثابت » ووزع باقي الهدايا .

ووصل خبر « مارية » إلى دور النبي ، بأن الصبية الحلوة ، جعدة الشعر ، جذابة الملامح والوجه ، قد وصلت من أرض مصر هدية للنبي ﷺ ، وقد أنزلها بدار لحارثة بن النعمان ، قرب المسجد .

وقد أثارت الغيرة في قلوب أزواجه وخاصة السيدة « عائشة » وذلك من خلال تردده ﷺ عليها بكثرة ، ومكوثه لديها طويلاً ، فكان عامة الليل والنهار عندها في ساعات فراغه .

وخلال ذلك كانت مارية قد اتبعت دين الهدى والإسلام وأرضاها أن يضرب عليها الحجاب شأن أمهات المؤمنين والمسلمات كافة . وكان همها كله ينحصر في إرضاء سيدها العظيم الذي جمعها به القدر دون ميعاد ، فأسعدها ذلك فكانت له المخلصة الوفية الخادمة التقية ، وكان لها السيد والصاحب والأهل والوطن .

وعلم رسول الله ﷺ من أمر ما يدور بين عائشة وضرائرها في الغيرة الشديدة من « مارية » ، فنقلها إلى « العالية » وهو مكان على بعد ثلاثة أميال من المدينة ، إلى أن استقر بها المكان هناك ، وأصبح سيدها عليه الصلاة والسلام يتردد عليها ويطؤها بملك اليمين في أغلب أوقاته .

إلى أن كانت البشرى ...

... ذات ليلة أفضت « مارية » إلى سيدها الحبيب عليه الصلاة والسلام أنها قد حملت ، فاستقبل الخبر بحمد الله وشكره .

وذاع الخبر في المدينـة ، فانتشت النفوس بالبشرى وقابلتها نسـاء النبي بوجوم وحزن وألم ، فقد كانت كل منهن تعيش في دور النبي عليه السلام على أمل أن تأتيه بالولد وأن تكون صاحبة الحظ الأوفى ، فلما ضنت بطونهن ، وجـــاد بطن مارية الجعدة الجميلة نهشت الغيرة أفئدة أمهات المؤمنين ، فتقاربت رؤوس طالما تباعدت ، وسرى همس ولمز يتهم « مارية »في طهارتها : أن قبطياً قد جاء معها من مصر فيما أهداه المقوقس إلى رسول الله ﷺ ، وأنه يأوي إليها ويأتيها بالماء والحطب ، فما الذي يحول بينه وبينها ؟.. ومن ذا الذي يستطيع أن يجزم أنه لم يخلص لها ؟..

همس مسموم راح يرتفع حتى صار صاخباً . وحديث إفك جديد يروج له المنافقون ، ويقولون :

ـــ علج يدخل على علجة ..

وعن علي بن أبي طالب ، قال :

... « أكثر على مارية أم إبراهيم من قبطي ابن عم لها ، يزورها ويختلف إليها ، فقال رسول الله ﷺ : ***« خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدته عندها فاقتله »*** . قال : قلت : يا رسول الله ، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة ، لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به ، أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب ؟ قال رسول الله ﷺ : ***« بل الشاهد يرى مالا يرى الغائب »*** . فأقبلت متوشحاً السيف ، فوجدته عندها ، فاخترطت السيف فلما رآني عرف أني أريده فأتى نخلاً فرقاً هرباً ، ثم رمى بنفسه على قفاه ثم شال برجليه ، فإذا به أجب أمسح ، ماله مما للرجل قليل ولا

كثير ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فأخبرته فقال : « ***الحمد لله الذي صرف عنا أهل البيت*** »[1] ...

ما أبشع مرجفي السوء .. خاضوا في حديث الإفك لما اتهموا السيدة عائشة بصفوان ، وقد نزلت براءتها من فوق سبع سموات ، واتهموا مارية بنت شمعون في رجل مجبوب ، وما أقسى ما قاسى عليه الصلاة والسلام من آلام نفسه الرقيقة الشفافة الحساسة التي جرحتها أقاويل منافقين ينعمون بالسرور لما تشيع الفاحشة بين الناس ...

وانطلق ﷺ إلى مكان إقامة « مارية » ، فألفاها في فراشها تتلوى من آلام المخاض وإلى جوارها أختها « سيرين » ، فما أن سمعت صوته وهو يلقي عليهما السلام حتى رفت على شفتيها ابتسامة ، وغاض عن وجهها كل جهد ، فقد كانت تستشعر سعادة غامرة كلما أشرف عليها ، وكان الأنس به بلسم الروح وأنفاس الحياة ...

كانت تتمنى تلك المصرية الجميلة البيضاء الجعدة التي جمعت سحر وعذوبة نيل مصر ، وجمال وبهاء الرومان ، كانت تتمنى أن يبقى إلى جوارها حتى في ساعات المخاض حتى تضع ما في بطنها ، لكنه استأذنها ونزل المدينة داعياً لها بالخير والسلامة ..

ودعا « سلمى » مولاته ، امرأة أبي رافع ، مولدة الحسن والحسين ... وطلب منها أن تخرج إلى العالية مكان إقامة مارية لتكون إلى جوارها وتولدها.. فانطلقت مسرعة هي وزوجها وهم يدعون الله أن يمن على رسوله بغلام تقر به عينه ، فهي ترى حبه الشديد لأحفاده الحسن والحسين وكافة أبناء المسلمين ..

---

(١) ترجمة مارية القبطية (سبقت) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢/٢٩١) .

وبعد وقت عاد إليه «أبو رافع» بالبشرى ، فقال له وهو يتهلل بالفرح والسرور إن مارية قد وضعت غلاماً .

فانشرح صدره عليه الصلاة والسلام ، وانبسطت أساريره ، ووهب لمن جاءه بالبشرى عبداً ، ثم انطلق إلى « العالية » وهو مفعم بالسرور ودخل على مارية وقد رفت على شفتيه أعذب ابتسامة ، وبعد أن حمد الله على سلامتها مال على الوليد وحمله بين يديه في رفق ، وقد جاء الفؤاد بأرق المشاعر ، ورفعه بين يديه حتى أدناه من فِيهِ وقبله قبلة أودعها حنان قلبه الكبير ...

وغمر المدينة سرور ، ووجمت أمهات المسلمين وأطلقت بعضهن لسانها في مارية من الغيرة ، فساور رسول الله ﷺ بعض الريب ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فقال :

ــ السلام عليك يا أبا إبراهيم .

فاطمأن قلب رسول الله ﷺ وفرح برحمة ربه تعالى وتبرئة مولاته « مارية »من عند اللهعز وجل ..

وقال قائل إن رسول الله منطلق إلى مولاته ، فقال ﷺ :

ــ « ***أعتقها ولدها*** » ..

وبعد مرور سبعة أيام على ولادة ولده إبراهيم ، عق عنه بكبش وحلق رأسه وتصدق بوزن شعره فضة على المساكين ، وأخذوا شعره ودفنوه تحت التراب ..

ولما بلغ إبراهيم من العمر عامين مرض مرضاً شديداً ، وأصبحت تمر الأيام عليه وهو في سوء من حاله فأرسلت إلى أبيه رسول الله ﷺ لكي يراه ، فجاء ليرى ولده ...

يقول أنس : لقد رأيته ـــ أي إبراهيم ـــ وهو يكيد بنفسه ـــ وهو في النزع ـــ بين يدي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقال :

« تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله ! يا إبراهيم !.. إنا بك لمحزونون »[1] ...

ولما شاع خبر وفاة إبراهيم حصل كسوف للشمس ، فقال الناس : كُسِفت الشمس لموت إبراهيم !!.. فقال رسول الله ﷺ :

« إنّ الشمس والقمر لاينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته ، فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله »[2] .

وهكذا ودعت « مارية » ولدها الوحيد إبراهيم وسط خطب كبير .. ما بين دموع الرسول ﷺ الحانية .. وكسوف الشمس .. ومقالات الناس ..وتوجيه النبي ﷺ وتعليمه إياهم إذا رأوا آية من آيات الله كخسوف أو كسوف[3] .

فما كان منها إلا الاقتداء برسول الله ﷺ والتعلم من صبره وقت الشدائد .. وتردد ما تسمعه منه وما يرضي الله ويرضيها بقوله عز وجل :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[4]

وبقيت « مارية »صابرة راضية بقضاء الله تعالى وقدره .. حتى نزل بها

---

(١) صحيح مسلم في كتاب الفضائل (٦٢) .

(٢) صحيح البخاري : في كتاب الكسوف (٤) .

(٣) حياة صحابيات الرسول ـــ خالد عبد الرحمن العك (٢٩٠) .

(٤) سورة البقرة آية /١٥٦/ .

الخطب الجلل .. ألا وهو وفاة رسول الله ﷺ ، فأنساها ذلك حزنها على ابنها إبراهيم .. وبقيت على العهد والعبادة اللذين كانت عليهما في حياته عليه الصلاة والسلام .

وعاشت بعد رسول الله ﷺ ما يقارب الخمس سنوات في عزلة عن الناس ، لاتكاد تلقى غير أختها سيرين ، ولاتكاد تخرج إلا لكي تزور قبر الحبيب بالمسجد ، أو قبر ولدها إبراهيم بالبقيع ..

حتى أسلمت روحها الطاهرة للباري عز وجل في سنة ست عشرة من الهجرة في عهد أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » .. فأخذ يحشد الناس لجنازتها . ثم صلى عليها ودفنها بالبقيع[1] .

وكل نفس ذائقة الموت .. فحسبها أنها دخلت حياة النبي ﷺ وأنجبت منه .. فرحم الله الصابرة « مارية بنت شمعون » ورضي عنها ..

(١) في ترجمتها بالاستيعاب والاصابة .

ريحانة بنت زيد

النضرية رضي الله عنها

السنة الصفية

ريحانة بنت زيد

النضرية رضي الله عنها

« التقيـة المتعبـدة ، الصـالحـة .. الصـادقة .. الوفية ..، ذات الجمال والأدب والنسب .. » .

ريحانة بنت زيد(١) بن عمرو بن خنافة(٢) النضرية .

ومن ربات الجمال والأدب ، سبيت مع بني قريظة سنة ست للهجرة ، وقد امتنعت عن الإسلام وأبت إلا اليهودية، فأمر بها رسول الله ﷺ فعزلت(٣) .؟

(١) ذكرت كتب السيرة في طبقات ابن سعد ، وفي تاريخ الطبري ، وفي السمط الثمين ، وفي شرح الزرقاني على المواهب ، وفي الإصابة أنها بنت شمعون . وفي أسد الغابة بنت سمعون . وفي سيرة ابن هشام بنت عمر .

(٢) راجع ترجمتها في طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وسيرة ابن هشام وأسد الغابة لابن الأثير وشرح الزرقاني على المواهب والسمط الثمين للمحب الطبري والإصابة لابن حجر والمستدرك للحاكم وأعلام النساء لرضا كحالة .

(٣) راجع أعلام النساء لعمر رضا كحالة (٤٧٤/١) .

قال الواقدي[1] :

وكانت متزوجة من بني قريظة من « الحكم » وذلك قبل أن تسبى من قبل رسول الله ﷺ ...

وقد اختارها رسول الله ﷺ لنفسه صفياً ، إذ كانت ذات جمال كبير .. فعرض عليها النبي عليه الصلاة والسلام أن تسلم فأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووجد في نفسه ، فأرسل إلى ابن سعية فذكر له ذلك ، فقال ابن سعية : فداك أبي وأمي هي تسلم .

وخرج من عند رسول الله ﷺ حتى جاءها ، فجعل يقول لها :

« لاتتبعي قومك ، فقد رأيت ما أدخل عليهم حيّ بن أخطب ، فأسلمي يصطفيك رسول الله ﷺ لنفسه » .

وراح يعطيها من تعاليم الإسلام ويحببها فيه ، ومدى المكانة العظمى التي سوف تكون لها من خلال اختيار رسول الله ﷺ واصطفائه لها دون غيرها من النساء .

حتى وافقت ودخلت في دين محمد ﷺ ..

فتبشر وجه « ابن سعية » بالخير ، وذهب مسرعاً إلى رسول الله ﷺ مبشراً ..

وبينا رسول الله ﷺ في أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين ، فقال : « ***إن هاتين لنعلا (ابن سعية) جاء يبشرني بإسلام ريحانة*** » .

فجاء « ابن سعية » فقال : يا رسول الله قد أسلمت ريحانة .

فسر كثيراً رسول الله ﷺ ، وأمر بإرسالها إلى بيت « أم المنذر بنت

(١) عن مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ابن منظور) (٢/٢٩٠) .

قيس » ، فجلست عندها « ريحانة » حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضها . فجاءت أم المنذر وأخبرت رسول الله ﷺ بشأنها بأنها قد طهرت من حيضها ..

فجاءها الرسول ﷺ في منزل « أم المنذر » فقال لها :

« إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطؤك بالملك ، فعلت » .

فقالت : يا رسول الله ، إنّ أخفّ عليك وعليّ أن أكون في ملكك . فكانت في ملك اليمين عند رسول الله ﷺ يطؤها حتى ماتت عنده .

ويقول ابن أبي ذئب :

سألت الزهري عن ريحانة فقال : كانت أمةً لرسول الله ﷺ ، فأعتقها وتزوجها ، فكانت تحتجب في أهلها . وتقول : لايراني أحد بعد رسول الله ﷺ .

وعن عمر بن الحكم قال :

« أعتق رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة . وكانت عند زوج لها ، وكان محباً بها مكرماً ، فقالت : لا أستخلف بعده أبداً . وكانت ذات جمال . فلما سبيت بنو قريظة عرض السبي على رسول الله فكنت فيمن عرض عليه ، فأمر بي فعزلت ، وكان يكون له صفي في كل غنيمة . فلما عزلت خار اللهلي فارتحل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياماً حتى قتل الأسرى وفرق السبي، ثم دخل علي رسول الله ﷺ فتجنبت منه حياءً فدعاني فأجلسني بين يديه، فقال : ***« إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه »*** . فقلت : إني أختار الله ورسوله . فلما أسلمت أعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة

أوقية ونشاً ، كما كان يصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر ، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه ، وضرب عليَّ الحجاب .

وكان رسول الله معجباً بها ، وكانت لا تسأله ـــ يعني شيئاً ـــ إلا أعطاها ذلك . ولقد قيل لها : لو كنت سألت رسول الله بني قريظة لأعتقهم ، وكانت تقول : لم يخل بي حتى فرق السبي . ولقد كان يخلو بها ويكثر منها . فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع ، فدفنها بالبقيع ، وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة .

وعن ابن شهاب قال :

واستسر رسول الله ﷺ ريحانة من بني قريظة .. ثم أعتقها فلحقت بأهلها .

وقيل أيضاً : كانت من بني النضير ، فكانت تكون في نخلة ، نخل الصدقة ، وكان يقبل عندها رسول الله أحياناً . وكان قد سباها في شوال سنة أربع من الهجرة . وقيل كان النخل في العالية ..

وزعم بعضهم أن النبي ﷺ ابتدأه أول وجعه الذي توفي عندهم ..

وهكذا نرى بأن كتب السيرة والتراجم التي كتبت عن « ريحانة بنت زيد » قد اختلفت فيها .. فرأينا أن نذكرها بتمامها حسب ما وردت عند محدثيها .. والله عز وجل أعلم ...

مع نسل المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم

فاطمة بضعة مني .... يريبني
ما رابها ويؤذيني ما آذاها

بنات النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

زينب الكبرى	« بكر سيد ولد آدم »
رقية	« ذات الهجرتين »
أم كلثوم	« الصابرة المحاصرة »
فاطمة الزهراء	« سيدة نساء أهل الجنة »

الطاهرة

زينب الكبرى

بنت سيد ولد آدم

عليه وعلى آله الصلاة والسلام

الطاهرة

زينب الكبرى

.. وانبسطت أسارير وجه الطاهرة أم المؤمنين « خديجة » بالفرح والسرور وراحت تهتز طرباً حين أفضت إلى زوجها ﷺ بسر حملها ...

لقد حملت من سيد العالمين ، ومبشر الأمة بدين الإسلام .. خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وإن هي إلا شهورٌ قليلة حتى تضع ما في بطنها ...

فهي تشعر في صميم وجودها بأن حملها وإنجابها ذرية من محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، شيء مختلف عن إنجابها السابق ، شيء رائع يثلج الصدر ، ويشرق النفس بآمال عظيمة كبيرة ...

.. « وأطلق محمد ﷺ لخياله العنان ، فقد كانت فرحته عظيمة بالنبأ السار العظيم ... فذاك المولود الذي في بطن زوجته المخلصة الطاهرة هو الابن والأخ والحبيب ..

وما هو ﷺ إلا بشر من البشر ، له الإحساس بروح الأبوة ، وله فرحته الكبيرة عندما تكون له الأسرة والأولاد ، يرعاهم برعايته الكبيرة ، ويربيهم بتربيته الصالحة المؤمنة ، تلك الرعاية التي طالما حرم منها ، فهو الذي شب وحيداً يتيماً ، لم يذق طعم حنان الأبوة ، ولا حلاوة الأخوة الصادقة ، ولا عطف الأم الحنونة الرؤوم ، وإن ذاق طعم الاستبشار بالأنس بربه ومداومته النظر إلى وجهه تعالى ... » .

السيدة زينب بنت سيد ولد آدم ، وبكر الطاهرة الشريفة أم المؤمنين ، الصادقة الأمينة ابنة الأمين ، الطاهرة ابنة الطاهرة ، المؤمنة العفيفة ، المخلصة ...

وتدور الأيام والشهور مسرعة ، والرسول ﷺ عاكف على رعاية الطاهرة سيدة نساء العالمين ، وهو يغمرها بعطفه ورعايته .. إلى أن كانت ساعة المخاض ...

ووضعت السيدة أم المؤمنين « خديجة » طفلة جميلة جعدة حسناء ، بيضاء النور من خلال وجهها الطاهر ، فهي ابنة أكرم بني البشر وسيدة نساء العالمين .

وأخذها الرسول ﷺ بين يديه ، وضمها إلى صدره في عطف وحنان ، ووضع على وجنتيها قبلة ناعمة دافئة بعد أن شكر الله تعالى على ما آتاه من كرم في سلامة زوجته السيدة « خديجة » وولادتها للبكر الجديدة التي أسماها « زينب » .

زينب بنت محمد الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم بن عبد اللهبن عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية ...

وأمها : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي القرشية الأسدية ...

... واحة من الإيمان في صحراء الكفر والضلالة ، سراج منير في ظلمات بعضها فوق بعض ، كان بيت النبوة الذي ضم بين جدرانه سيد بني آدم عليه الصلاة والسلام والسيدة خديجة زوجته وبكرهما الطفلة الحبيبة « زينب » ، بيت يذكر فيه اسم الله في الغدو والآصال ، ذلك الذكر الذي كان ينبعث من قلبين مؤمنين عرفا الحقيقة بدين الإسلام ، وأشرق فيهما نور اللهعز وجل ، فقد كان ذكرهما يفوق كل الذكر المنبعث من قلوب الحنفاءوالصابئة وأهل الكتاب ، وكل من تحركت بالذكر شفتاه ، فلو وزن إيمانهما بإيمان أهل الأرض لرجحه ..

وراح الرسول ﷺ يضم زينب إلى صدره حباً وحناناً ، فهي الطفلة الحبيبة من الأم الحبيبة ، فتنبسط أسارير وجهه سروراً ، وتتسارع ضربات قلبه حباً وولعاً ، حتى تشعر زوجته الطاهرة بحبه الدافق للثمرة المباركة التي جمعت بينهما ، فخفق قلبها وتدفقت منه كنوز مشاعرها المرهفة الرقيقة ...

كانت « زينب » تشبه أمها الطاهرة « خديجة » وهي في طفولتها البريئة ... ولكن !.. لم يكن ذلك ما يشغل قلب أبيها الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم ، بل راح يفكر في جفنيها وكيفية انفتاحهما وانطباقهما ، وفي عينيها ولسانها وشفتيها ، وفي إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق ، واسترسل في تأمله فراح يفكر كيف خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل والقلب ، فيمتلئ اندهاشاً وإجلالاً وكذلك سيستمر في تأمله والنظر في خلق الله تعالى شكراً له ، ويقيناً في خلقه وقدرته عز شأنه ..

تدور الأيام والسنون ...

وتكبر البكر المدللة « زينب » ، وما كادت تكتمل أنوثتها الغضة حتى تقدم لخطبتها ابن خالتها (أبو العاص بن الربيع) أحد رجال مكة المعدودين شرفاً ومالاً ، من صميم نسب قريش ، حيث كان يلتقي نسبه من جهة أبيه مع النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم عند عبد مناف بن قصي ، ويلتقي نسبه كذلك من جهة الأم مع زينب بنت رسول الله ﷺ عند جدها الأدنى خويلد .. وذلك لأن أمه « هالة بنت خويلد » هي أخت أم المؤمنين الطاهرة « خديجة بنت خويلد » زوجة النبي ﷺ[1] ..

« وكان أبو العاص بن الربيع إلى جانب ذلك الأصل العريق والعرق الطيب ، كريم الخصال ، نبيل الشخصية ، حتى لقد لقبه قومه بالأمين ، كما لقبوا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام »[2] .

« وكذلك أتاحت له أمانته من ثقة الناس به واطمئنانهم إليه ما جعله يتقدم إلى الصف الأول من صفوف التجار ، وهم يومئذٍ سراة مكة وأثرياؤها »[3] .

وقد كان لأم المؤمنين الطاهرة « خديجة »الرغبة الكبيرة في زواج « ابن الربيع » من ابنتها « زينب » فمهدت السبيل أمامه وساعدته للتقدم لخطبة ابنتها . وقد كان لها من وراء ذلك قرابته لها وكذلك معزتها الخاصة له ومجده الموروث المكتسب ، كل هذا كان السبيل إلى تزكيته أمام الأبوين الشريفين ، وموافقتهم على زواج ابنتهم له .

---

(١) راجع جمهرة أنساب العرب ، ط الزخائر (٧٠) ، والمحبر (٥٣) ، والاستيعاب (١٧٠١/٤) ، وفي الإصابة (١١٨/٧) . وكذلك في نسب قريش (٢٣١) .

(٢) ما رواه الزبيري في نسب قريش ، ط الزخائر (٢٣١) .

(٣) السيرة لابن هشام (٣٠٦/٢) ، وكذلك في ترجمة ابن العاص بن الربيع في الإصابة .

ويتقـدم الخطيب « أبو العـاص »بصحبـة أهله لخطبـة بنت محمد ﷺ « زينب » وابنة أم المؤمنين رضي الله عنها « خديجة » ..

فقال رسول الله ﷺ : ***« إنه نعم الصهر الكفء » !!...***

ويتريث رسول الله ﷺ في الرد على طلب الخطيب « أبي العاص » حتى دخل على ابنته ، وسألها :

« أي بنيـتي زينب :... إن ابن خـالتك أبـا العـاص بن الربيع جـاء لخطبتك » .

فما كان من العروس « زينب »إلا أن أطرقت رأسها حياءً وأن تلألأ البشر في وجهها والتمعت عيناها قبل أن تسبل عليهما جفونها . فالتفت رسول الله ﷺ إلى زوجته « خديجة » وأنبأها بموافقته ، فسكوت زينب علامة رضاها على هذا الزواج ...

وذاع الخبر السعيد في مكـة .. فنحرت النحائر ، ومدت الموائد ، وقام القيان يرقصن ، وجلجلت أصواتهن بالغناء ، وساد الفرح أرجاء مكة كاملة فرحاً منهم بالزواج المبارك ..

واستوى الليل ، وحمل أبو العاص بن الربيع زوجته زينب بنت خاتم النبيين ﷺ إلى داره .. وأبوها يرقبها .. وأمها ترنو إليها وفي عينيها دموع وفي قلبها أفراح ، وفي ضمـيرها دعوات ، كانت بكل جوارحها وبكل عواطفها ترجو لها التوفيق والسعادة والهناء .

وفي البيت الجديد ، تحل العروس البكر « زينب » عزيزة مكرمة هانئة ، لتهنأ في ظل زوجها الحبيب الفاضـل الكريم « أبي العاص » ، وتطيب لها الحياة الجديدة بعد أن تحققت كل أمانيهـا .. كمثل كل فتاة أصيلة في هذه الحياة ،

فكانت الزوجة الكريمة الطيبة التي تقوم على إشادة بيتها ، وطاعة زوجها ، وإخلاصها له ، منتظرة سنة الله تعالى ورسوله في خلقه لبناء أسرة طيبة عريقة ..

ولقد أصاب « أبو العاص » في اختياره الزوجة الصالحة ابنة سيد هذه الأمة عليه الصلاة والسلام .. وفاز بالسعادة الزوجية التي وجدها عندها ... فكان كلما آن الأوان للسفر يشتد عليه الفراق .. فينشد من أشعاره وهو بعيد عنها :

ذكرتُ زينب لمّا وركتْ أرما — فقلتُ سُقْيَا لشخص يسكنُ الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة — وكلُّ بَعْلٍ سيثني بالذي عَلِمَا[1]!!

ومَنَّ الله على الزوجين الكريمين بولدين : الأول « علي بن أبي العاص » ، والثاني : « أُمامة بنت أبي العاص » وهي التي قد تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها[2] .

وتدور الأيام .. ويتابع الزوج « أبو العاص » رحلاته المتوالية إلى بلاد الشام وغيرها .. ويترك دونه زوجته الحبيبة « زينب » كمثل كل مرة يسافر فيها طلباً للرزق والتجارة .

* * *

(١) طبقات ابن سعد (٢٠/٨) والاستيعاب (١٨٥٤/٤) ، والروض الأنف (٥٣ ، ٩٩) .
(٢) جمهرة أنساب العرب (٧٠ ، ١٥٨) والمحبر (٥٣ ــ ٩٩) ، نسب قريش (٧٠) .

في غار حراء ... وبينما رسول الله ﷺ في تعبده وشكره الدائم لله.. فإذا بأنوار ربانيـة تغشى المكان ، وإذا برحمة إلهية تنزل على من اصطفاه ربه ليكون رسوله إلى الناس ، وإذا بالروح الأمين يكلفه برسالة تنوء بحملها الجبال ، رسالة هداية البشرية جمعاء ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده لاشريك له ..

وانقلب محمد ﷺ إلى أهله ليس له عون إلا عون ربه وإيمان بإلهه، يرتجف بوادره من هول ما كان بينه وبين رسول ربه في غار حراء ، وقد أشفق على نفسه من ضخامة المسؤولية التي وضعت على كاهله ، فقد أمر وهو الأعزل من كل سلاح أن يقف في وجه الفساد الذي انتشر في الأرض ، وأن يتحدى الجبابرة والعتاة والمفسدين حتى يتم اللهنوره ، ولم يخفف من حدة الهلع الذي نزل بقلبه إلا أنه وعد بنصر من عند الله ...

وحين دخول رسول الله ﷺ شاهدته زوجته الطاهرة « خديجة » فهونت عليه الأمر بأسلوبها اللين المعتاد بعد أن سمعت منه هبوط الوحي عليه ، فصدقته وآمنت بدعوته وبدأت الدعوة معه جنباً إلى جنب .. وقالت له :

« الله يرعانا يا أبا القاسم ، أبشر يا ابن عم واثبت والله لايخزيك اللهأبداً. إنك لتصـل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق »[١] .

ولبثت « زينب »عند سماع الخبر في مكانها ساكنة لاتريم ، وأفلت منها زمام أفكارها فلم تدر من أين تبدأ ولا أين تنتهي ، بل خيل إليها أنها تسبح نائمة في بحر لجي لاتدرك عبره !...[٢]

---

(١) كذا في تاريخ الطبري (٢/٢٠٥) ، وكذلك في ترجمتها بالاستيعاب والإصابة .

(٢) تراجم سيدات بيت النبوة ، د. عائشة عبد الرحمن (٥٠١) .

وردّها إلى يقظتها صوت أختها فاطمة ، إذ تقول سائلة :

ـــ أوما يسرك يا أختي أنكِ بنت نبي هذه الأمة ؟..

ـــ أجل والله يا فاطمة ، وأي فتاة لايزدهيها ذلك الشرف الذي ما بعده شرف ؟ لكنه الذي سمعت وسمعتِ من قول خالي « ورقة » :

ـــ ليُكَذبَّن أبي ، وليؤذين ، وليخرجن ، وليقاتلن ![1] .

ويعود الزوج المسافر من رحلته ليلقى زوجته « زينب » ويضمها بين ذراعيه بعد طول غياب وعناء من السفر واشتياق حار لها .. وليحدثها عما ملأ سمعه من شائعات تناقلها الركبان ، عن ظهور « محمد بن عبد الله » بدين جديد يخالف دين آبائهم وأجدادهم ..

وتحدثه زوجته « زينب » بالنبأ اليقين عن أبيها رسول الله ﷺ ، وهبوط الوحي عليه في غار حراء ودعوته للرسالة الإلهية بنشر دين الإسلام ، وكذلك بأنها قد دخلت في دينه واتبعت دين الإسلام هي وأمها وأخواتها ..

فقال لها : أو قد فعلتها يا زينب .

فقالت : ما كنت لأكذب أبي وإنه والله لكما عرفت ، هو الصادق الأمين ..

وراحت تدعوه أن يدخل في دين الإسلام ، ويبتعد عن عبادة الحجارة والأصنام كما فعل بنو قومه الذين سبقوه إلى الإسلام مثل أبي بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب ، وابن عمه عثمان بن عفان ، وابن خاله الزبير بن العوام ..

فأخذ في وجوم دائم ، وذهب يفكر بعيداً عما قد يصيبه من سمعه بين أهله

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٧٤)، وتاريخ الطبري (٢/٢٠٧) .

وعشيرته بأنه قد ترك دين آبائه وأجداده واتبع دين زوجته .. فقال لها وقد ترنح صوته :

ـــ يا زينب !.. والله ما أبوكِ عندي بمتَّهم ، وليس أحب إليَّ من أن أسلُكَ معكِ يا حبيبة في شعب واحد ، لكني أكره لكِ أن يقال إن زوجك خذل قومه وكفر بآبائه إرضاءً لامرأته ، فهلا قدرتِ ذلك !؟..

وتطول الأيام على هذه الحال بين الزوجين ، والدعوة المحمدية لاتزال قائمة للهداية إلى دين الإسلام ، بينما راحت قريش تأخذ وتشتد في عداوتها لرسول الله ﷺ ، وتتابع من اتبع دين الإسلام لتلحق بهم الأذى والاضطهاد وتشردهم من أموالهم وديارهم ، إلى أن كانت المقاطعة الرهيبة التي سجلت في صحيفة علقت على باب الكعبة ، وخرج بالمؤمنين إلى شعب أبي طالب بظاهر مكة حيث أقاموا هناك في حصار طويل امتد نحو ثلاث سنوات[1] .

وبعد تمزيق الصحيفة بستة أشهر مات العم أبو طالب وكذلك بعده بثلاثة أيام توفيت أم المؤمنين خديجة الكبرى أم بنات رسول الله ﷺ .

وغابت الشمس وراء جبال مكة ، فانطلق الرسول ﷺ إلى بيت « أم هانئ » ليبيت عندها ، سار مكلوم الفؤاد .. فهو لايطيق أن يمضي الليل في داره بعد أن أقفرت من الطاهرة ، « خديجة » ولو أنه قد بنى « بسودة بنت زمعة » ، وكذلك بناته يبذلن نفسهن ليهيئن للأب الصابر الحزين كل أسباب الراحة .. إلا أن ما يعتلج في نفسه من الحزن والشجن كان يضفي كل لطفه ببناته وزجته اللاتي انطوين على أنفسهن بعد أن فقدن الغالية الطاهرة أم المؤمنين ..

(١) تاريخ الطبري (٢/٢٢٥) ، وعيون الأثر (١/١٣١) ، والسيرة الهشامية (١/٣٧٥) .

وبينما رسول الله ﷺ في دعوته إلى دين الحق والإسلام ، لم تزل قريش تسعى وراء مطاردته وتعذيبه لينفك عن دين الإسلام الذي جاء به داعياً ..

وتصبح مكة وما حولها يوماً وقد خلت من محمد ﷺ وصاحبه الصديق أبي بكر رضي الله عنه .. فقد كانت الهجرة !!..

وتسري القافلة المهاجرة في الصحراء بجوف الليل ، وقد زينت السماء بمصابيح ، فرأوا ببصرهم جمالاً لم يشهدوا مثله من قبل على طول ما سروا في الليل ، فقد صفت قلوبهم وتيسر لهم الفكر ، فكشف الله تعالى لهم من أسرار ملكوت السماء والأرض في لحظة ما عجزوا عن إدراكه طوال السنين التي انصرمت من أعمارهم ...

وقد تبعه من صحبه كذلك كل من آمن به واتبع دين الهدى ، وكذلك بناته فاطمة وأم كلثوم ورقية اللواتي هاجرن لحاقاً بالأب الصادق الأمين ..

وتتلفت زينب حولها وإذا بمكة قد خلت من أبيها وأخواتها وكل الأهل والأحباب ..

.. « أين أبي وأمي ؟ أين رقية وأم كلثوم وفاطمة ؟ أين القاسم وعبد الله ؟ أين الأهل ؟ »...

لقد رحلوا جميعاً وتركوني وحيدة في هذه الأرض المقفرة الموحشة ، بين أيدي الكفرة والطغاة ..

فرحلت إلى قبر أمها الطاهرة الشريفة « خديجة » لتروي الثرى بدمعها ، وتقرأ عليها ما تعلمته من مدرسة النبوة أبيها عليه الصلاة والسلام ، فأمها الراقدة تحت التراب هي الأقرب الآن إليها ... ومن كانوا مقربين منها هم البعيدون عنها الآن ..

وكانت الصـدمة القـاسية لزينب ألا يدخل زوجهـا في دين الإسـلام الحنيف ، فساد جو المنزل قلق وهم ، وانقلب النعيم بينهم إلى جحيم ..

وبقيت زينب على هذه الحال في بيت زوجها بمكة ، ولم يبق حولها من يخفف آلام غربة الوالدين عنها ، فقد هاجر أبوها وصحبه وبناته إلى المدينة المنورة ، وانتقـلت الوالدة أمهـا الطـاهرة إلى الرفيق الأعلى ، وزوجها يتبع عبادة الأوثان والحجارة .. فلم يبق لها إلا الله تتضرع إليه وتدعوه أن يلهمها الصبر ..

ونشبت معركة بدر بين المسلمين والكفار ، فطلب المشركون من « أبي العاص بن الربيع »زوج زينب الخروج معهم لمحاربة المسلمين ورسول الله ﷺ ، فلبى الدعوة مسرعاً .. وخرج للمعركة ولكن كان نصيبه في هذه الغزوة أن يقع أسيراً لدى المسلمين ..

فانتاب زينب عند سماع خبر أسر زوجها الأسى العميق والحزن عليه لموقفه العـدائي من أبيهـا الرسـول ﷺ الذي لم يكن له منـه إلا كل الخير والمعروف والإحسان ..

وكان « أبو العاص »ذا مالٍ وفير .. وقد أراد أهله أن يغلوا في فدائه .. ولكن زوجته « زينب »آثرت أن تفديه بما هو أغلى من المال !..

روى ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت :(١)

« لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت « زينب » بنت رسول الله ﷺ في فداء « أبي العاص بن الربيع »بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة رضي الله عنها ، أدخلتها بها على «أبي العاص» حين بنى عليها ، قالت : فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقةً شديدة ، وقال :

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٦٥٣/١ ــ ٦٥٤) .

« إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ؟.. وتردُّوا عليها مالها فافعلوا » ..

قالوا : نعم يا رسول الله !!..

فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها ..

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ وعداً منه أن يخلي سبيل « زينب »إليه ، وهذا عهدٌ عليه كما عرف عنه أنه لا يخل بالعهد..

وبعث رسول الله ﷺ « زيد بن حارثة »ورجلاً من الأنصار ، وقال لهما :

« كونا ببطن يأجج (وهو مكان على بعد ثمانية أميال من مكة) حتى تمرَّ بكما زينب ، فتصحباها حتى تأتياني بها » .

وعاد « أبو العاص »إلى مكة ، ففرح الناس بعودة من كان من الرجال المعدودين مالاً وأمانة وتجارة ، وطاف بالبيت سبعاً ، وغدا مسرعاً إلى « زينب » إلى الزوجة التي بعثت في فدائه بأعز ما تملك ، إنه طوال الرحلة قد شغل بوجه محمد ﷺ وقد رقَ لها رقة شديدة ، إنه كان يعلم حبه الكبير إلى خالته « خديجة » ، ولكنه ما كان يتصور أن حبه لها يكاد يذوب رقة لمجرد رؤية قلادتها ، وأن تغيم عيناه بالدموع لذكراها الغالية ...

وراح أبو العاص بن الربيع يغذ السير ليلحق بزوجه وهو ملهوف في صدره شوق وفي فؤاده هوى وعلى لسانه كلمات حب ، وهم بأن يترنم بشعر يعبر عن شدة عواطفه في وجدانه ، إلا أنه أفاق إلى نفسه وتذكر ما وعد به رسول الله ﷺ ، فقطب حاجبيه وقد هاجت في عين ذاته الأحزان ، فهو لايستطيع أن ينكث وعده وإلا لطخ أمانته التي اشتهر بها بين قومه ..

إنه وعد أليم موجع لقلبه ، سيقوض البيت الهانئ والذي عجزت عواصف الأحداث من قبل على أن تزعزع أركانه ، وعندما بلغ داره ، فما أن وقعت عينا

زينب عليه حتى جرت إليه ودموع الفرح تغسل الوجه الذي انبسطت أساريره ، وصار في لحظة مرآة الفؤاد الذي فاض في لحظة بشتى المشاعر والانفعالات .

وغاب الزوجان عن الوجود ، ولم يحسا إلا بأنفاسهما وعواطفهما الثائرة المشبوبة .. وبينما هما في غمرة سعادة العودة وإذ بصدى صوت رسول الله ﷺ يرن في أعماق « أبي العاص » ، فيبعد زوجته عن صدره ويقول لها :

ــ تأهبي يا زينب لتلحقي بأبيكِ ..

ونظرت إليه زينب في دهشة ، وهي لا تدري معنى الذي يقول ، ولاتكاد تفقه شيئاً ، فقال لها وقد أطرق بنظره إلى الأرض :

ــ قد فرَّق بيني وبينكِ الإسلام ..

... إن أبا العاص قد وعد رسول الله ﷺ بأن يردَّ له زينب إلى المدينة ..، وكان يعلم قسوة ذلك الوعد على قلبه، ولكنه وهو يفضي إلى زينب الحبيبة بما شرط عليه أبوها ، يشعر أن قلبه يتمزق وأنه يتناثر أشلاء ، وياطالما ترنم الركبان بشعره الذي يتشبب فيه بزينب بنت محمد ﷺ .

وغدت زينب تجاهد عواطفها وهي تتجهز للخروج ، إنها قالت صادقة بلسانها ووجدانها : « سمعاً وطاعة لله تعالى ورسوله » ، ولكن عواطفها خذلتها ولم تكن لها عليها سلطان ، فدمعها لايرقأ وقلبها دائم الخفقان للحبيب الذي كان نعم الزوج على الدوام ..

وبينما هي تتجهز للحاق بأبيها لقيتها « هند بنت عتبة » مَنْ قُتِلَ أبوها وعمها وأخوها يوم بدر ، فقالت لها :

ــ ألمْ يبلغني يا بنت محمد أنكِ تريدين اللحاق بأبيكِ ؟..

فقالت زينب في حذر :

ـــ ما أردت ذلك .

ـــ أي بنت العم ، لاتفعلي .. إن كانت لكِ حاجة في متاع أو فيما يرفق بك في سفركِ أو مالٍ تبلغين به إلى أبيكِ ، فإن عندي حاجتكِ ، فلا تستحي مني فإنه لايدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال ..

وأحست زينب أنها صادقة ، وما قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكن خافتها فأنكرت أن تكون تريد ذلك ..

وتجهزت حتى فرغت من جهازها ، فأخذها أخو زوجها « كنانة بن الربيع »وقدم لها بعيراً ، وأخذ قوسه وكنانته وخرج بها نهاراً يقود بعيرها وهي في هودج على ظهره .

وتحدث في أمر رحيلها الرجال من قريش والنساء ، وتلاومت في ذلك وأشفقت أن تخرج ابنة محمد قاتل آبائهم وأولادهم من بينهم على تلك الحال ، فخرجوا في طلبها سراعاً حتى أدركوها بمنطقة « ذي طوى » فكان أول من سبق إليها « هبار بن الأسود بن عبد المطلب »و« نافع بن عبد القيس الفهري » ، فروعها « هبار » بالرمح وهي في الهودج ، وكانت وقتئذٍ حاملاً ، فغدت تنزف دماً ..

ووقف حاميها « كنانه بن الربيع »ونثل كنانته بين يديه ، ثم أخذ منها سهماً فوضعه في كبد قوسه ، وقال :

ـــ أحلف بالله ، لا يدنو اليوم منها رجل إلا وضعت فيه سهماً ..

فرجع الناس عنه .. وجاء أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال :

ـــ أيها الرجل : اكفف عنا نبلكَ حتى نكلمك .

فكف النبل عنهم ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف إليه ، فقال :

ـــ إنكَ لم تحسن ولم تصب ، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية جهاراً وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد أبيها ، فيظن الناس إذا أنت خرجت بابنته إليه جهاراً أن ذلك على ذلٍ أصابنا أو عن وهنٍ فينا . ولعمري مالنا في حبسها من أبيها من حاجة وما فيها من ثأرٍ ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس بردها سلها سلاً خفياً .. فألحقها بأبيها ..

وراحت زينب تنظر إلى الدم الذي ينزف منها في خوف ، ورأى كنانة بن الربيع أن يعود بها استجابة لتوسل أبي سفيان وحفاظاً على حياة زوجة أخيه .

وشاهدت هندٌ بن عتبة الذين خرجوا إلى زينب حين انصرافهم فقالت لهم :

أفي السلم أعيارٌ[1] *جفاءً وغلظة* وفي الحرب أشباه النساء العوارك[2]

وفيما كانت زينب في طريقها بالعودة ، طرحت ما في بطنها وأصابها ضعف ، فلما بلغت دار زوجها أبي العاص هرعَ من فيه إليها يحملونها وهي غارقة في دمائها .

وراح أبو العاص بن الربيع يمسح بحنانه آلام زوجته التي فرق الإسلام بينه وبينها .

واستردت زينب بعد أيام بعض قواها ، وهدأ الصوت عنها ، فأخذها كنانة ابن الربيع على بعيرها وهي تذرف الدمع على فراق زوجها أبي العاص ، فخرج بها

---

(١) أعيارٌ : حمر الموحش ، والعيار من الرجال : الذي يخلي نفسه وهواها .

(٢) النساء العوارك : النساء الحوائض .

ليلاً وهو يسلها سلاً خفياً وقد أرهفت حواسه خشية الطلب ..

إلى أن وصــل كنانة بن الربيع بهودج زينب إلى المكان الذي ينتظره به الرجلان رسولا الرسول ﷺ في منطقة « ذي طوى » فأسلمهم إياها وهو يقول :

عجبت لهبــار وأوبــاش قــومــه — يريدون إخفــاري[1] ببنت محمد
ولست أبــالي مــا حييت عديدهـم — وما استجمعت قبضــاً يدي بالمهند

وانطلق الرجلان حتى قدما بزينب على رسول الله ﷺ ، فلما تقدم خافق القلب عليه السلام لاستقبال إبنته العزيزة من دار الشرك إلى دار الإسلام ، إذا به يجدها تنزف دماً فأصابه كدر ، وسمع ما كان من هبار بن الأسود من قسوة على زينب ، فأهدر دمه .

وقال شاعر الأنصار عبد الله بن رواحة فيما كان من أمرِ زينب :

أتــاني الذي لا يقــدّر النــاس قدره — لزينب فيهــم من عقــوق ومــأثم
وإخــراجهــا لم يخزَ فيهــا محمــد — على ثــاقط[2] بيننــا عطر منشم[3]
وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم[4] — ومن حـربنــا في رغــم أنف ومنـدم
قـرنــا إبنــه عمــراً ومولى يمينــه — بذي حلق جلد الصــلاصل محكم
فــأقسمت لا تنفك منــا كتــائب — ســراة خميس[5] في لهام[6] قســوّم

---

(١) إخفاري : نقض عهدي . كذا في السيرة لابن هشام (٣١٠/٢) ، وشرحها في الروض الأنف (٦٨/٣) .

(٢) ثاقط : معترك الحرب .

(٣) كناية عن شدة الحرب ، ومنشم : بائعة طيب تعطر بطيبها فتيان ثم ذهبوا للحرب فلم يرجعوا .

(٤) ضمضم بن عمرو الغفاري ، أرسله أبو سفيان ليخبر أهل مكة بمحاولة تعرض الرسول وأصحابه لتجارة قريش .

(٥) الخميس : الجيش الكبير .

(٦) اللهام : الجيش العظيم .

نزوع قريش الكفر حتى نُعلَّها[1] بخاطمة من فوق الأنوف بميسَم
تنزلهم أكناف نجد ونخلة وإن يُتهموا بالخيل والرَّجل نُتهم
يد الدهر حتى لايعوج سربنا وتلحقهم آثار عاد وجرهم[2]
ويندم قوم لم يطيعوا محمداً على أمرهم ولات حين تندُّم
فأبلغ أبا سفيان إما لقيته لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلم
فأبشر بخزي في الحياة معجَّل وسربال قار خالداً في جهنم

حدثنا أبو هريرة إذ قال :[3]

بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيهم . فقال لنا :

« إن ظفرتم « بهبار بن الأسود »أو « نافع بن عبد قيس الفهري » فحرقوهما بالنار » .

ــ فلما كان الغد بعث إلينا رسول الله ﷺ ، فقال :

« إني كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » ..

ومرت سنوات ست ، وزينب تعيش في حمى أبيها رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وما كاد يوماً يغلبها اليأس في نور الإسلام سوف يدخل قلب زوجها « أبي العاص » .

وتشاء الأقدار على أبي العاص زوج زينب بعد ست سنوات أن ينشرح قلبه لدين الهدى والصلاح دين الإسلام الحنيف .. فيهاجر إلى المدينة حيث رسول الله

(١) العلل : الشرب مرة بعد مرة.
(٢) عاد وجرهم : من القبائل التي بادت .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤١٢) .

ﷺ ويعلن الشهادة أمامه ودخوله في دين الحق المنزل من السماء ، دين الهدي والنور ..

وتعلم زينب خبر قدوم زوجها أبي العاص ودخوله في دين الإسلام ، فتأخذها الدهشة مع انشراح قلبها ، وتنفرج أسارير وجهها ، ويلفها صمت مشحون بفرح كبير ، وقد غرق الكون من حولها في سكون خاشع ، فطالما جلست منتظرة خبر إسلامه وقدومه المدينة . فتسرع إليه مرحبة به :

ـــ مرحباً بابن الخالة ، مرحباً بك أبا علي وأمامة ..

وكان صوت أبيها ﷺ يدوي الكون بقول الله أكبر وهو يكبر في المسجد ، ويكبر معه الناس فجمعت زينب نفسها ، بعد أن استجمعت شيئاًمن قواها ، وقامت إلى الباب .. وصاحت بأعلى صوتها :

« أيها الناس ، إني أجرت أبا العاص بن الربيع »[1] .

وجاء صوتها في أرجاء المنزل كبير العطر .. فلما سلم ﷺ بعد انتهاء صلاته ، أقبل على من معه وقال :

« أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت » ؟..

أجابوا عليه : نعم يا رسول الله ، قد سمعنا .

فقال ﷺ :

« أما والذي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم » ..

---

(١) طبقات ابن سعد (٦٣/٢) ، والاستيعاب (٧٠٢/٤) ، والإصابة (٩١/٨) ، والسيرة النبوية (٣١٢/٢) .

وتابع قوله ﷺ :

« *إنه يجير على المسلمين أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت* »[1] .

وبعد أن فرغ ﷺ من صلاته دخل على ابنته وكان عندها زوجها ابن خالتها ، فقالت له وقد ترنح صوتها برجاء ضارعة :

ـــ يا رسول الله ، إن أبا العاص إن قَرُبَ فابنُ عَمٍّ ، وإن بَعُدَ فأبو ولدٍ ، وإني قد أجرته ..

وبعد مرور فترة من الزمن دعا رسول الله ﷺ ابنته وكله عطف وتأثر من موقفها هذا بعد أن تأكد من إسلام زوجها وعطفه على زوجته ورغبته في ردها .

قيل : ردها عليه في النكاح الأول ، وقيل ردها عليه في نكاح جديد[2].

وبعد طول فراق بين الزوجين دام طويلاً يجتمع الشمل بينهم ، ويتلاقى الحبيبان تحت سقف واحد ودين واحد وإله واحد .

وبعد مرور عامٍ تقريباً على لقاء الزوجان ، عاد الفراق بينهما من جديد ، ولكن هذا الفراق الذي لا لقاء بعده ..

فقد ماتت « زينب »بكر رسول الله ﷺ ، وأسلمت روحها الطاهرة للباري عز وجل في السنة الثامنة للهجرة ، وهي متأثرة بآلامها التي لازمتها من وقت طرحت جنينها ، ونزفت دماً في الصحراء الجرداء وهي مهاجرة من مكة .

---

(١) تاريخ الطبري (٢/٢٩٢) ، السيرة (٢/٣١٣) ، والطبقات (٢/٦٣) ، والاستيعاب (٤/١٧٠٢) .

(٢) ذكر القول الأول ابن عباس في الطبري (٢/٢٩٣) ، وابن حبيب في المحبر (٥٣) ، وأخرجه بن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٧٠٣) . وفي القول الآخر ذكر في الروض الأنف (٣/٦٩) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

فكانت المصيبة الكبرى للزوج الحبيب ، الذي أكب على جثمان الحبيبة يناجيها ويذرف عليها دموعه حتى أبكى كل من حوله ، إلى أن حضرها أبوها رسول الله ﷺ والحزن يملأ قلبه والدموع تنكب من عيونه ، فدعا إليها واستودعها اللهمتأثراً ، ثم قال للنسوة التي حولها :

« اغسلنها وتراً : ثلاثاً أو خمساً ، واجعلن في الآخرة كافوراً ... »[1] .

وتم تجهيز جثمانها الطاهرة كما أمر رسول الله ، فصلى عليها عليه الصلاة والسلام في مسجده ، ثم شيعها إلى مرقدها حيث أودعها ثرى طيبة ..

فرحم الله تعالى ورضي عن الطاهرة ابنة الطاهرة المؤمنة المتعبدة ابنة خير الناس وخير ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام ..

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح من حديث أم عطية الأنصارية . وكذلك في الإصابة (٩٢/٨) .

الطاهرة

رقية

رضي الله عنها

ذات الهجرتين

الطاهرة

رُقيّة

رضي الله عنها

... « ووقف ﷺ برهةً خاشعاً ، كأنه في صلاةٍ ، فقد اتصـلت روحه بروح الكون ، وانبعثت من صميم ذاته آيات الشكر لله عز وجل ، وفاضت رحمته .. وترقرقت الدموع في عينيه فرحاً .. فقد وضعت له الزوجة الحبيبة أم المؤمنين « خديجة » مولودها الثاني الذي جاء أنثى ، فَسُرَّ ﷺ كثيراً على سلامة زوجه من آلام المخاض ، وشكره تعالى وحمده أن جـاد عليـه بذرية طيبـة طاهرة .. من أصل مؤمن طاهر »!!..

.. وأخذها ﷺ بين ذراعيه ، ليضمها إلى حنان صدره برفق ورقة وليضع على وجنتيها قبلة ناعمة دافئة ..

وقد سمّاها « رقية » ..

رقية بنت سيد ولد آدم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

الطيبة الطاهرة بنت الطاهرة « خديجة »أم المؤمنين ..

الصادقة الوهابة .. الوفية التوابة .. المهاجرة الرحالة ..

صاحبة الهجرتين :

رقية بنت رسول الله ﷺ بن عبد الله

وابنة خديجة أم المؤمنين بنت خويلد ..

وتمر الأيام سريعاً .. وتكبر الطفلة الحبيبة « رقية » بين حنان الوالد الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. ورعاية أم المؤمنين الطاهرة رضي الله عنها ، وكذلك بصحبة أختها الملازمة لها دوماً « أم كلثوم » التي نشأت معها وهما مجتمعتين متعاطفتين دوماً ..

إلى أن أصبح الفتاتان في ربيع الصبا .. مؤهلتين للزواج ..

فوفد إلى البيت المحمدي كبار آل عبد المطلب ، يلتمسون مصاهرة ابن عمهم الأمين المصطفى عليه الصلاة والسلام ..

فتقدم شيخهم أبوطالب ، طالباً القرب من الرسول ﷺ ، قائلاً :

ـــ إنك يا ابن أخي قد زوجت زينب أبا العاص بن الربيع ، وإنه لنعم الصهر ، غير أن بني عمك يرون لهم عليك مثل ما لابن الربيع، وليسوا دونه شرفاً ونسباً ..

فقال ﷺ :

« قد صدقت يا عم ... » .

وكعادته عليه الصلاة والسلام في تزويج بناته ، طلب منهم أن يسأل ابنتاه في أمر زواجهما من ابني عمهما « عبد العُزّى »[1] (عتبة وعتيبة) ابني أبي لهب .

ولم تكن ابنتا رسول الله ﷺ ممن يخالفان أمر أبيهما أو يعرضانه للحرج أمام أهله وعشيرته .. فكان الصمت والسكون ردهما ..

وبعد أيام تم أمر زواجهما في هدوء صامت مصحوب بقلق ، فقد تزوجت رقية من عتبة بن أبي لهب ، وكذلك تزوجت أم كلثوم من أخيه عتيبة[2] .

وبارك الأب الحنون عليه الصلاة والسلام هذا الزواج وترك أمر رعايتهما لله تعالى عز وجل .

وكذلك السيدة خديجة ودعت ابنتيها بالدموع ، واتجهت إلى رعاية زوجها الأمين ، وتأمين الراحة والهدوء له في تعبده مع الله عز وجل ،وكذلك إلى رعاية طفلتها التي باتت وحيدة معها تؤنسها وتروح عن خاطرها فهي « فاطمة » الصغيرة المدللة المحببة إلى أبويها ..

وما كاد محمد ﷺ يتلقى رسالة ربه ، ويدعو إلى الدين الحق ، حتى اجتمعت قريش وائتمرت برسول الله ﷺ . وقال قائلها :

ـــ إنكم قد فرّغتم محمداً من همه ، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن ..

واتجهوا إلى أصهار محمد ﷺ الثلاثة ، فقالوا لهم :

---

(١) راجع جمهرة أنساب العرب ، ط الذخائر (١٨) ، فاسمه عبد العزى وقد غلبت عليه كنيته « أبو لهب » بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه لبنى بنت هاجر الخزاعية .

(٢) اجتمعت كتب السيرة على ذلك ولكن وقعت مخالفة لذلك في الاستيعاب ط نهضة مصر (١٨٢٩/٤) ، بأن « رقية » تزوجت من عتبة وكذلك أختها أم كلثوم أيضاً تزوجت منه ، وهذا خطأ دون شك .

ـــ فارق صاحبتك ونحن نزوجك أية امرأة من قريش شئت ..

فأما (أبو العاص) فأبى أن يرد زوجته زينب فقد آثرها على نساء قريش كافة ، وأما ابنا أبي لهب فاستجابا على الفور ، واختار عتبة زوجة له من آل سعيد ابن العاص ، بدلاً من « رقية » بنت سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[1] .

وعادت الفتاتان إلى ذويهما ولم يكن الدخول عليهما قد تم .

وقد كانت « أم جميل » ، حمالة الحطب ، هي من وراء هذا العمل في رد بناته عليه ﷺ ، ولم تكتف بهذا .. بل بدأت تسعى بصحبة زوجها « أبي لهب »في إيذاء الرسول عليه الصلاة والسلام بشتى الوسائل الممكنة في سبيل رده عن دين الإسلام ، حتى أنزل الله تعالى على النبي بحقها وحق زوجها سورة في القرآن الكريم تقرأ إلى قيام الساعة وهي :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾[2] .

---

(١) كذلك في (مسند أحمد) (٣/٤٩٢ ، ٤/٣٤١) ، وفي الإصابة (٨/٣٨) ، والسيرة الهشامية (٢/٣٠٧) .

(٢) سورة المسد ، الآيات (١ ـــ ٥) .

وقال ابن إسحاق[1] .

فذكر لي أن أم جميل حمَّالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسْجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر من حجارة ـــ قطعة تملأ الكف ـــ فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلم ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغني أنه يهجوني ، واللهلو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إني شاعرة ثم قالت :

مُذَمَّمًا عصينا

وأمرَه أبينا

ودينه قلينا

وانصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟ فقال : ما رأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني .

ويقول « الأحوص عبد الله بن محمد بن عبد الله الدوسي ، الشاعر الأنصاري » في أم جميل حمالة الحطب[2] :

ما ذاتُ حَبْلٍ يراه الناسُ كلهمُ وسْط الجحيم ولا يخفى على أحد
كلُّ الحبال، حبال الناس ، من شَعَر وحبلُها وسْطُ أهل النار من مَسَدِ

والبيت المحمدي الصادق المؤمن لم يزده هذا الامتحان من عشيرته والابتلاء في سبيل الله عز وجل إلا ثباتاً ورسوخاً ، فقد قال محمد ﷺ لزوجته خديجة رضي اللهعنها منذ الأيام الأولى للبعثة :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣٨٢/١) .

(٢) جمهرة الأنساب (٣١٣) ونسب قريش (٨٩) .

ـــ « لقد مضى عهد النوم يا خديجة » .

وعرفت السيدة الطاهرة « خديجة »ما تعنيه هذه العبارة ، فوطنت نفسها على الوقوف إلى جانب الزوج النبي الكريم . فما زالت تثبته ، وتهون عليه ما يلقى حتى يزول ما به من حزن[1] .

وكذلك أدركت ابنتاها الطاهرتان « رقية وأم كلثوم » ما يسعى إليه والدهما ﷺ . ومدى المعاناة التي تعانيها الأسرة المحمدية من صنوف الاضطهاد والأذى والعذاب من قومه وعشيرته ..

وخاب ظن حمالةِ الحطب وزوجها ، وكذلك ظن كافة المشركين من قريش ، فلم يعنت رسول الله من جراء رد ابنتيه إليه ، وكذلك لم يصعب عليه طلاقهما فقد نجاهما الله من محنة العيش مع ابني أبي لهب وامرأته حمالة الحطب .

وبعد مرور فترة قصيرة من الزمن يتقدم لخطبة ابنة رسول الله ﷺ « رقية »من هو خير وأفضل من ولدي عدو الله ودين الإسلام « أبي لهب » رجلاً صالحاً كريماً ، من أعرق فتيان قريش نسباً ، من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى دين الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة المشهود لهم رضي الله عنهم أجمعين، هو « عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس »[2] .

وكان « عثمان بن عفان » يلتقي مع رسول الله ﷺ قرابةً من جهة الأب عند « عبد مناف بن قصي » ، وكذلك يلتقي قرابةً من جهة الأم عند « عبد

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢٥٧/١) .

(٢) راجع صحيح مسلم (١٨٦٦/٤) ، والبخاري : ٦٢ باب ١/٥ــ٦ــ٧ــ٨ رقم ١١٩ ، ونسب قريش (١٠) .

المطلب بن هاشم » ، فجده عثمان لأمه ، هي البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب جد النبي عليه السلام(١) .

يقول فيه « عبد الله بن مسعود » رضي الله عنه :

ـ كان عثمان أوصَلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين(٢) .

فهو رضي الله عنه إضافة إلى نسبه العريق ، وصفاته الحسنة التي قيلت فيه ، كان بهي الطلعة .. فخم السمت .. موفور المال .. رضي الخلق ...

وعندما تقدم « عثمان بن عفان »رضي الله عنه إلى النبي ﷺ يطلب منه شرف المصاهرة بابنته « رقية » ، وافق عليه الصلاة والسلام وزوجه وبارك لهم في هذا الزواج الميمون، وقد قيل عنهم بأنه لم ير زوجان قط أجمل منهما ولا أبهى طلعة وقد أنشد النسوة في العرس أجمل الأشعار إذ قلن :

أحسن شخصين رأي إنسان رقية وبعلها عثمان (٣)

وكانت ردة فعل المشركين على هذا الزواج أن اشتدت في قهرها وتعذيبها في كل الأساليب الوسخة فيمن يعتنق دين الإسلام وكذلك برسولهم الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولكن جميع هذه الطرق التي اتبعتها قريش لم تغير شيئاً من صبر المسلمين المؤمنين بدين الحق والهدى ولا يردهم عنه شيء ، إلى أن « وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر فيها » حتى يفتنوهم عن دينهم ،

---

(١) راجع نسب قريش (١٨) ، والاستيعاب (١٠٣٨/٤) .
(٢) صحيح مسلم باب فضائله في كتاب فضائل الصحابة ، وذكر في الاستيعاب (١٠٣٩/٤) .
(٣) الروض الأنف (٧٩/٢) .

فيؤثر أحدهم أن يموت على أن يرتد إلى دين الكثرة الغالبة[1]

وعندما رأى ﷺ أصحابه وهم في هذا البلاء من أعداء الله ، قال لهم :

« لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لايُظْلَم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » !!.

فكان « عثمان بن عفان »رضي الله عنه أول من هاجر إلى الحبشة وبصحبته زوجته العروس « رقية »التي لم يكن قد مضى على زواجها سوى فترة قصيرة[2] .

وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة بصحبة بعضٍ من نفر قريش الذين أنار الله قلوبهم بدين الإسلام[3] .. وبعد فترة أخذ الرسول ﷺ يتفقد أنباء ابنته رقية وزوجها عثمان بن عفان في أرض الهجرة الأولى ، حتى أتته امرأة تخبره أنها قد رأت رقية وزوجها عثمان في أرض الحبشة . فقال لها رسول الله ﷺ :

« منحهما الله ، أن عثمان أول من هاجر بأهله »[4] .

وفي أرض الحبشـة رزقت « رقيـة » من زوجها ولداً أسمياه « عبدالله بن عثمان »[5] فكان هدية من الله عز وجل أن منَّ عليهما ورزقهما بالذرية الصالحة .. فكان في صحبتهما أثناء عودتهما إلى أرض الوطن في مكة المكرمة ...

---

(١) تاريخ الطبري (٢/٢٣٠) ، والسيرة الهشامية (١/٢٣٩) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٤٤) ، وتاريخ الطبري (٢/٢٣١) .

(٣) ذكرت كتب السيرة فيمن هاجر إلى أرض الحبشـة بصحبة « رقية وزوجها » ببعض الخلاف في عددهم . راجع السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٤٥) ، وتاريخ الطبري (٢/٢٣١) ، عيون الأثر (١/١١٥) .

(٤) الإصابة (٨/٨٣) .

(٥) هناك اختلاف في مولد (عبد الله بن عثمان) بين هجرة الحبشة أو هجرة المدينة . راجع الإصابة (١٢/٢٥٨) .

وتعود المهاجرة الصابرة الراضية « رقية » وزوجها ومن كان بصحبتهم أثناء الهجرة إلى حيث رسول الله ﷺ ، وذلك بعد أن وصلتهم أنباء ملاحقة آل قريش وزعمائهم وتخفيف وطأة التعذيب فيمن أعتنق دين الإسلام ..

ـــ تقول الدكتور عائشة عبد الرحمن وهي تصف عودة « رقية »إلى بيت أبيها[1] :

« وآبت رقية إلى بيت أبيها مشوقة مجهدة ، فخفت أختاها أم كلثوم وفاطمة للقائها، وتشبثتا بها معانقتين، وهما تغالبان الدمع وتتكلفان التجلد وأفلتت من عناقهما وسألت مستريبة :

ـــ أين أبي ، وأين أمي ؟

أجابتا :

ـــ أبوك بخير ، وقد خرج للقاء العائدين معك من مهاجري الحبشة ..

ثم اختلجت شفاههما في تأوه مكتوم ..

وعادت رقية تسأل وقد أوجس قلبها خيفة :

ـــ وأمي ، أين هي .!..

فأطرقت « أم كلثوم » صامتة لاتجيب ، أما « فاطمة »فغادرت الغرفة وهي تنشج باكية ..

هنالك كفت « رقية » عن أسئلتها ، وسارت مترنحة نحو مخدع أمها الراحلة حيث تهالكت على فراشها جامدة العين زائغة البصر ، مثلجة الأطراف .

---

(١) بنات النبي ، د. عائشة عبد الرحمن (١٣٩) .

إلى أن جاء أبوها ﷺ ، فأذاب ذلك الجمود القاتل بحرارة لقائه ، وأزاح بحنوه ذلك الركام الصخري الذي جثم على قلب ابنته ..

وأسعفها الدمع ما شاء لها حزنها وأساها ، ثم أوت إلى الصدر الرحب الكريم ، وثابت إلى السكينة والصبر .. » .

ودخل عليها زوجها عثمان بن عفان يكفكف دموعها بينما العبرات تبلل روحه وتسيل في قلبه على سيدة نساء قريش ، وعلى قلب زوجه رقية التي كانت تضطرب من الأسى كغرسة في مهب الريح ..

ويأذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة لأهله وأصحابه ، فكان من أول المهاجرين عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت خير الأكرمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وهما يمنيان النفس بحياة سعيدة مستقرة يعملان فيها لآخرتهم ودنياهم .

وكانت أول أيامهم في المدينة المنورة محفوفة بالسعادة والاستقرار بصحبة طفلهما عبد الله بن عثمان ، فهي سعادة لامثيل لها أن يكون لهما ذرية من نسل خير البشر عليه صلوات الله .

ويغمر دارهما الحب والاستبشار حين كان يدخل عليهما رسول الله ﷺ وهو يحضن حفيده بفيض من حنانه ورقته ، ويتوج الشفاه بالبسمات ، فسروره عليه السلام كان يسر جميع المهاجرين والأنصار .

ولكن هذه البهجة سرعان ما غاضت عندما نقر ديك الطفل الحبيب المدلل عبد الله بن عثمان فمات على أثر ذلك وهو في السادسة من العمر[1] .

وذاقت رقية حزن الفراق للمرة الثانية بعد موت أمها ، وراحت تسقي

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٥١) .

الثرى بدموعها وهي تذوق مرارة الثكل ، وتؤثر على نفسها أمام زوجها عثمان بن عفان .

ولما كانت رقية بنت رسول الله ﷺ مرهفة الحس وليس لها طاقة على تحمل الحزن فقد سقطت صريعة الحمى ..

وينادي رسول الله ﷺ للجهاد في سبيل الله إلى غزوة بدر ، فكان أول من لبى النداء عثمان بن عفان ، ولكن رسول الله ﷺ استخلفه في المدينة المنورة بجوار زوجته رقية للعناية بها أثناء مرضها .

وبقي عثمان بن عفان إلى جوار زوجه رقية بنت محمد ﷺ التي اشتد بها المرض وطاف بها شبح الموت ، وهو يرنو إلى وجهها الذابل الذي علاه الإصفرار ، ففرت سكينته وقد لفه حزن شديد امتزج بخوف الفراق القاتل ، فالأنفاس المضطربة التي كانت تلتقطها رقية في جهد كانت على الرغم من خفوتها تعلن بأعلى صوتها فناء صاحبتها ، وأنها تسري في نفس الطريق التي سرت فيه أمها أم المؤمنين من قبل ، سبيل الخلود في ملكوت الله ..

وراح الزوج الوفي عثمان بن عفان صاحب الفجيعتين : فجيعته في رقية الزوجة المؤمنة الوفية وفجيعته في نسبه من رسول الله ﷺ يبعد عنها عينيه المحمرتين من أثر البكاء وهي تنازع سكرات الموت في لقاء وجه الباري عز وجل .

وما أن بدأت أصوات المسلمين العائدين من غزوة بدر تلوح في الأفق مهللة الله أكبر ، معلنة الانتصار في غزوتها بصحبة رسول الله ﷺ حتى كانت

روح رقية الطاهرة المؤمنة الشريفة ابنة سيد الكونين عليه الصلاة والسلام **ترفرف** على شفتيها مودعة دنيا فانية ، صاعدة إلى الدار الآخرة .

فرحم الله ورضي تعالى عن رقية الطاهرة المرضية صاحبة الهجرتين ابنة رسول الله ﷺ ، وأعلى مقامها في مستقر رحمته .



الطاهرة

أم كلثوم

رضي الله عنها

الصابرة المحاصرة

الطاهرة

أم كلثوم

رضي الله عنها

الصابرة المحاصرة

«... وأجهشت أم كلثوم بالبكاء ... جاهدت ضعفها لتذرف آخر دمعة من مقلتيها .. لا جزعاً من الموت ، فقد كانت على يقين من أنها تموت على دين الحق والإسلام ، بل إشفاقاً على أبيها ﷺ حليف الأحزان ، الذي كان يقبر فلذات كبده .. فلذة بعد فلذة ... »

الصابرة .. المحاصرة .. التوابة .. الطاهرة بنت الطاهرة أم كلثوم .. بنت رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله وابنة الطاهرة خديجة بنت خويلد سيدة نساء قريش ..

وترقرت عينا رسول الله ﷺ سروراً لسلامة زوجته الطاهرة خديجة رضي الله عنها ، فقد وضعت له الأنثى الثالثة من صلب طاهر مشع بالنور والإيمان ، في جو يسوده الاضطراب والنزاع الدائم بين المشركين وأتباع الدعوة الإسلامية ..

وتكبر الطفلة أم كلثوم بصحبة أختها رقية التي كانت ملازمة إليها تماماً وكأنهما توأم واحد ، إلى أن أصبحتا في ريعان الصبا ، مؤهلتين للزواج ..

ويتقدم لخطبتها عتيبة بن أبي لهب ويحظى بالموافقة الشريفة بزواجه من ابنة رسول الله ﷺ .

وخفق فؤادها فرحاً وسروراً ، وداعب خيالها أمنية أن يأتي أبو لهب إلى أبيها ﷺ لينطق شهادة الحق ، فأختها رقية تحت عتبة بن أبي لهب ، وهي ترقب زفافها إلى أخيه عتيبة ، ولكن العداوة اشتدت بين ﷺ وبين عمه أبي لهب ، فقد أججتها أم جميل حمالة الحطب وقالت لولديها :

ـ رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد .

وتعود الفتاتان أم كلثوم وأختها رقية إلى دار أبيهما رسول الله ﷺ قبل أن يدخل عليهما أزواجهما عتبة وعتيبة[1] .؟

ولم يكتف عتيبة بن أبي لهب بأن طلقها ، بل ذهب إلى أبيها وأهانه على الملأ ، فدعا عليه النبي ﷺ أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه ، فافترسه الأسد من بين أصحابه وهم نيام حوله[2] ..

وهكذا نجت أم كلثوم بهذا الفراق من نكد العيش مع حمالة الحطب ، كما نجت أختها رقية التي ما لبثت أن تزوجت من عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وهاجرت معه إلى الحبشة .

وبقيت أم كلثوم مع أختها الصغرى فاطمة في بيت أبيها ﷺ بمكة

---

(١) راجع بحث السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ ، ص (٢٤١) فقد ذكرنا بالتفصيل زواجهما وكذلك زواج أختها أم كلثوم من عتبة وعتيبة أبنا أبي لهب وكيف تم طلاقهما .

(٢) الروض الآنف (٣/٦٨) .

تشاركان أمهما خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها عبء الحياة ، وتخففان عن أبيهما ما يلقاه من أذى قريش .

وبلغ الجهل ذروته بقريش في تعذيب الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين ، اشتد ذلك بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب وكذلك بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وعندما ضاقت بهم الحيل ، عرضوا على بني عبد مناف والذين منهم الرسول ﷺ دية مضاعفة ويسلمونهم النبي عليه السلام فأبوا عليهم ذلك ، ثم عرضوا على أبي طالب أن يعطوه سيداً من شبابهم يتبناه ويسلم إليهم ابن أخيه محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فقال :

ـ عجباً لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟.

فلما رأوا ذلك أجمعوا أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب ولدَيْ عبد مناف وإخراجهم من مكة والتضييق عليهم ، فلا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمداً ﷺ للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة ، فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب أبي طالب ، ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ما عدا أبا لهب ، فإنه كان مع قريش .

وقد عانى المسلمون ومن معهم من بنو هاشم في هذه المقاطعة أقصى أنواع الحرمان والضغوط الاقتصادية والاجتماعية ، حتى أنهم كانوا يأكلون الخمط وورق الشجر ، وقد أقاموا على ذلك نحو ثلاث سنين لايصل إليهم شيء من الزاد إلا سرا ..

يقول سعد بن أبي وقاص في ذلك[1] :

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٥٠) .

« لقد جُعت حتى أني وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلعته ، وما أدري ما هو إلى الآن » .

وقد حدثوا أن هشام بن عمرو بن ربيعة العامري : كان يأتي ليلاً بالبعير قد أوقره طعاماً ، حتى إذا بلغ به فم الشعب ، خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه ، فيدخل البعير على بني هاشم وبني عبد المطلب بما يحمل(١) ..

وحملت أم كلثوم رضي الله عنها من خلال الحصار أكبر المسؤوليات ، فأمها الطاهرة رضي اللهعنها أنهكها الحصار فرقدت في فراشها تعاني المرض الشديد ، وأختها الصغيرة فاطمة الزهراء بحاجة إلى رعاية وعناية ، ولم يبق سواها لتقوم على تمريض الأم ، وتعنى بشؤون أختها الصغيرة ، وكذلك تخفف عن أبيها عليه السلام آلامه وأحزانه ...

وخرج المسلمون من الحصار وقد زادتهم المحنة إيماناً ، وشدَّت التجربة القاسية من عزيمتهم .

وفي بيت النبوة بمكة كانت أم المؤمنين الطاهرة خديجة تجود بأنفاسها الأخيرة ، وبناتها الثلاث (زينب وأم كلثوم وفاطمة) يحطن بها ، والزوج الحبيب صلوات الله عليه إلى جانبها يهون عليها سكرات الموت ، ويبشرها بما أعد الله لها من نعيم ..

وأخفت أم كلثوم وجهها براحتيها ، إنها لا تحتمل رؤية أمها الطاهرة وهي تجود بأنفاسها الأخيرة ، وشهقت شهقة وهي في غمرة الأسى ، فالتفتت إليها العيون الدامعة ، كأنما تنهاها عن ذلك النحيب الذي يؤذي الطاهرة ، فانسلت من الغرفة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٥٢) .

لا يرقأ لها دمع ، فإذا بأبيها النبي ﷺ عند باب الغرفة واقف يسح الدموع ، فاستشعرت أم كلثوم كأنها ستلفظ روحها مع عبراتها ..

وأصبحت الدار من بعد موت الطاهرة أم المؤمنين موحشة خلاء ، وإن كانت أم كلثوم وفاطمة وأم أيمن يذهبن ويجئن في أرجائها ، قد أصبحت داراً بلا روح، وسراجاً بلا زيت، وقلباً بلا حب، وقد زاد في وطأة الأحزان أن رسول الله ﷺ كان يدخل الدار شارداً يتلفت في أرجائها لكأنما يبحث عن وزيره الذي مضى ..

وبعد انقضاء زمن يسير على وفاة الطاهرة أم المؤمنين .. يصاب الرسول ﷺ بفاجعة مماثلة لوفاة زوجته خديجة ، بوفاة عمه أبي طالب الذي كان له عضداً على دعوته .. وحرزاً له في أمره ، ومنعةً وناصراً له على قومه ..

فلما مات أبو طالب[١] .. نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب.. حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه التراب .. فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه أم كلثوم فجعلت تغسل عنه التراب ، وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها :

« لاتبكي يا بنية !! إن الله مانع أباكِ »..

قال ابن إسحاق[٢] :

ـــ ثم إن خديجة بنت خويلد ، وأبا طالب هلكا في عامٍ واحدٍ ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدقٍ على

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤١٦/١) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤١٦/١) .

الإسلام ، يشكو إليها ، وبهلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحرزاً في أمره ، ومنعةً وناصراً على قومه ، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين ..

وكان الصبر حليف رسول الله ﷺ بصحبة بناته ومن آمن باللهورسوله عليه السلام على تلك الشدائد .. حتى آذن الله تعالى لأصحابه بالهجرة إلى يثرب ، ثم أذن للرسول صلوات الله عليه بالهجرة بعد ذلك ..

وخرج رسول الله ﷺ من بيته في مكة المكرمة مهاجراً وقد استخلف أم كلثوم وفاطمة عند زوجته الثانية (سودة بنت زمعة) التي تزوجها بعد الطاهرة خديجة ، وبعد أن وصل ﷺ إلى المدينة واستقر فيها أرسل بعض أصحابه إلى مكة لاصطحاب أهل بيته مع أهل أبي بكر الذين استبقاهم هناك[1] ..

وعند وصول بنات النبي ﷺ تصحبهما زوجة النبي ﷺ (سودة بنت زمعة) ، ومعهن بنات أبي بكر الصديق رضي الله عنه (أسماء وعائشة) ، استقبلهن نساء الأنصار بالحفاوة والترحاب ، واستقبل الرسول ﷺ زوجته وبناته بكل شوق وترحاب ، ويأتي بهن إلى داره الذي أعده لأهله بعد بناء المسجد النبوي الشريف ..

وبعد مرور عامين حافلين بالأحداث الجسام بعد الهجرة وانتصار المسلمين بغزوة بدر ، كانت الفاجعة الكبيرة بموت أختها رقية التي شغلتها عن فرحتها بانتصار الحق على الباطل يوم الفرقان ..

وتترادف الصور المفجعة في خيال أم كلثوم فتخرج من بين شفتيها آهة خافتة كأنما كانت ذوب نفسها ، واسبلت جفنيها على عينيها من ضعف فرأت صورة أمها أم المؤمنين وهي تسلم روحها للباري عز وجل أثناء الحصار وكذلك

---

(١) الإصابة لابن حجر (٢٧٦/١٣) .

أختها رقية وقد رفت روحها على شفتيها وهتافات النصر يوم بدر تدوي في الخارج ، وقد انزوت في ركن تسح الدموع الحزينة على فراق أختها رقية ، بينما أكبت الزهراء على مضجع أختها تبكي رحيلها ، وأبوها الثاكل يدخل الغرفة وفي وجهه آيات الحزن ، ويذهب إلى الزهراء ليرفعها من فوق أختها يمسح دموعها بطرف ثوبه ...

وتمضي الأيام سريعةً بهمومها وأحزانها ، حتى تدخل أم كلثوم مرحلة جديدة من مراحل أبواب السعادة والبهجة والزفاف ... وكان ذلك عندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ يشكو إليه صاحبيه أبا بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما اللذين عرض عليهما الزواج من ابنته (حفصة) التي توفى عنها زوجها (خنيس بن خذافة) ، وهو الذي شهد يوم بدر ومات في المدينة ، وبعد الانتهاء من عدتها ، حيث رفض أبو بكر الصديق الزواج منها وكذلك عثمان بن عفان .. وقد كانت خيبة أمل للفاروق عمر من صاحبيه أن يرفضا الزواج من ابنته .. ولكنه لم يعلم ما ادخره الله تعالى له ولابنته (حفصة) من الشرف العظيم ، والمكانة الرفيعة عند رسوله عليه صلوات الله وسلامه ..

فقال له رسول الله ﷺ :

ـ ***«يتزوج حفصة من هو خيرٌ من عثمان ! .. ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة »***[(١)] ..

وقد زوج النبي ﷺ ابنته أم كلثوم لعثمان بن عفان .

وقد روت (أم عياش) مولاة رقية أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) الاصابة لابن حجر (١٢/١٩٨) ، وكذلك أخرجه البخاري في باب النكاح (٦/١٣٠) .

ـ « **ما زوجت عثمان إلا بوحي من السماء** »[1] .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

ـ « **أتاني جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم ، على مثل صداق رقية ، وعلى مثل صحبتها** »[2] .

وتحلُّ أم كلثوم زوجة كريمة معززة عند عثمان بن عفان بعد أختها رقية .. ويحظى عثمان رضي الله عنه بلقب (ذا النورين) .. حيث كان زوجاً لابنتي رسول الله ﷺ على التوالي . وكان ذلك في ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة [3] ..

وقد عاشت أم كلثوم عند عثمان بن عفان ست سنوات .. ولم تلد له .

وكانت ساعة الرحيل !!..

عندما أذن بلال معلناً الصلاة .. كان يسكب صوته في آذان المسلمين ، كأنه السحر ، ففتحت أبواب الدور وخرج المسلمون في عماية الصبح إلى مسجد الرسول .. وألقى عثمان بن عفان نظرة إشفاق على زوجه أم كلثوم الممدة على فراش الوداع ثم هبط ليصلي الفجر خلف رسول الله ﷺ .

كانت أم كلثوم شاحبة اللون قد نال منها الوهن والمرض ، فتمددت في فراشها تصيخ السمع ، فصوت بلال يداعب أذنيها ويوقظ روحها ، فتحاول أن تنهض .. لكن الجسد ضعيف لايقوى على النهوض ، وبلغ مسامعها تكبير

---

(١) الاصابة لابن حجر (٢٧٦/١٣) .

(٢) نفسه .

(٣) الاصابة لابن حجر (٢٧٦/١٣) ، وكذلك ترجمة عثمان بن عفان في الاستيعاب (١٠٧٩/٣) وسبب تسميته بذلك .

المصـــلين فاغرورقت عينـاها بالدموع ، وغابت مع غفوة وهي تحتضر بأنفاسها الأخيرة ...

ودخلت عليهـا أم عياش خادم النبي ﷺ ، فألقتها في النزع الأخير ، فأرسلت إلى الرجال في المسجد .. فأسرع زوجها عثمان إلى داره فإذا بأم كلثوم تعالج سكرات الموت ، فراح ذو النورين يناديها في وجد وهو مشفق عليها وعلى نفسه .. كان يفزعه أن ينقطع بموتها نسبه برسول الله ﷺ .

وجاء الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق وعمر وعلي رضي الله عنهم ومعهم بعض الصحابة . ودخل عليه السلام على ابنته وهي تلتقط آخر أنفاسها فدمعت عيناه ولم يتحرك لسانه بما يغضب الله عز وجل ، فقد كان للبشرية أسوة حسنة .

ودخل عليها (أسماء بنت عميس) زوجة أبي بكر الصديق وكذلك صفية بنت عبد المطلب وأخذن يجهشن بالبكاء والدموع تسيل على وجناتهن .

وحملتها (أم عطية) كي تغسلها ، فقال لها رسول الله ﷺ :

ـــ « ***اغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك*** » .

وأعطاهن رسول الله ﷺ إزاره لتكفن فيه . وحمل مع الصحابة جثمانها إلى المسجد ، فأجهشت نســاء الرسول بالبكاء ، وبكت فاطمة الزهراء على أختها الغالية .

وفي المسجد صـلى عليهـا رسـول الله ﷺ ومن خلفـه أصحابه يغالبون دموعهم . وحمل جثمانها إلى البقيع ودفنت في قبرها ..

ونزل في حفرة الراحلة أم كلثوم علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد . وأراد أناس أن ينزلوا معهم ، فقال ﷺ :

ـــ « *لايزل في قبرها أحد قارف أهله الليلة ، أفيكم أحد لم يقارف أهله الليلة* » .

فقال أبو طلحة :

ـــ أنا يا رسول الله .

فقال له ﷺ : « *انزل* » .

وقبرت أم كلثوم وزوجها عثمان بن عفان غارق في حزنه تجري دموعه على خديه ، وعاد الناس من البقيع وقد غشيهم حزن عميق ، فرأى رسول الله ﷺ عثمان وهو يسير مطرقاً ، فدنا منه ﷺ وقال له :

ـــ « *لو كانت عندنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان* » ..



الطاهرة

فاطمة الزهراء

رضي الله عنها

سيدة نساء أهل الجنة

الطاهرة

فاطمة الزهراء

رضي الله عنها

سيدة نساء أهل الجنة

« ... فاطمة الزهراء .. من الناسكات الأصفياء ، وصفيات الأتقياء ، السيدة البتول ، البضعة الشبيهة بالرسول ، ألوط أولاده بقلبه لصوقاً ، وأولهم بعد وفاته به لحوقاً ..
كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة .. وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة ... » .

قال رسول الله ﷺ لفاطمة :
« يا بنية .. أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين » . قالت : يا أبتِ .. فأين مريم بنت عمران ؟ قال : ***« تلك سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمكِ ، أما والله زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة »*** .

عندما مرضت فاطمة الزهراء التف حولها أبناؤها الحسن والحسين وأم كلثوم وهم يرنون إليها في إشفاق وجزع ، كانت تذوي وبريق عينيها الجميلتين ينطفئ رويداً رويداً ، والموت يزحف إليها لتلحق برسول الله ﷺ أبيها ، وكذلك أخواتها زينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن ..

فاطمة الزهراء .. سيدة نساء العالمين ، رابعة بنات النبي ﷺ محمد ابن عبد الله.. وأمها : أم المؤمنين خديجة الكبرى بنت خويلد رضي الله عنها .

ولدت السيدة فاطمة الزهراء سنة خمس وثلاثين من مولد الرسول ﷺ[1] ، وقد شاء الله أن يقترن مولدها قبل سنوات من المبعث الشريف للنبي عليه الصلاة والسلام .. فاستبشر أبوها صلوات الله عليه بمولدها خيراً ، وتوسم فيها البركة واليمن ، فسمّاها فاطمة ، ولقبها بالزهراء . وكناها بأم أبيها[2] ، إذ كانت رضي الله عنها شديدة الشبه بأبيها ﷺ .

وترعرعت فاطمة في بيت نبوي رحيم ، يكلؤها بالرعاية والسهر على تربيتها لتأخذ قسطاً وافراً من الأدب والحنان والتوجيه النبوي الرشيد ، وممّا تتمتع به أمها السيدة خديجة رضي الله عنها من صفات زكية وسجايا حميدة ..

وبذلك نشأت على العفة الكاملة ، وعزة النفس ، وحب الخير ، وحسن

---

(١) الإصابة لابن حجر (٧١/١٣) ، وسير أعلام النبلاء (١١٨/٢) . وذكر أبو جعفر في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٦٩/٢) ذلك ، وخالفه فيه جعفر بن سليمان إذ قال : « ولدت فاطمة سنة إحدى وأربعين من مولد الرسول ﷺ ، وماتت وهي ابنة إحدى وعشرين سنة » والله أعلم .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٩/٢) .

الخلق ، متخذة أباها رسول الله ﷺ المثل الأعلى لها ، والقدوة الحسنة في جميع تصرفاتها .. وكذلك كان لها المكانة الخاصة عند أبيها عليه الصلاة والسلام ولها الحب الخاص والحنان الدائم والعطف المستمر ..

فقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها أنه قيل لها :

ـــ أيُّ الناس كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ ؟.

قالت :

ـــ فاطمةُ ، من قبل النساء ، ومن الرجال زوجُها[1] .

وقد كانت تملأ البيت مرحاً وحياةً ، كان ذهنها صاحياً وعيناها مفتوحتين ، تحاول أن تقلد ما تراه ، وتقتبس أخلاقها من أخلاق أهل بيتها ، فقد كرمها الله تعالى أن خلقها في كنف أسرة كريمة هي نبراس لمكارم الأخلاق ، ومن رعاية الله وفضله عليها أن وفقها لتتخذ من أبيها عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة ، ولتنهل من نبع عذب رقراق يفيض بالخيرات ويفيء بما أفاء الله من كرمه وجوده وحكمته ..

فكانت الزهراء أقرب بنات النبي ﷺ شبهاً لأبيها ، فقد كانت تشابهه في مشيتها وفي لفتتها وكذلك في نبرات صوتها وعلاقتها بمن حولها وتصرفاته في جميع الأشياء .. لهذا كانت أقرب أهل البيت إلى قلبه ، فقد كانت أساريره تتهلل فرحاً كلما رآها .. فيدعوها إليه ليحملها ويضمها إلى حنان صدره ورقة قلبه ، وليضع على وجنتيها قبلة حب وعطف .

وما كادت الزهراء تبلغ الخامسة من عمرها ، حتى بدأ التحول الكبير في

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٢٥) .

حياة أبيها عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وذلك بنزول الوحي عليه ، وتكليفه بالدعوة الإسلامية ودين الحق ، فانتزعت من شواغلها الطفولية وأيقظتها من أحلامها ، وألقي بها في دوامة الأحداث العاتية الكبيرة التي أعقبت المبعث ..

هذا وقد خلا البيت بها من أخواتها زينب وأم كلثوم ورقية بعد زواجهن .. فوجدت نفسها وحيدة في تقلب الأحداث .. تساند أباها ﷺ في دعوته ضد الوثنية العارمة الشديدة ، وقد كان يصاحبها في وحدتها ومشاركتها ابن عمها علي ابن أبي طالب ربيب رسول الله ﷺ وابن عمه .. والذي كان يكبرها بأربع سنوات .

فقد كان علي بن أبي طالب يعيش تحت كنف رسول الله ﷺ وتحت رعايته ، وذلك منذ أن أصابت قريشاً أزمة شديدة ، وكان أبو طالب كثير العيال ، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم :

— **« إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فنكفلهما عنه »** .

فقال عمه العباس :

— نعم .

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له :

— **« إنا نريد أن نخفف عنكَ من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه »** .

فقال لهما أبو طالب :

— « إذا تركتما لي عقيلاً — أحد أولاده — فاصنعا ما شئتما » .

(وكان عقيل ضعيف الجسم ، سقيم البدن) .

فأخذ محمد ﷺ علياً وهو أصغر أبناء أبي طالب ، فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه ، وهو أكبر من علي بعشر سنين .

فلم يزل عليٌّ مع الرسول الكريم ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى رسولاً نبياً ، فاتبعه رضي الله عنه ، وآمن به وصدقه . ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

وقد كان علي بن أبي طالب أحد الثلاثة الذين سبقوا إلى دين الإسلام ولكم كان يوَّد لو أن أباه « أبو طالب » شيخ الهاشميين يعلن إسلامه وينطق الشهادة فقد قال له رسول الله ﷺ :

ـ « ***وأنت أي عمّ ، أحق من بذلتُ له النصيحة ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه*** » ..

ونشأ علي وفاطمة في حجر النبي ﷺ ، ولم يفارقاه أبداً حتى اختار الله تعالى رسوله عليه السلام إلى جواره .

ففي هذا كان يقول علي بن أبي طالب لقومه[١] :

ـ تعلمون موضعي من رسول الله ﷺ ، بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ، ويكنفني فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرقه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلاً في فعل ، وكنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بهذا الاقتداء .

(١) علي إمام المتقين للشرقاوي (١/١٥) .

كانت فاطمة الزهراء بالرغم من صغر سنها تعيش مع أبيها ﷺ أحداث النبوة ، فقد هجرت ملاعب الصبا ، وانتبذت من صواحبها مكاناً قريباً من أبيها في قلب قريش ...

وكانت تخرج من بيت النبوة تتبع أباها عليه الصلاة والسلام وهو يسعى مبشراً بالدعوة الإسلامية ، داعياً للدخول في دين الحق والإسلام ، وهو يلقى أثناء ذلك ما يلقاه من السخرية والعذاب من الطغاة وأعداء الإسلام ، وكانت تشاهد كل ذلك بأم عينيها وتحترق في قلبها الطفولي الغض ..

يوماً .. كانت هناك وراءه ، تراقبه عن بعدٍ .. يوم ذهب إلى البيت الحرام ليصلي ، وبينما هو ساجد ، وحوله ناس من مشركي قريش يسخرون من صلاته وتعبده هذا ، أتى « عقبة بن أبي معيط » بسلي جزور[1] ، وقذفه على ظهر الرسول ﷺ ، فلم يرفع رأسه حتى تقدمت ابنته فاطمة ، فأخذت السلي ودعت على من فعل هذا ، وعندما رفع رأسه ﷺ قال[2] :

ـ « ***اللهم عليك الملأ من قريش !.. اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبيّ بن خلف*** » .

فخشع المشركون لدعائه ، وغضوا بأبصارهم حتى انتهى من صلاته وانصرف إلى بيته ، تصحبه ابنته فاطمة ..

وقد استجاب الله تعالى لرسوله الكريم في دعائه .. فجميع الذين دعا عليهم كانوا صرعى يوم بدر ..

---

(١) « سلي جزور » : هو ما يخرج من باطن الشاة والمواشي من أمعاء وحواشي وغيرها .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/٣١٠) .

وعندما نزلت الآية الكريمة على رسول الله ﷺ :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

جعل رسول الله ﷺ ينادي في قريش :

— **« يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ... لا أغني عنكم من الله شيئاً .. يا بني عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئاً .. يا عباس ابن عبد المطلب ، لاأغني عنك من اللهشيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنكِ من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئتِ من مالي ، لا أغني عنكِ من الله شيئاً »**[1] .

وقد كانت أثناء ذلك الزهراء بصحبة أبيها فعندما سمعت هذا شعرت بالفخر والاعتزاز إذ خصها رسول الله عن سواها بالسؤال وكرمها عن باقي أهل بيته .. وذلك تأكيداً منه بأنه لا يغني من الله شيءٌ عن أعز الناس عندهم وأحبهم إليه ..

هذا وقد شاهدت الكثير من مكايد الكفار لأبيها العظيم عليه صلوات الله وسلامه ، فكم تمنت لو استطاعت أن تفديه بحياتها وتمنعه من أذى المشركين . ولكن أنى لها ذلك وهي في عمرها الصغير ..

وقد كان من أشد ما قاسته من آلام في بداية الدعوة ذلك الحصار الشديد الذي حوصر فيه المسلمون مع بني هاشم في شعب أبي طالب ، حتى أثر الحصار والجوع في صحتها فبقيت طوال حياتها تعاني من ضعف البنية وسقم الجسد ..

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الشعراء ، باب (وأنذر عشيرتك الأقربين ٦/١٦) ، ومسلم في الايمان ، باب قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين برقم /٢٠٦) .

ما كادت الزهراء الصغيرة تخرج من محنة الحصار المهلك .. حتى فوجئت بوفاة أمها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنــها ، فامتلأت نفسها حزناً وألماً وأسى ..

يومها !.. راحت تنادي الأم الحبيبة الطاهرة في لهفةٍ ، وهي تذرف الدموع الحيرى عليها ، كانت .. مسجاة على الفراش تعانق سكرات الموت ، والزهراء لا تعلم ما هو الموت ، لكنها راحت تتلوى من الألم وعبراتها تغسل وجهها ..

وشاهدت علي بن أبي طالب يدخل على أمها الطاهرة .. وقد تمزق قلبه حزناً على موت أبيه .. فما إن مد الفتى عينيه إلى أم المؤمنين حتى أحس بقلبه وقد تسارعت ضرباته ، وراح يتساءل في صمت : أينضب ينبوع الحنان الذي نهل عنه أنبل المشاعر مذ جاء إلى هذه الدار مع ابن عمه ﷺ ؟.. أتغيب الطاهرة أم المؤمنين عن هذا الوجود ؟.. فما إن دار بخلده ذلك الخاطر حتى فزع ، وغص ، فما كان بقادر على أن يتصور بأن بيت النبوة يمكن أن يخلو من سيدته الطاهرة .

وأخذ يبكي في صمت المروءة والشجاعة والإلفة والحنان وصدق النية وصلاح السريرة .. وراحت الزهراء تمسح ببراءة الطفولة عبراته التي سالت من وجهه كالمطر المنهمر ..

لقد فقدت فاطمة الزهراء الأم الطاهرة ، وهي أحوج ما تكون لها في سنها هذا .. فهي لا تزال في براءة الطفولة .. وقد عاشت الدنيا من خلالها ، فلم تعد ترى أجمل ولا أحلى أو أبهى من أمها التي ترعرعت على صدرها الحنون ..

ومع حزنها الشديد على أمها الطاهرة .. كانت تشاهد أباها ﷺ وقد لفه حزن شديد على فراق زوجته الطاهرة ، وكذلك وفاة عمه أبي طالب .. الذي كان عضده في دعوته الإسلامية ، وحرزه في أمره ، ومانعه من أذى الأشرار من قومه (الكفار) وناصره عليهم .

وتمر الأيام مسرعة لتشهد الزهراء ما لاقاه الرسول ﷺ من أهل الطائف بردودٍ شنيعةٍ على دعوته .. ومعاملةٍ فظةٍ لا تحتمل ..

وكذلك تعيش أحداث عودة أبيها من رحلة الإسراء والمعراج ، وكيف وقف المشركون ما بين مصدِّقٍ ومكذب، وهامزٍ ولامز بأبيها ﷺ وهو يروي لهم ما شاهده ليلة إسرائه إلى بيت المقدس ، فكانت الزهراء في كل ذلك تقف إلى جانب الرسول الكريم ﷺ موقف المؤمنة الصابرة الداعية إلى الله التي لم يصبها خورٌ ولا ضعف ولا ملل ...

ويأذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة من مكة إلى المدينة .. ويهاجر الرسول عليه السلام بعد أن يستمهل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكة الذي قدم نفسه فداءً للرسول الكريم ﷺ عندما نام في فراشه تلك الليلة ليوهم شباب قريش الذين أجمعوا ليلتها على قتله وهدر دمه بين العشائر كلها ، لكنها كانت مفاجئة كبيرة لهم عندما اكتشفوا بأن علي بن أبي طالب هو الذي ينام على الفراش والرسول ﷺ قد غادر مكة هو وصحبه ..

وقد تمهل علي بن أبي طالب في مكة عن الرسول ﷺ ثلاثة أيام ، ريثما أدى الودائع التي كانت عند النبي عليه الصلاة والسلام للناس(١) .

وبقيت فاطمة الزهراء وأختها أم كلثوم وبعض النساء في مكة فترة من الزمن إلى أن أرسل الرسول ﷺ بعض أصحابه لإحضارهن إلى المدينة المنورة ، وقد كان ذلك في السنة الثالثة عشرة للبعثة ..

وعندما وصلن المدينة المنورة .. استقبلهن نساء الأنصار بترحاب كبير وبفرح وسرور .. وكان قد استقر المقام بالمهاجرين ، واطمأنت قلوبهم ، وذهبت

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٢٩) .

عنهم وحشة الاغتراب .. وقد آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار .. واتخذ علياً أخاً له[1] ..

كانت فاطمة الزهراء سعيدة في كنف أبويها أثناء طفولتها .. فلما ماتت أمها خديجة الكبرى سيدة نساء قريش ، كانت فاطمة ترعى أباها وتحاول أن تمسح عن قلبه حزنه الكبير على من كانت له وزير صدق على الدوام ، حتى عرفت وتكنت الزهراء بأم النبي ...

وعندما هاجرت الزهراء من مكة إلى المدينة ، كان الرسول ﷺ قد بنى على عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها .. وأسكنها دار النبوة ، فأحست الزهراء بإحساسات غيرة الابنة ممن أخذت مكان أمها الطاهرة خديجة ..وكان عزاؤها بأن أباها ﷺ قد أحب زوجته الجديدة بنت أبي بكر ، وقد عرف الناس أنها زوجه الأثيرة عنده ، ولم ترتح الزهراء إلى من يقاسمها قلب أبيها وعطفه الكبير ، ولكن حبها له يفوق كل غيرة أو خلاف قد يحدث بينها وبين السيدة عائشة ، وتيقنت أنه قد آن الأوان لأن تنتقل من بيت أبيها ﷺ راضية غير كارهة وذلك كي تخلي المكان لربته الشابة الحسناء عائشة رضي الله عنها ..

وكانت فاطمة الزهراء قد بلغت من العمر الثامنة عشرة سنة .

ويتقدم لخطبة الزهراء كبار الصحابة ، فقد تقدم أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .. ولكن النبي ﷺ اعتذر برفق بالغ من تزويجها لهم[2] .

ومن ثم تقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليخطب إلى رسول الله ﷺ

---

(١) السيرة الهشامية (١٥٠/٢) والاستيعاب (١٠٩٨/٣) والمحبر (٧٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (١١/٨) .

ابنته فاطمة الزهراء ، فقال رضي الله عنه :

ـــ أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فاطمة ، فقلت : والله مالي من شيء ، ثم ذكرت صلته ، وعائدته فخطبتها إليه .

فقال لي النبي ﷺ :

ـــ « *وهل عندك شيء ؟* » .

فقلت : لا يا رسول الله ..

فقال ﷺ :

ـــ « *فأين درعك الحطيمة التي أعطيتك يوم ـــ كذا وكذا ؟* » ..

فقلت : هي عندي يا رسول الله .

فقال ﷺ :

ـــ « *فأعطها إياها* »[1] .

وانطلق علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسرعاً وجاء بالدرع ، فأمره النبي عليه الصلاة والسلام أن يبيعها ليجهز بثمنها العروس[2] .

واشترى الدرع عثمان بن عفان رضي الله عنه بأربعمائة وسبعين درهماً ، وسلَّم علي بن أبي طالب ثمنها لرسول الله ﷺ ، فدفعها عليه الصلاة والسلام إلى بلال ليشتري ببعضها طيباً وعطراً ، ثم يدفع الباقي إلى أم سلمة رضي الله عنها لتشتري جهاز العروس .

---

(١) طبقات ابن سعد (١٢/٨) . وسنن أبي داوود ، كتاب النكاح (٣٦) ، وأخرجه النسائي (١٢٩/٦) .

(٢) صحيح البخاري (كتاب البيوع) ، ومسند الإمام أحمد (١٤٢/١) .

ودعا النبي ﷺ صحابته ، فأشهدهم أنه زوَّج ابنته فاطمة من علي بن أبي طالب على أربعمائة مثقال من فضة على السنة القائمة والفريضة الواجبة ، وختم خطبة الزواج بمباركة العروسين ، والدعاء لهم بالذرية الصالحة ، ثم قدَّم إلى الصحابة الكرام وعاء فيه تمر(١) .

وبعد أن تم عقد زواج الزهراء على فارس الإسلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أمر رسول الله ﷺ أم سلمة أن تمضي بالعروسين إلى دارهما وقال لعلي رضي الله عنه :

ـ « **لاتحدث شيئاً حتى تلقاني** » .

وذهب ﷺ لصلاة العشاء ، وعندما انتهى عاد إلى بيت العروس الزهراء ، فَدَعا بماءٍ ، فتوضأ منه ، ثم أفرغه على فاطمة وعليٍّ ، وقال :

ـ « **اللهم بارك فيهما ، وبارك عليهما ، وبارك في نسلهما** » (٢) ..

استيقظت أم الفضل (امرأة العباس) من نومها وهي تحس انقباضاً في صدرها .. فقد رأت رؤيا أفزعتها ، وفكرت في أن تقص رؤياها على رسول الله ﷺ ، ولكن كيف وقد رأت عضواً من أعضائه يقطع ويلقى به في بيتها !..

إن ما رأته يزعجها ، فعزمت على ألا تقص خبر رؤياها على النبي ﷺ .. وراحت تغدو وتروح وما تزال الرؤيا المفزعة ماثلة في ذهنها تقلقها وتحيرها .. فقد حاولت النسيان ، ولكن كيف وهي تحتل كل تفكيرها ، فلما لم تطق صبراً ، انطلقت إلى رسول الله ﷺ وقالت له :

ـ يا رسول الله .. رأيت عضواً من أعضائك في بيتي .

---

(١) الإصابة (١٥٨/٨) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٥/٨) ، الإصابة (١٥٨/٨) .

وأحست بعض الراحة بعد أن أفضت بما كان يقلقها كتمانه .. ونظرت إلى النبي عليه الصلاة والسلام لترى أثر الحديث في وجهه فإذا به يتهلل مبتسماً ، ويقول :

« *خيراً رأيته ، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه* » .

ودخل علي على فاطمة والبشر يترقرق في محياه ، تملأ نفسه تلك الغبطة التي تملأ كل زوج يرقب وليده الأول ، وأقبل على الزهراء يلاطفها .. فنزلت السعادة بالدار الصغيرة التي ما كان بها إلا إهاب كبش كانت فراشاً للزوجين، وقطيفة إذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما وإذا جعلاها بالعرض انكشفت رؤوسهما ..

وحانت ساعة الولادة فقال عليه الصلاة والسلام لأم رومان وأم سلمة :

ــ « *أحضرا فاطمة* » .

واستمر الزوج الحبيب علي في قلقه حتى إذا ما وقع ولده واستهل صارخاً ، انتشت روحه وسكنت الطمأنينة قلبه ، فقد كان يخشى على زوجه التي شحب لونها وانتابها هزال في شهورها الأخيرة من الحمل ..

ودخل النبي ﷺ على ابنته الزهراء ، فأخرج له المولود في خرقة صفراء ، فرمى بها وقال :

ــ « *ألم أنهكم أن تلفوا الولد في خرقة صفراء ؟* » .

وأمر أن يلف في خرقة بيضاء ، فلفوه وجاءوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقطع سرته ، وقال له :

ــ « *اللهم إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم* » .

وفي اليوم السابع جاء رسول الله ﷺ ، وقال :

ـــ « ***أروني ابني ، ما سميتموه ؟*** » .

فقال علي كرم الله وجهه :

ـــ حرباً .

فقال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***بل هو حسن*** » .

ونحر كبشاً وأعطى القابلة فخذاً وديناراً وقال :

ـــ « ***يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة*** » .

وأثلج صدر الزوج الكريم أبا الحسن ، فقد وهبه الله هبة عظمى ، وهبه ذرية من نسل رسول الله ﷺ . وكذلك انشرح صدر الزوجة الزهراء فاطمة بوليدها فراحت ترقصه وهي فرحة مسرورة به ، وتنشد :

أشبه أباك يا حسن
واخلع عن الحق الرسن
وأعبد إلهاً ذا منن
ولا توالي ذا الإحن

وكان يوم أحد ، فخرجت الزهراء مع من خرجت من النساء ، وهرعت إلى أبيها ﷺ وإلى زوجها ، وقد رأت الذي بوجه أبيها من الدم والجروح ، فأراد علي بن أبي طالب أن يذهب ليأتي بماء يغسل به الدم عن وجه رسول الله ﷺ ، فقال لفاطمة :

أفاطم هاء السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بلئيم
لعمري لقد جاهدت في نصر أحمد ... وطاعة رب بالعباد رحيم

فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو مختضباً بالدم ، وقال :

« لئن كنتُ أحسنتُ بالقتال اليوم ، فلقد أحسنَ عاصم بن ثابت ، والحارث بن الصِّمة ، وسُهل بن حُنيف ، وسيف بن دُحانة ، غير مذموم » .

وما أن انقضى شهر حتى حملت فاطمة ثانية ، فكانت أم الفضل ترضع الحسن ، وفي ذات يوم جاءت به إلى النبي ﷺ ، فوضعته في حجره .. فبال ، فضربت كتفه ، فنظر إليها النبي ﷺ وقال :

ـ ***« أوجعت ابني .. رحمك الله »*** ..

وما إن بلغ الحسن من العمر ما يقارب العام حتى ولد (الحسين) في شهر شعبان سنة أربع من الهجرة[1] ..

وعندما نزلت الآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2]

كان النبي ﷺ عند زوجته أم سلمة رضي الله عنها.، فدعا علياً وفاطمة والحسن والحسين فغطاهم بكساء .. ثم قال :

---

(١) راجع ترجمة الحسن والحسين في كتاب المناقب في صحيح البخاري ، والفضائل من صحيح مسلم .
(٢) سورة الأحزاب .الآية (٣٣) .

ـ « *اللهـم هؤلاء أهل بيتي ، اللهـم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً* » .

قال ذلك ثلاث مرات.. ثم قال :

ـ « *اللهم أجعل صلواتكَ وبركاتكَ على آل محمدٍ كما جعلتها على آل إبراهيم إنكَ حميد مجيد* »[١] .

وتتابع الثمر المبارك الطيب من ذرية طيبةٍ .. فولدت الزهراء في العام الخامس للهجرة طفلة أسماها جدها ﷺ (زينب) . وبعد عامين من مولد زينب وضعت طفلة أخرى اختارها جدها الرسول ﷺ اسم (أم كلثوم) . وذلك تخليداً لبناته ﷺ اللائي فارقن الحياة الدنيا واحدة تلو الأخرى .

وبذلك آثر الله فاطمة الزهراء عن سواها بالنعمة الكبرى .. إذ حضر في ذريتها سلالة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وحفظ بها أشرف سلالة عرفتها البشرية ..

كان رسول الله ﷺ يحب ابنته فاطمة من جوامع الفؤاد ، كانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبلها وأجلسها مكانه[٢] ... ولكن ذلك الحب لم يثنه يوماً عن أن يحيد عن جوهر رسالته .. أو أن يرضى لأهله أن يعيشوا عيشة الترف ، بينما سائر المسلمين فقراء ...

---

(١) راجع صحيح مسلم ، باب فضل أهل بيت النبي ﷺ رقم (٢٤٢٤) ، والمسند (١٠٧/٤) (٢٩٢/٦) ، والحاكم (١٤٦/٣ و١٤٧) .

(٢) أخرجه أبو داوود في باب الأدب برقم (٥٢١٧) ، والترمذي في المناقب باب مناقب فاطمة الزهراء برقم (٣٨٧١) . والحاكم في المستدرك (١٥٤/٣) وصححه ووافقه الذهبي .

فقد جاءته الزهراء ذات يوماً تشكو من آلام الرحى .. وقد جرحت يديها من حمل الماء .. فطلبت إلى رسول الله ﷺ أن يمنحها خادماً من الأسرى .. فأبى ذلك وقال :

ـــ « ***كيف تطمعون في شيء من هذا وأهل الصفة على ما هم عليه من الفقر ؟*** » .

ودخل رسول الله ﷺ يوماً على فاطمة .. فوجد في يدها سلسلة من ذهب ، وهي تقول لامرأة عندها :

ـــ هذه أهداها لي أبو الحسن .

فقال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***يا فاطمة ، أيسرك أن يقول الناس ابنة رسول الله في يدها سلسلة من نار ؟*** » .

ثم خرج ولم يقعد ، فأرسلت فاطمة بالسلسلة فباعتها ، واشترت بثمنها عبداً فأعتقته لوجه الله ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال :

ـــ « ***الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار*** »[1]

كانت السعادة تغمر دار فاطمة الزهراء ، فهي سعيدة بزوجها البطل الذي يجدل أعداء الإسلام ، وكذلك هو سعيد ببنت رسول الله أخيه في الإسلام وربيبه وحبيبه وقدوته وأمله في الحياة وفي الممات .. فكان يعود علياً أحياناً إلى بيته وهو منحرف المزاج من شيء ما .. فكان يقسو على زوجه قسوة لم تكن تألفها .. فكانت تذهب إلى أبيها رسول الله ﷺ تشكو إليه ما لقيت من ابن أبي طالب ،

---

(١) أخرجه النسائي في باب الزينة (١٥٨/٨) ، والحاكم (١٥٢/٣ ـــ ١٥٣) .

فكان عليه الصلاة والسلام يصلح بينهما ويؤلف قلبيهما على الحب والمودة والصبر[1]...

وقد رئيَّ عليه الصلاة والسلام ذات مساء وهو يسعى إلى دار ابنته الزهراء ووجهه باسر ، فأمضى وقتاً هناك ، ثم خرج ووجهه يفيض بالبشر ، فقال قائل من أصحابه :

ــ يا رسول الله دخلت وأنت على حال ، وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك؟!.

فقال رسول الله ﷺ :

ــ **« وما يمنعني ، وقد أصلحت بين أحب أثنين إليّ »[2] ؟.**

وعندما أسلمت بنت عمرو بن هاشم بن المغيرة (أبي جهل) ورأى أهلها الذين أسلموا من قبل أن ليس لها كفء بين المسلمين غير علي بن أبي طالب ، فعرضوا على علي الزواج منها . وذاع الخبر في المدينة حتى بلغ زوجته الزهراء ، فاستولى عليها حزن عميق ، وذهبت إلى أبيها تقول والدموع في عينيها :

ــ يزعمون أنك لا تغضب لبناتك .

وأثرت دموع الزهراء في قلب أبيها ، فإذا به يغضب لابنته ، ايجمع علي بن أبي طالب بين بنت رسول الله وبنت عدو الله ؟ إن هذا لن يكون ..

وجاء بنو هشام بن المغيرة يستأذنونه في تزويج بنتهم من زوج فاطمة ، فإذا بوجهه يظهر فيه الضيق ، وعجب بنو المغيرة .. فما كان الإسلام ليحول بين علي وبين الزواج من أخرى وقد تزوج رسول الله ﷺ أكثر من امرأة .. ولكن عليه

(١ ــ ٢) الإصابة (٨/١٦٠) ، طبقات ابن سعد (٨/١٦) .

السلام ظل وفياً لأول زوجة خفق بحبها قلبه ، ظل وفياً لخديجة لم يثر غيرتها بزوجة أخرى حتى رحلت من الدنيا ، فما بال علي يريد أن يجمع بين ابنته وبين بنت عدوه ، وثارت بشريته ﷺ ، فصعد إلى المنبر وقال :

ـــ « **إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكح ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن لهم أبداً ، ثم لا آذن لهم ، اللهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها . وإني أتخوف أن تفتن في دينها** »[1] .

إنه ﷺ بَشَرٌ ، وقد عبر عن بشريته بقوله : إنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ، ولم يحرم حلالاً ولا أحل حراماً ، وقد رد الأمر إلى ابن عمه وربيبه ليختار ، وقد اختار علي رضي الله عنه بنت رسول الله ﷺ .

وعادت المودة والصفاء إلى بيت الزوجية التي هبت عليها ريح قاسية أرهقت كل من فيها ، وراحت فاطمة ترقص طفلها وهي تقول مداعبة للزوج الذي فكر يوماً في أن يجيء لها بضرة :

وابـــأبي شبـــه النبـــي لست شبيهـــاً بعـــلي

ودنا علي رضي الله عنه من زوجه الزهراء ، يقول لها في رقة :

ـــ والله لآتي شيئاًتكرهينه أبداً[2] .

ودخل رسول الله ﷺ بيت الزهراء وزوجها فقال لهما :

ـــ « **ألا أخبركما بخير ما سألتماني ؟** » .

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب فاطمة (٢١٩/٤) ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل بنت النبي ﷺ (٢٤٤٩) .

(٢) الإصابة (١٦٠/٨) وطبقات ابن سعد (١٦/٨) .

فقالا : بلى يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ :

ـ « *كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً ، وتكبران عشراً ، وإذا أوتيتما إلى فراشكما ، تسبحان ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين ، وتكبران ثلاثاً وثلاثين ، فهو خير لكما من كل شيء* » .

فقال علي رضي الله عنه : ما تركتهن منذ علمنيهن ، فسأله رجل من أصحابه : ولا ليلة صفين ؟ فقال : ولا ليلة صفين[(١)] .

لقد مرت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بأحداث كثيرة متشابكة وقاسية للغاية ، وذلك منذ نعومة أظفارها ، حيث شهدت وفاة أمها الطاهرة وهي لاتزال فتاة صغيرة لاتعرف ما هو الموت ، وكذلك شهدت وفاة أختها رقية بعد عودتها من هجرة الحبشة ، ومن ثم تلتها في السنة الثامنة للهجرة وفاة أختها زينب الكبرى ، وفي السنة التاسعة للهجرة توفى الله تعالى أختها ورفيقتها في هجرتها أم كلثوم ..

واحتملت كذلك حياة التقشف والفقر ، وكابدت من ذلك الشيء الكثير الذي نادراً ما نجد فتاة قد تتحمل ذلك ..

ولكن الطاهرة الزهراء التي رباها رسول الله ﷺ وجعلها كأمه الصغرى ، وحضنها بعطفه وحنانه وحبه ، لم تكن لتستسلم للأحزان ، أو اليأس ، بل كانت مثالاً للفتاة الصابرة المرابطة الداعية إلى الله تعالى ..

---

(١) راجع صحيح مسلم ذكر بألفاظ متفاوتة في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٧٢٧ و٢٧٢٨) . وفي الإصابة (١٥٩/٨) .

ولكن الامتحـان في هذه المرة الأخيرة كان قـاسيـاً جداً .. قد هز مشاعرها ، وأثر على نفسها وجسمها وآمالها وأحلامها ..

فقد ألمَّ برسول الله ﷺ مرضٌ عصيب ، وكان ذلك في ليالٍ بقين من صفر في السنة الحادية عشرة للهجرة ، فظن آل بيته والمسلمون أنها وعكةٌ طارئةٌ لاتلبث أن تزول .. ولكن الانتظار قد طال ، وبقي رسول الله عليه الصلاة والسلام أسير مرضه لايغادر فراشه .

تقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها(١) :

كُنّا أزواج النبي ﷺ اجتمعنا عنده ، فلم يغادر منهن واحدة ، فجاءت فاطمة تمشي ، ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فلما رآها ، رحب بها ، وقال :

ــ « *مرحباً يا بنيتي* » !!..

ثم أقعدها عن يمينه ، أو عن يساره ، ثم سارَّها ، فبكت ، ثم سارَّها الثانية ، فضحكت !!..

فلما قامت من جانبه ، قلت لها :

ــ أي فاطمة : خصك رسول الله ﷺ بالسر وأنت تبكين ، عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتني ممَّ ضحكت ؟.. ومما بكيت .

قالت فاطمة :

ـ ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ !!..

(١) في الإصابة لابن حجر (١٣/٧٤ ــ ٧٥) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٣٠) ، والبخاري في كتاب الأنبياء باب علامات النبوة ، ومسلم في فضل الصحابة باب فضل فاطمة .

فلما توفي رسول الله ﷺ قلت لها :

ــ عزمت عليكِ بما لي عليكِ من حق لما أخبرتني ؟..

قالت فاطمة :

ــ أما الآن فنعم !!.. في المرة الأولى حدثني فقال :

ــ **« أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كلّ سنة مرة ، وأنه عارضني العام في هذه السنة مرتين!.. وأني لأحسبُ ذلك إلا عند اقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري ، فنعم السَّلفُ لك أنا »** ..

فبكيت ، فلما رأى جزعي قال :

ــ **« أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين »** ؟..

قالت : فضحكت[١] ..

وبقيت الزهراء بجانب أبيها ﷺ لاتفارقه في بيت السيدة عائشة ، وكان قد أثقله المرض .. فكانت تخدمه وتسهر عليه مع السيدة عائشة رضي الله عنها .. وتتجمل بالصبر على قضاء الله وقدره ، وهي تدعو الله سبحانه وتعالى أن يعافي رسول الله ﷺ ويخفف عنه آلامه ..

ولما ثقل المرض برسول الله ﷺ وجعل يتغشاه ، راحت فاطمة الزهراء تصيح وتندب أباها قائلة :

ــ وأكَرْبَاهُ أباه !!..

---

(١) وفي رواية لابن أبي شيبة بسند حسن في (كنز العمال « ٦٧٥/١٣ ») : أن فاطمة قالت لعائشة : أرأيت حين أكببت على رسول الله ﷺ فبكيت ؟ ثم أكببت عليه فضحكت ؟ قالت : أخبرني أنه ميت من وجعه فبكيت ، ثم أخبرني أنني أسرع أهله به لحوقاً ؛ وقال : « أنتِ سيدة نساء أهل الجنة ، إلا مريم بنت عمران » ، فضحكت .

فقال ﷺ :

ــ « *ليس على أبيك كرب بعد الموت* »[1] .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول يوم فارق رسول الله ﷺ روحه الطاهرة :

ــ رجع إلي رســول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجري .. ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري ، فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول :
ــ « *اللهم الرفيق الأعلى من الجنة* » .

فقلت : خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق !!..

قالت[2] :

ــ وقبض رسول الله ﷺ .. ولما ثقل النبي ﷺ .. كانت فاطمة رضي اللهعنها حاضرة عنده .. ترى ما نزل به من أمر الله تعالى الذي لامرد له .. فتأخذها العبرات حزناً ولوعةً على أبيها وهي تراه يدخل يديه في المــاء فيمســح بهـا وجهــه ويقـول : « لاإله إلا الله إن للموت سكرات »[3] .

وأخذت فاطمة الزهراء تصيح بأعلى صوتها من شدة حزنها وفراقها تندب الرسول ﷺ :

---

(١) من حديث عن أنس بن مالك . راجع صحيح البخاري ، باب مرض رسول الله ووفاته ..

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٦٥٤ ــ ٦٥٥) وصحيح بخاري : آخر ما تكلم به الرسول ، باب مرضه .

(٣) صحيح بخاري : باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته .

يا أبتاه ..

أجاب رباً دعاهُ ..

يا أبتاه .. من جنة الفردوس مأواه ..

إلى جبريل منفاه !!..

ومات رسول الله ﷺ بين سحر عائشة ونحرها ، فمن حداثة سنها وضعت رأسه الشريف على وسادة ، وقامت تندب مع النساء وتضرب وجهها ، فلم يلبث أن خرج العباس إلى الناس ، فنعى رسول الله ﷺ فقال القوم له :

ـــ يا عباس : ما أدركت منه ﷺ :

ـــ أدركته وهو يقول :

ـــ « ***جلال ربي الرفيع قد بلغت*** » .

فلما دفن عليه الصلاة والسلام قالت الزهراء لأنس :

ـــ يا أنس : كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب[(١)] ؟.

وبكت الزهراء أم أبيها ..وبكى المسلمون جميعاً نبيهم ورسولهم محمداً ﷺ وهم يذكرون قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[(٢)]

وقوله تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (١٣٧/٥) .

(٢) سورة آل عمران ، من آية /١٤٤ .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[1]

وبعد مرور أيام على وفاة أبيها ﷺ تعلقت آمالها بميراثه ، فقد كانت تطلب الزهراء ميراثها من أرض فدكٍ وسهمه من خيبر .. وجاءت تطلب ذلك من أبي بكر الصديق رضي الله عنه فحدثها أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ***لانورث ما تركناه صدقةٌ*** » ولكني أعول من كان رسول الله يعول ، وأنفق على من كان رسول الله ينفق . لكن الزهراء وجدت عليه وغضبت ..

واعتذر إليها أبو بكر رضي الله عنه فقال :

ـــ يا حبيبة رسول الله !!.. والله إن قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي ، وإنكِ لأحبُّ إليَّ من عائشة .. ولوددت يوم مات أبوك أني متُّ ولا أبقى بعده !.. أفتراني أعرفكِ ، وأعرف فضلكِ وشرفكِ ؟.. وأمنعكِ حقكِ وميراثكِ من رسول الله ؟.. إلا أني سمعته ﷺ يقول :

ـــ « ***لانورث ما تركناه صدقة*** »[2] .

وما إن مرت الشهور القليلة على وفاة أبيها ﷺ ، حتى بدأت الزهراء تفكر بلحظات الرحيل ، والاستعداد ليوم الممات .. فقد بشرها ﷺ بأنها أول أهله لحوقاً به .. فكانت كثيراً ما تفكر بالموت وتتحدث عنه ، حتى قرب أجلها[3].

فاطمة الزهراء .. لم تدخل الفرحة أو السرور إلى قلبها فقد مات أبوها

---

(١) سورة الأنبياء ، آية /٣٤/ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/١٢٠ ـــ ١٢١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦٣٣) ، وعن تراجم سيدات بيت النبوة ببعض التصرف .

ﷺ ، إنها تذوب كل يوم حزناً عليه وشوقاً إليه .. ومرضت .. فراح الحسن والحسين وأم كلثوم يرنون إلى أمهم في إشفاق وجزع ، إنها تذوي وبريق عينيها الجميلتين ينطفئ رويداً رويدا .. والموت يزحف إليها لتلحق برسول الله ﷺ وبإخوتها الأحبة زينب ورقية وأم كلثوم ..

إن أمها الطاهرة خديجة ، قد رقدت هناك في مكة ، ودفنت زينب ورقية وأم كلثوم وأم أيمن هنا في البقيع ، وقبر أبوها حيث قبض في بيت عائشة ، إنهم ماتوا جميعاً ولكنها تراهم عند سريرها ينتظرونها لتنطلق معهم إلى حيث ذهب أبوها ، إلى الرفيق الأعلى ..

كان الموت يطلبها حثيثاً وإنها لتترك الدنيا غير آسفة على فراقها ، فما تنافست في عزها وفخرها ، وما بهرتها زينتها ونعيمها ،وما جزعت من ضرائها وبؤسها ، إنها عما قليل ستصبح ميتةً تبكى .. وستخلف من ورائها دنيا لا خير في شيء من أزوادها إلا التقوى ..

وفتحت عينين واهنتين .. فرأت أبا الحسن والهاً حزيناً ، والحسن والحسين وفي أعينهما دموع ، وأم كلثوم تكاد تموت من الأسى والحزن على أمها الزهراء .. فأرادت أن تواسيهم ولكن الكلمات ماتت على شفتيها ، ولم تجد الكلام الذي يعبر عما تعتمل به نفسها ..

تقول أمُّ رافع :(١) مرضت فاطمة ، فلما كان اليوم الذي توفيت فيه ، قالت لي :

ــ يا أمة : اسكبي لي غسلاً ، فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ، ثم لبست ثياباً لها جدداً ، ثم قالت : اجعلي فراشي وسط البيت ،

(١) الإصابة لابن حجر (٧٥/١٣) .

فاضطجعت عليه ، واستقبلت القبلة ، وقالت : يا أمة : إني مقبوضة الساعة ، وقد اغتسلت ، فلا يكشفن لي أحد كفناً ، فماتت ، رضي الله عنها .. فجاء علي بن أبي طالب ، فأخبرته ، فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك .. بعد أن صلى عليها هو والعباس رضي اللهعنهم جميعاً ..

وفي ليلة الثلاثاء ، لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة .. فاضت الروح المطمئنة ورجعت إلى ربها راضية مرضية .. فأجهش أبو الحسن بالبكاء ، وراح الحسن والحسين وأم كلثوم يذرفون الدموع على أعظم أم في الوجود ، سيدة نساء أهل الجنة ..

وقام علي وأسماء بنت عميس وسلمى أم رافع يجهزون الجسد الطاهر للدفن والعيون الفجيعة تسح الدموع ، واجتمع الناس في المسجد وقد نزل بقلوبهم حزن ثقيل ، فقد جدد موت الزهراء أحزانهم على فراق أبيها نبي الرحمة ورسول رب العالمين ..

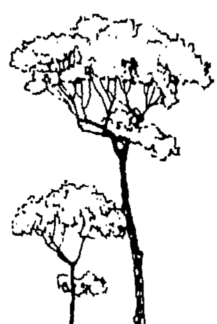
وقد صلى عليها زوجها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعمه العباس رضي الله عنه . وفي سكون الليل ، وعلى أضواء المشاعل خرجت الجنازة إلى البقيع وقد غامت أعين الرجال بالدموع ، وارتفع نشيج النساء من الدور عزاءً للزهراء الراحلة ..

وشعر علي بن أبي طالب بنار الحزن تلسع فؤاده ، فلم يقدر أن يكتم ما به من حزن ، فوقف يناجي رسول الله ﷺ ، ويرثي زهراءه :

ــ السلام عليك يا رسول الله ، عني وعن ابنتك النازلة إلى جوارك والسريعة اللحاق بك . قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورقَّ عنها تجلدي ، إلا أن لي في التآسي بعظيم فرقتك ، وفادح مصيبتك ، موضع تعز ، ولقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك .

ـــ إنا لله وإنا إليه راجعون .. لقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، إلى أن يختار الله إلى دارك التي أنت بها مقيم .. وستنبئك ابنتك الطاهرة بتضافر أمتك على هضمها ، فأحفها السؤال واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر ، والسلام عليكما سلام مودع ولا قال ولا سئم ، فإن أنصرف فلاعن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين ..

فرحم الله فاطمة الزهراء ، أم أبيها ، سيدة نساء أهل الجنة ، ريحانة سيد ولد آدم ، وزوجة سيد الفرسان ، وأم الحسن والحسين أبي الشهداء ، وأم زينب بطلة كربلاء ..



مُبايعة الصحابيات

لرسول الله

صلى الله عليه وسلم

الخطاب الفقهي

جاءَ الخِطَابُ الإلهي في مبايعة النساء لرسول الله ﷺ إذ قال عزَّ من قائل في كتابه العزيز :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

ولما جاءت النسوة لمبايعة رسول الله ﷺ ، كن متلففاتٍ بمروطهِنَّ بين المغرب والعشاء .. فسَلَّمنَ وانتسَبْنَ ..

فرحب بهن رسول الله ﷺ وقال :

ــ *« ما حاجتكنّ »* ؟..

فقلن : يا رسول الله .. جئنا نبايعك على الإسلام ، فإنا قد صدقنا بك ، وشهدنا إن ما جئت به حقٌّ ..

فقال رسول الله ﷺ :

ـ « ***الحمد لله الذي هداكن للإسلام*** » ..

وثم قال ﷺ :

ـ « ***قد بايعتكُنَّ*** » ..

قالت أم عامر : فدنوت منه ، فقال رسول الله ﷺ :

ـ « ***إني لا أصافِحُ النســـاء ، قولي لألفِ امرأة كقولي لامرأةٍ واحدةٍ*** »[1] ..

وعندما دخل رسول ﷺ المدينة المنورة مهاجراً ، قَدِمَ إليه بعض النسوة ممن أسلمن ، فقلنَ :

ـ يا رسول الله .. إن رجالنا قد بايعوك ، وإنّا نحبُّ أن نُبايعك ..

فطلب رسول الله ﷺ قدح فيه ماء ، فأدخل يدهُ فيه ، ثم أعطاهُنَّ إمرأة إمرأة .. فكانت هذه بيعتهُنَّ[2] ..

وفي رواية : أن رسول الله ﷺ قد بايع بعض النسوة وعلى يده ثوبٌ أصفر ..

وقالت أسماء بنت أبي بكر : فأخرجت ابنة عمٍّ لي يدها لتصافح رسول الله وعليها سوار من ذهب ، وخواتيم من ذهب ، فقبض رسول الله ﷺ يده وقال :

ـ « ***إني لا أُصافِحُ النساء*** »[3] .

---

(١) راجع طبقات ابن سعد (١٢/٨) .

(٢) طبقات ابن سعد (٩/٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/٨) .

مع عمّات المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم

لا أملك لكم من الله شيئاً..
سلوني من مالي ما شئتم...

عمات رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

صفية بنت عبد المطلب
أروى بنت عبد المطلب
عاتكة بنت عبد المطلب

الصحابية

صفية بنت عبد المطلب

عمة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

الصحابية

صفية بنت عبد المطلب

عمة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

عندما نزلت الآية الكريمة :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

قام رسول الله ﷺ فقال :

« يا فاطمةُ بنتَ محمدٍ ، يا صفيةُ بنتَ عبدِ المطلبْ ، يا بني عبدِ المطلب ، لا أملكُ لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتُمْ »[1] .

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب قوله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ برقم /٢٠٥/ ، وأحمد في المسند (١٨٧/٦) ، والترمذي ، برقم (٢٣١٠ ــ ٢١٨٤) ، والنسائي برقم (٢٥٠/٦) .

صفية الصافية ، الطاهرة الصادقة ، المجاهدة المبايعة ، الشاعرة الفاضلة .

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ،... القرشية الهاشمية .
عمة رسول الله ﷺ ..
شقيقة أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ..
وأم الصحابي الجليل الزبير بن العوام ..

صفيَّةُ قومي ولا تعجزي   وبَكّي النِّساءَ على حمزة
ولا تسأمي أن تطيلي البكا   على أسدِ اللهِ في الهزَّة
فقد كان عزّاً لأيتامنا   وليث الملاحم في البزَّة
يريدُ بذاكَ رِضا أحمدٍ   ورضوانَ ذي العرش والعزة(١)

نشأت صفية الصافية رضي الله عنها في بيت سيد قريش ، وصاحب السؤدد والشرف والمجد (عبد المطلب) ، الذي منحها شخصية قوية .. ومكانة عظيمة بين قومها ، فكانت فصيحة اللسان ، بليغة ، قارئة عالمة ، شجاعة فارسة ..

وقد أنار الله قلبها رضي الله عنها بنور الإيمان والهداية ، فكانت من أوائل النسوة اللائي بايعن الرسول ﷺ في بداية دعوته ، فآمنت بالله تعالى ، وصدقت ابن أخيها الصادق الأمين وآزرته في دعواه لدين الحق والإيمان .. فقد حسن إسلامها وعظم قدرها وشأنها بين المسلمين أجمعين ..

---

(١) من قصيدة لشاعر الرسول حسان بن ثابت يمدح بها صفية بنت عبد المطلب ، راجع السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٥٨) .

وقد كانت قبل إسلامها زوجة للحارث بن حرب بن أمية ، أخي أبي سفيان .. فمات عنها .. فتزوجها بعده العوام بن خويلد ، فولدت له (الزبير وعبد الكعبة والسائب) وقد شهد ولدها السائب معركة بدر والخندق مع رسول الله ﷺ ، واستشهد بعد ذلك في اليمامة ..

هجرة صفية عمة النبي ﷺ[1] :

« لما أذن الله تعالى للصحابة بالهجرة إلى المدينة .. كان الرجل يهاجر بمن أسلم من أهله .. فهاجرت صفية عمة رسول الله ﷺ مع ابنها (الزبير بن العوام) رضي الله عنه وعن أمه » ..

ولقد أصاب الطاهرة صفية وابنها أذى كثيراً بسبب إسلامها .. فكانت هجرتها رحمةً من الله تعالى .. فإن الفرار مما لايطاق من سنن الأنبياء .. كانت رضي الله عنها ترى ابنها وهو يعذب عذاباً شديداً .. ولاتقدر أن تدفع عنه ، فقد كان عمُّ الزبير يعلِّقُهُ في حصير ، ويدخِّنُ عليه ليرجع إلى الكفر ، فيقول :

ـــ لا أكفرُ أبداً[2] .

وكانت أمه الصافية الصابرة ترى ولدها على هذه الحال ، وقلبها يتفطر عليه حزناً وألماً .. وهي تنظر إليه بنظرات الرحمة والرأفة ، وكأنها تقول :

ـــ أن أثبت يا بني على الحق ولا ترجع إلى دين آبائِكَ ..

فلما كان الزبير يرى من أمهِ الجلد والثبات وهي تراه معذباً .. يزداد ثباتاً على دين الإسلام .. وهو في أول فتوته .

---

(١) من كتاب صور من حياة صحابيات الرسول ﷺ للشيخ خالد العك (٤٠٥) .

(٢) الإصابة لابن حجر (٧/٤) .

وتهاجر الطاهرة صفية بصحبة ولدها الزبير إلى المدينة المنورة .. وهناك يستقبلهم منذر بن محمد بن عقبة (دار بني جحجبا)(١) ..

وعندما آخى النبي ﷺ بين المسلمين الأنصار ،والمهاجرين، آخى بين الزبير بن العوام ، وسلامة بن سلامة بن وقش(٢) ..

لقد شهدت رضي اللهعنها انتشار الإسلام ، وشاركت في نشره ، فقد كانت نزعة الجهاد متأصلة في نفسها منذ الصغر ، ولذلك ما إن أتيحت لها الفرصة يوم أحد للمشاركة ، حتى كانت في طليعة النسوة اللائي خرجن لخدمة المجاهدين ومداواة الجرحى ، وتحضير الطعام وغيره ..

ولما شاءت إرادة الله بتراجع المسلمين بسبب مخالفة بعضهم لأوامر رسول الله ﷺ القائد ، وانفض كثير منهم عن القائد عليه الصلاة والسلام ، فما كان من صفية الشجاعة وبيدها رمح حتى نزلت أرض الساحة وراحت تضرب بالرمح وجوه الناس الفارين من المعركة ، وتقول لهم :

ـــ انهزمتم عن رسول الله ﷺ :

وبعد انتهاء المعركة ، نزل رسول الله ﷺ أرض المعركة كي يتفقد الجرحى والقتلى المسلمين ، فقد وصله خبر مقتل عمه الحمزة أسد اللهورسوله غدراً .. وعندما وصل إلى جثته المشبه بها وجده قد بقر بطنه وقد مثل به أبشع تمثيل فقد جدع أنفه ، وقطعت مذاكيره ، فنظر ﷺ إليه ، فأخذ الحزن يعتصر قلبه ، وطفرت الدموع إلى عينيه حزناً على شهيد الإسلام ، فقال :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٦٤و ٣٦٥) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/٥٠٤) .

ـــ « *لن أصاب بمثلكَ ، ما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا* » .

ـــ «*رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات وصولاً للرحم ، أما والله لئن أظفرني الله تعالى بقريش في موطن من المواطن لأمثلن بسبعين منهم كذلك* » .

« *لولا أن تحزن صفية ، ويكون سُنَّةً من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع ، وحواصل الطير* » .

ووضعه ﷺ في القبلة ثم وقف على جثمانه وانتحب حتى شهق ، وبلغ به الغشي وراح يقول :

ـــ « *يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله ، يا حمزة يا فاعل الخيرات ، يا حمزة يا كاشف الكربات ، يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله* » .

ولما رأى المسلمون جزع رسول الله ﷺ على عمه ، قالوا :

ـــ لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب ..

ولما علمت صفية بمقتل أخيها حمزة .. أقبلت لتنظر عليه ، فقد كان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام :

ـــ « *يا زبير أغن عني أمك* » .

فذهب الزبير إلى أمه وهو واله حزين ، وقال لها :

ـــ يا أُمه !! إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي .

قالت :

ــ ولِمَ .. وقد بلغني أن قد مُثِّلَ بأخي ؟.. وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ؟.. لأحتسبن ، ولأصبرنَّ إن شاء الله ..

وحال الأنصار بينها وبين أن ترى جثمان أخيها ولكن دون جدوى ، فقال رسول الله ﷺ .

ــ « **دعوها** » .

ورأت صفية الصابرة أخاها حمزة وقد مُثِّلَ به ، فأحست بالحزن يحرق أحشائها ، وجلست أمام رسول الله ﷺ ، فجعل عليه السلام إذا بكت يبكي وإذا نشجت ينشج . وجعلت فاطمة الزهراء ومن حولها يبكون ، فلما بكت الزهراء بكى رسول الله ﷺ ثم قال :

ــ « ***لن أصاب بمثل حمزة أبداً*** » .

وكفن حمزة رضي الله عنه بشملة قصيرة كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وإن مدوها على رجليه انكشف رأسه ، فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه بعض من الحشائش الخضر ..

وعندما دفن أسد الله ورسوله في قبره ، قال رسول الله ﷺ :

ــ « ***جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله*** »(1) ..

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٩٦) .

تقول صفية المجاهدة الفارسة عن نفسها :

ــ أنا أولُ امرأةٍ قتلتْ رجلاً[1] ..

وكان ذلك عندما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، جعل النساء المشاركات وصبيانهم في حصنٍ مرتفع يقال له فارع ، وجعل معهنّ (حسان بن ثابت) شاعر رسول الله ﷺ ، وكان يناهز من العمر الستين .

فتسلل إلى معسكر النساء رجل يهودي خبيث ، حاول التهجم على أعراض النساء .. فجعل يطوق بالحصن ، والمسلمون في نحور أعدائهم ..

فقامت صفية رضي اللهعنها ، وقالت لحسان :

ــ إن هذا اليهودي لا أمنه أن يَدُل على عورتنا ، فقم فاقتله .

فقال حسان بن ثابت :

ــ لو كان ذلك فيّ كنت مع رسول الله ﷺ ، يغفر الله لكِ يا صفية قد عرفتني ما أنا بصاحب هذا ..

وما إن سمعت صفية كلام حسان حتى نهضت مذعورة ، ودبت الحماسة في نفسها ، فاحتجزت وأخذت عموداً غليظاً ، ونزلت من الحصن ، وتحينت فرصة غفلة اليهودي وضربته على أم رأسه ضربات متلاحقة حتى قتلته[2] .. وعادت إلى الحصن والفرحة في عينيها إذ استطاعت أن تقضي على عدو الله وتحفظ بذلك عورات النساء المسلمات من الفضيحة ، ثم قالت لحسان :

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٧٠) .

(٢) الإصابة لابن حجر (١٣/١٩) وأسد الغابة (٥/٤٩٣) والسيرة الهشامية (٢/٢٢٨) ، وتاريخ الطبري (٢/٥٧٧) .

ـــ أنزل فاسلبه ، فلم يمنعني سلبه إلا أنه رجل .

فقال حسان :

ـــ مالي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب[١] ..

وكذلك انطلقت صفية المجاهدة رضي الله عنها يوم خيبر مع المسلمات المؤمنات لتشد أزر أبطال الإسلام ، وقد اتخذن في أرض المعركة مكاناً لمداواة المرضى والجرحى وتحضير الطعام للمجاهدين وتهيئة السلاح اللازم لهم ..

لقد كانت صفية الصافية رضي الله عنها محبة للإسلام ولإعلاء كلمة الحق فقد كانت تحب ابن أخيها محمد عليه الصلاة والسلام منذ صغره ، وتحن عليه ، وقد أعجبت به شاباً ، وعندما بُلِغَ بالدعوة صدقته وآمنت باللهورسوله نبياً ، وساندته غازياً ، ولما توفي رسول الله ﷺ حزنت عليه حزناً شديداً وبكته بكاءً مريراً وراحت ترثيه شعراً مشهوداً متميزاً ، فقالت[٢] :

عَينُ جودي بدمعةٍ وسُهُودِ	*واندبي خيرَ هالِكٍ مفقودِ*
واندبي المصطفى بحزنٍ شديدِ	*خالطَ القلبَ فهو كالمعمودِ*
كِدتُ أقضي الحياةَ لّما أتاهُ	*قَدَرٌ خُطّ في كتابٍ مجيدِ*
فلقدْ كانَ بالعباد رَووفاَ	*ولهم رحمةً ، وحير رشيدِ*
رضَي اللهُ عنهُ حياً وميتاً	*وجَزاهُ الجنان يومَ الخلودِ*

(١) أخرجه الحاكم وصححه (٥١/٤) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤/٦) ورواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح ، ولكنه مرسل ..

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧١/٢) . وكذلك رثت أبيها عبد المطلب ، راجع السيرة الهشامية (١٦٩/١ ـــ ١٧٠) .

وعاشت صفية الطاهرة بعد رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما معززة مكرمة ، إلى أن أسلمت روحها للباري عز وجل في خلافة عمر ابن الخطاب في سنة عشرين من الهجرة .. ودفنت في البقيع الشريف ولها من العمر بضع وسبعون سنة[١] ..

فرحم الله تعالى ورضي عن السيدة صفية الصافية الطاهرة المجاهدة ، فقد كانت منارة عالية في التاريخ الإسلامي وسيرة حسنة للتضحية والجهاد في سبيل الله ونصرة دين الحق ..

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٢٧١) .

الصحابيّة

أروى بنت عبد المطلب

عمّة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

الصحابية

أروى بنت عبد المطلب

عمة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الطاهرة أروى ، المبايعة المهاجرة ، الشاعرة الفصيحة ، المآزرة ، المدافعة عن ابن أخيها المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام ..

أروى بنت عبد المطلب بن هاشم ، القرشية الهاشمية ..
عمة رسول الله ﷺ ..
وشقيقة أبيه عبد الله
والدة المجاهد طليب بن عمير بن وهب بن عبد مناف

نشأت أروى الطاهرة في بيت أبيها (عبد المطلب) سيد قريش وصاحب السؤدد والشرف ، وقد اكتسبت من عائلتها الشرف والبلاغة والفصاحة .. مما دفعها أن تتعلم الشعر ، وتنطقه .

فيوم توفي أبوها (عبد المطلب) رثته في قصيدة ، تقول فيها[1] :

بكتْ عيني وحقَّ لها البكاءُ ... على سمحٍ سجيّتُهُ الحياءُ
على سَهْلِ الخليقةِ أبطحيٌّ ... كريمِ الخِيمِ نيّتُه العلاءُ
على الفيّاضِ شَيْبَةَ ذي المَعالي ... أبيكِ الخَيرِ ليسَ له كِفاءُ
طويلِ الباعِ أملس شيظميٌّ ... أغرَّ كأنَّ غُرتَهُ ضياءُ[2]
أقبِّ الكشحِ أروعَ ذي فُضولٍ ... لهُ المجدُ المُعَدّمُ والسَّناءُ[3]
أبي الضَّيْمِ أبلَجَ هِبْرِزيٌّ ... قديمِ المجدِ ليس له خفاءُ
وَمعقلِ مالِكٍ وربيعِ فهْرٍ ... وفاصِلِها إذا التُمِسَ القضاءُ
وكان هو الفتى كرماً وجوداً ... وبأساً حين تَنسَكِبُ الدِّماءُ
إذا هاب الكُمَاةُ الموتَ حتى ... كأنّ قُلوبَ أكثرهم هَواءُ[4]
مَضَى قُدُماً بذي رُبَدٍ خَشِيبٍ ... عليهِ حينَ تُبْصِرُهُ البَهاءُ[5]

تزوجت السيدة أروى قبل إسلامها في الجاهلية من عمير بن وهب بن عبد مناف فولدت له (طليباً) ، وحين توفي عنها زوجها تزوجت من أرطأة بن شرحبيل بن هاشم فأنجبت منه فاطمة ..

ويذكر بأن ولدها (طليب) قد أسلم قبل أمه (أروى بنت عبد المطلب)

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١٧/١) .
(٢) الشيظم : القول الفصيح .
(٣) أقطب الكشح : ضامر البطن والخصر . أروع : صاحب الحسن والجمال والشجاعة .
(٤) الكماة : جمع (كمي) وهي الفارس الشجاع .
(٥) ربد خشيب : صقيل الفرند . *والبهاء*: ما يظهر من غبار أو سواه على سيف لامع .

بفترة بسيطة في دار الأرقم ، وقد دافع عن إسلامه بكل جهد وصبر ، وقد كان غيوراً عليه وعلى رسول الله ﷺ ، فيروى أن (طليباً) هو أول من دمى مشركاً في الإسلام بسبب دفاعه عن النبي ﷺ ، وذلك عندما سمع (عوف بن صبرة السهمي) يشتم النبي ﷺ ويتهجم عليه وسط صحبه ، فما كان منه إلا أن أخذ بعض من لحى جملٍ فضربه به ضرباً موجعاً على رأسه فشجه ..

فقيل لأمه أروى :

ـــ ألا ترين ما فعل ابنكِ يا بنة عبد المطلب .

فقالت :

إنَّ طُليباً نصَرَ ابنَ خالِهْ وَاسَاهُ في ذي دَمِهِ ومالِهْ[1]

وقد روى ابن سعد في طبقاته بإسناده عن أم دُرة عن برة بنت أبي تجرأة ، قالت[2] :

عرض أبو جهل وعِدَّة من كفار قريش للنبي ، فآذوه ، فعمد طُليب بن عمير أبو جهل فضربه ضربةً شجهُ !!.. فأخذوه وأوثقوه ، فقام دونه أبو لهب [أخو أروى لأمه] ، حتى خلاهُ .. فقيل لأروى :

ـــ ألا ترين ابنكِ طليباً قد صَيّرَ نفسه غرضاً دون محمد ؟..

فقالت أروى رضي الله عنها :

ـــ خيرُ أيامهِ يومَ يذُبُّ عن ابن خاله . وقد جاء بالحق من عند الله ..

---

(١) الإصابة لابن حجر (٥/٢٤٢) وطبقات ابن سعد (٨/٤٣) .

(٢) في طبقاته (٨/٤٣) .

فقالوا لها :

ــ وهل تبعت محمداً ؟

قالت : نعم .

فخرج بعضهم إلى أبي لهب فأخبروه ، فأقبل حتى دخل عليها ، فقال :

ــ عجباً لكِ ولاتباعكِ محمداً وتركك دين عبد المطلب ..

فقالت أروى :

قد كان ذلك .. فقم دون ابن أخيك واعضده وامنعه ، فإن يظهر أمره فأنت بالخيار أن تدخل معه أو تكون على دينك .. وأن يصب كنت قد أعذرت في ابن أخيك .

فقال أبو لهب :

ــ ولنا طاقة بالعرب قاطبةً ، جاء بدين محدثٍ .. فأبى أن يُسلم .

وكذلك روى لنا ابن سعد في طبقاته وبإسناده :

أن طليباً أسلم في دار الأرقم بن الأرقم المخزومي ، ثم خرج فدخل على أمه (أروى بنت عبد المطلب) ، فقال :

ــ تبعت محمداً ﷺ ، وأسلمتُ لله .

فقالت له أُمُّه :

ــ إن أحق من وزرت وعضدت ابن خالك ، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه ..

فقال طليب :

فما يمنعك يا أمي من أن تسلمي وتتبعيه ؟ فقد أسلم أخوكِ حمزة ،..

فقالت له :

ــ أنظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهن ..

فقال طليب :

ــ فإني أسألك بالله تعالى إلا أتيته ، فسلمت عليه وصدقته وشهدت أن لا إله إلا اللهوأن محمداً رسول الله .

ثم كانت بعد ذلك تعضدُ النبي ﷺ بلسانها ، وتحضُّ ابنها على نصرته والقيام بأمره ﷺ[1] ..

وهكذا عاشت الطاهرة أروى محافظة على دينها وإسلامها ودفاعها عن ابن أخيها رسول الله ﷺ تعاضده وتآزره في دعواه .

وقد ذكر لنا الحافظ الذهبي بأنه :

لم يُسَمعْ لها بذكر بعد إسلامها في مكة ، ولا وجدنا لها رواية[2].

وقد عثرنا لها في كتب المحدثين بأنها رثت رسول الله ﷺ بعد وفاته بقصيدة قد اقتبس منها الأبيات التالية [3] :

(١) الوافي الوافي للصفدي (٣٦٥/٨) والإصابة لابن حجر (١٠٩/١٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧٢/٢) .

(٣) من كتاب المئة الأوائل للنساء للأستاذ سليمان بواب /ص١٧٦/ . ولم أجد مصدرها في كتب السيرة . واللهأعلم .

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تكن جافياً
كأن على قلبي لذكر محمد وماجمعت بعد النبي المجاوبا

وقد توفيت السيدة أروى الطاهرة المؤمنة في السنة الخامسة عشرة للهجرة فرضي اللهعنها وأسكنها فسيح جناته[1] .

(١) نفس المصدر السابق .

الصحابيّة

عاتكة بنت عبد المطلب

عمّة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

الصحابية

عاتكة بنت عبد المطلب

عمة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الطاهرة عاتكة .. المؤمنة العاكفة ، صاحبة الرؤية الصادقة ، من كانت لابن أخيها رسول الله ﷺ .. مهاجرة ومبايعة ..

عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم .. القرشية الهاشمية .
عمة رسول الله ﷺ .
وشقيقة أبيه عبد الله ..

نشأت الطاهرة المبايعة عاتكة تحت ظل أبيها (عبد المطلب) سيد قريش وصاحب السؤدد والشرف .. وقد كانت مرهفة الحس كثيراً ، مما يجعلها متأثرة إلى حد كبير بما يحل بها من مصائب وفواجع ، فيدفعها ذلك إلى إنشاد الشعر

المعبر من عميق أساها .. وهذا ما نراه في قصيدتها التي ترثي بها أبيها (عبد المطلب) عندما توفي .. فأنشدت تقول[1] :

أعيـنيَّ جُـودا ولا تبخـلا بدَمعكُما بعدَ نَوم النيامْ
أعيـنَّي واسْحَنفرا واسكبا وشـوبا بُكاءَ كما بالتدامِ[2]
أعينَّي واستَخْرِطا واسْجُما على رجلٍ غيرِ نِكْسٍ كهامْ[3]
على الجحفَلِ الغَمْرِ في النائباتِ كريمِ المَساعي وفيِّ الذِّمامْ[4]
على شيبةِ الحمدِ واري الزنادِ وذي مَصْدَقٍ بعدُ ثبتِ المقامْ
وسيفٍ لدى الحَربِ صمصامةٍ ومُردي المُخاصِمَ عند الخِصامْ
وسهلِ الخليقةِ طلقِ اليدينِ وَفيٍّ عُدْ مُلِّيٍّ صَميمٍ لُهامْ[5]
تَنَبَّكَ في باذخٍ بَيْتُهُ رَفيعُ الذُّؤابةِ صَعبِ المَرامْ[6]

كانت الطاهرة عاتكة رضي الله عنها متزوجة في الجاهلية من أبي أمية بن المغيرة وهو والد أم سلمة زوج النبي ﷺ .. فولدت له عاتكة (عبد الله ، وزهير وغيرهما) .

أما عبد الله ولدها فلم يُسلم .. وأما زهير فقد كان ممن سعى في نقض الصحيفة التي قاطعت قريشاً بها رسول الله ﷺ .. وقد أسلم وحسن إسلامه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٧١) .
(٢) واسحنفرا : كثر صبه .. بالتدام : لطم النساء للوجه أثناء النياحة .
(٣) استخرطا : الخطاب لعينيها تحثهم على البكاء والج فيهما . الكهم : الرجل المسن . نكس كهام : ليس ضعيف ولا قوي .
(٤) الجحفل الغمر : الرجل الكريم والسيد العظيم . النائبات : المصائب .
(٥) عدملي : الرجل الضخم . صَميمٍ لهام : كثير الخير والعطاء .
(٦) تنبَّكَ : تأصل وتمكن من الشيء .

وكان للرسول ﷺ اليد المساعدة والحامية له ، رضي الله عنه ..

وقد أسلمت الطاهرة عاتكة في مكة مع من أسلمن من المبايعات وهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ..

وفيما تذكر كتب السيرة عنها ، بأنها قد رأت رؤية صدقها الله تعالى فيها .. وقد تحققت رؤياها .. وذلك في هزيمة قريش في غزوة بدر .. وهي تروي لنا :

عن ابن إسحاق قال[1] :

سمعت عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، قالوا :

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له :

ــ يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك به ..

فقال لها العباس :

ــ وما رأيتِ ؟

قالت :

ــ رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لغدر[2] لمصارعكم في ثلاث (صرخ بها ثلاث

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٦٠٧ ــ ٦٠٨) .

(٢) يا لغدر : وهي يا آل غدر وهي بضم الغين والدال (جمع غدور) والقصد بها التحريض والنفور ، أي إن تخلفتم فأنتم غدر لقومكم .

مرات) ، فأرى الناس اجتمعوا عليه ، ثم دخلَ المسجدَ والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ثلاثاً : ألا انفروا يا آل غُدْرٍ إلى مصارعكم ، في ثلاث : ثم مثل به بعيره على رأس جبل ــ أبي قبيس ــ فصرخ بمثلها ثلاثاً ، ثم أخذ صخرة من جبل أبي قبيس فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفلِ الجبل تفتت جميعها ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ، ولا دارٌ من دورها إلا دخلتها منها فلقة ، (ولم يدخل داراً ولا بيتاً من بيوت بني هاشم ولا بني زهرة من تلك الصخرة شيء)[1] ..

فقال أخوها العباس :

ــ والله إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ، ولا تذكريها لأحد .

ثم خرج العباس ، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقاً له ، فذكرها له ، واستكتمه إياها .. فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، فَفشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قريش في أنديتها ..

ومما جرى بين أبي جهل والعباس بسبب الرؤيا ، يقول العباس :

ــ فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل ، قال :

ــ يا أبا الفضل : إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا .

فلما فرغت .. أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل :

---

(١) هذه من رواية ابن سعد في طبقاته (٨/٤٣) .

ـــ يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبيَّة ؟..

ـــ وما ذاك ؟..

ـــ تلك الرؤيا التي رأت عاتكة .

فقال العباس وقد تجاهل حديث أبي جهل .

ـــ وما رأت عاتكة ؟.

فقال أبو جهل :

ـــ يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالُكم حتى تتنبأ نساؤكم ، قد زعمت عاتكةُ في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإنْ يكُ حقاً ما تقولُ فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهل بيت في العرب ..

يقول العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جحدتُ ذلك .. وأنكرت أن تكون رأت شيئاً .. ثم تفرقنا .

ويتابع العباس حديثه قائلاً :

ولما أمسيت ، لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني .. فقالت :

ـــ أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرٌ ـــ أي تغيير وإنكار ـــ لشيء مما سمعت .

فقال العباس :

ـــ قد والله فعلتُ .. ما كان مني إليه من كبير . وايمُ الله لأتعرض له ، فإن عاد لأكفيكُنَّهُ .

قال العباس : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديدٌ

مغضبٌ أرى أني قد فاتني منه أمر أحبُّ أن أدركه منه !.. فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إني لأمشي نحوه ، أتعرض ، ليعود لبعض ما قال فأقع به .. وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر ، فما أن رآني إذ خرج يشتد نحو الباب .. فقلت في نفسي : ماله لعنهُ ؟ أكلُّ هذا فرق مني ــ أي خوفٌ مني ــ ؟.. وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي ، واقفاً على بعيره ، قد جَدَعَ بعيره ــ أي قطع أنف بعيره ــ وحوله رَحلهُ ، وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش .. اللطيمة اللطيمة !.. أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد ﷺ في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها !.. الغوث الغوث !..

قال العباس : فشغلني عنه ، وشغله عني ما قد جاء من الأمر ..

وبذلك يتحقق بإرادة الله تعالى رؤيا عاتكة الصادقة رضي الله عنها .. وتكون معركة بدر ليساق على أثرها أشرافُ قريش الكفار إلى مصارعهم في أرض بدر .. ويكون على رأسهم أبو جهل الذي قتله اللهتعالى على يد أصحاب رسول الله ﷺ ..

ونتيجة لصدق رؤيا عاتكة وانتصار المسلمين في بدر فقد زاد الله في قلبها حبا لدينها ولله ورسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، فما كان منها بعد أن رأت جيوش كفار قريش تعود منهزمة حتى جهزت نفسها للهجرة إلى رسول الله ﷺ والإقامة في دار الهجرة بالمدينة المنورة[1] .

ولم تذكر كتب السيرة والتراجم بعد ذلك عنها أو عن وفاتها في أي عام .

---

(١) الإصابة لابن حجر (٣٦/١٣) وطبقات ابن سعد (٤٣/٨) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧٢/٢) .

نساء حول الرسول

رضي الله عنهن

وهل تزني الحرة...؟

«هند بنت عتبة»

صحابيات فاضلات

حول

رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الصحابيّة

أمّ الفضل

رضي الله عنها

زوجة العبّاس عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم

قاتلة أبي لهب

الصحابية

أم الفضل

رضي الله عنها

زوجة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم

ما ولدت نجيبة من فحل بجبل نعلمه وسهل
كستة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل(1)

أم الفضل .. المؤمنة الصالحة .. التوابة القوامة .. ابنة أكرم الناس أصهاراً .. ووالدة للرجال الستة الأطهار ..

هي : لبابة بنت الحارث ، بن حزن ، بن بجير ، الهلالية ..

وأمها : أم لبابة ، خولة بنت عوف القرشية ، أكرم الناس أصهاراً ..

فقد تزوج رسول الله ﷺ من ابنتها ميمونة رضي الله عنها ..

(1) هذه الأبيات لعبد الله بن يزيد الهلالي . راجع الطبقات لابن سعد (٢٧٧/٨) والاستيعاب في ترجمتها .

وتزوج العباس عم النبي ﷺ من ابنتها الثانية أم الفضل (لبابة الكبرى).

وتزوج حمزة رضي الله عنه من سلمى ..

وتزوج جعفر من أسماء .. ثم تزوجها من بعده أبو بكر الصديق .. ثم تزوجها من بعده علي بن أبي طالب .

وأم الفضل : أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها زوج النبي ﷺ[1] ..

تزوجت أم الفضل رضي الله عنها من العباس عمّ النبي ﷺ ، وقد أنجبت له ذرية صالحة مؤلفة من ستة رجال نجباء لم تلد امرأة مثلهم وهم : الفضل ، وعبد الله الفقيه ، وعبيد اللهالفقيه ، ومعبد ، وقثم ، وعبد الرحمن .

أسلمت أم الفضل رضي الله عنها قبْل الهجرة ، ويقال أنها أول امرأة أسلمت بعد الطاهرة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها .. فحسن إسلامها .. ودافعت عنه بكل صبر ، وتحملت بذلك العذاب المرير .. فكان يقول ابنها عبد الله :

ــ كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان[2] .

وكانت رضي الله عنها من علية قومها وسيدة نسائها .. فكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يودها ويزورها ويقيل عندها في بيتها بعض الوقت[3] ..

---

(١) الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر (٨/٢٢٦ ــ ٢٦٧) ، وطبقات ابن سعد (٨/٢٧٨) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في تفسير سورة النساء ، باب (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ...) (٥/١٨١) ، وأخرجه البخاري أيضاً عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا : (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) ، قال : كنت أنا وأمي ممن غدر الله ..

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٢٧٨) .

وكان يميز أم الفضل رضي الله عنها عن غيرها من النسوة شجاعتها في إيمانها ودفاعها عن دعوة رسول الله ﷺ .. فهي التي قضت على أبي لهب عدو الله وعدو رسول الله ، وقتلته ..

فقد أخرج ابن إسحاق عن عكرمة قال : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ :

ــ كنت غلاماً للعباس ، وكان الإسلام فأسلم العباس سراً ، وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ ، وكان العباس يهاب قومه .

وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا يصنعون، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً .

فلما جاء الخبر من مصاب أصحاب بدر من قريش كتبه الله وأخزاه ، فوجدنا في أنفسنا قوة وعزة .. قال :

ــ وكنت رجلاً ضعيفاً ، أعمل الأقداح .. أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس وعندي أم الفضل جالسة ، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس . فبينما هو جالس .. إذ قال الناس :

ــ هذا أبو سفيان بن الحارث ، قد قدم .

قال : فقال أبو لهب :

ــ هلمَّ إليَّ ، فعندك لعمري الخبر .

قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال :

ــ يا ابن أخي : أخبرني كيف كان أمر الناس ؟.

فقال أبو سفيان :

ــ والله ما هو إلا أن لقينا القوم حتى منحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويأسروننا كيف شاؤوا ..! وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين الناس والأرض والله لا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع :

ــ فرفعت طنب الحجرة بيدي ، ثم قلت :

تلك والله الملائكة .

فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة فثاورته ، فاحتملني وضرب بي الأرض ، ثم برك عليَّ يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عُمدِ الحجرة ، فأخذته فضربته به ضربة فلعت في رأسه شجة منكرة ، وقالت :

ــ استضعفته أن غاب عنه سيده ؟..

فقام أبو لهب مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته[1] ..

ومما يذكر أنه قد تركه أبناؤه بعد موته ثلاثاً ما دفنوه حتى أنتن ، وكانت قريش تتقي العدسة كما تتقي الطاعون ، حتى قال لهم رجل من قريش :

ــ ويحكما ألا تستحيان أن أباكم قد أنتن في بيته لا تدفنانه ؟..

فقالا :

ــ إنا نخشى عدوة هذه القرحة ..

فقال لهما :

---

(١) انظر حياة الصحابة (٢٨٧/٤) .

ـــ انطلقا فأنا أعينكما عليه .

فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء ما يدنون منه ، ثم حفروا له حفرة ودفعوه بعود في حفرته ، ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه !!..

وهذه نهاية كل من يتبجح في عداوته لله ولرسوله فقد ضل أبو لهب كثيراً وعادى رسول الله ﷺ وصحبه وآذاهم .. فقد صدق قول الله عز وجل :

﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

فيا لفخر التاريخ الإسلامي بأم الفضل رضوان الله عليها ، المرأة الشجاعة المؤمنة ، التي انتقمت من عدو الله ورسوله فداست كبرياءه ، ومرغت كرامته بالوحل ..

وذكر لنا ابن سعد في طبقاته الكبرى أن أم الفضل رضي الله عنها رأت ذات يوم في منامها حلماً عجيباً .. فذهبت إلى رسول الله ﷺ تذكر له منامها بعد أن ترددت كثيراً في ذكره ، فقالت له :

ـــ يا رسول الله .. رأيت فيما يرى النائم ، كأن عضواً من أعضائك في بيتي !!..

فقال لها رسول الله ﷺ :

ـــ « ***خيراً رأيت ، تلد فاطمة غلاماً وترضعينه بلبان ابنكِ (قثم)*** » .

وتحمل أم الفضل هذه البشرى العظيمة من رسول الله ﷺ .. فما هي إلا فترة وجيزة حتى ولدت فاطمة الزهراء (الحسين بن علي) رضي الله عنه .. فأخذته أم الفضل وأرضعته من لبنها ، وصدقت رؤياها وما بشرها به النبي ﷺ ..

تقول أم الفضل :

ـــ فأتيت به رسول الله ﷺ .. فهو ينزيه ويقبله ، إذ بال على رسول الله ﷺ . فقال ﷺ :

ـــ « ***يا أم الفضل أمسكي ابني فقد بال عليّ*** » .

قالت : فأخذته فقرصته قرصة بكى منها .. وقلت :

ـــ آذيت رسول الله .. بِلْتَ عليه ، فلما بكى الصبي ، قال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***يا أم الفضل آذيتني في بني أبكيته*** » .

ثم دعا رسول الله ﷺ بماء فحدره حدراً ، ثم قال :

ـــ « ***إذا كان غلاماً فاحدروهُ حدراً ، وإذا كانت جارية فاغسلوهُ غَسْلاً*** » .

وفي رواية :

قالت أم الفضل لرسول الله ﷺ :

ـــ اخلع إزارك والبس ثوباً غيره كيما أغسله .

فقال ﷺ :

ـــ « *إنما يُغْسَلُ من بول أنثى ويُنْضَحُ من بولِ الذكر* »[1] .

وكانت أم الفضل رضي الله عنها بحكمتها العظيمة .. تساعد المسلمين في زيل بعض الالتباسات الدنيوية عنهم ..

ومما يذكر أنها حين كَثُرَ التساؤل بين المسلمين في يوم عرفة بأنه هل رسول الله ﷺ صائم أم مفطر ؟ فاستدعت مباشرة أحد أولادها ، وبعثت معه كأساً من اللبن إلى النبي ﷺ وهو بعرفة ، فشربه رسول الله ﷺ ، وعلى مرأى من الناس كلهم ، فعرف الناس أنه لم يكن صائماً[2] ..

وهذا إن دلنا على شيء فإنما يدل على كبر عقلها .. ووافر إدراكها .. حيث سعت لإزالة الشكوك بصيام عرفة بين المسلمين ..

ومن فضل اللهوكرمه على أم الفضل أنه قد روي عن زيد بن علي بن حسين أنه قال :

ـــ ما وضع رسول الله رأسه في حُجر امرأة ، ولا تحلُّ له بعد النبوة إلا (أم الفضل) ، فإنها كانت تُفَلِّيه وتحكّهُ ، فبينما هي ذات يوم تحكه إذ قطرت قطرةٌ من عينها على خده فرفع رأسه إليها ، وقال :

ـــ « **مالك** » ...

فقالت :

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد (٢٧٩/٨) والإصابة (٢٦٧/٨) ، والحديث عن أبي داوود في الطهارة ، باب بول الصبي يصيب الثوب برقم /٣٧٥/ . وهو حديث حسن . وأخرجه أحمد في مسنده (٣٣٩/٦) .

(٢) الإصابة لابن حجر (٢٢٦/٨) .

ـــ إن الله نعاك لنا فلو أوصيت بنا من يكون بعدكَ إن كان الأمر فينا أو في غيرنا !!..

فقال صلوات الله وسلامه عليه :

ـــ « ***إنكم مقهورون مستضعفون بعدي*** »[1] .

وإلى جانب هذه المآثر الكثيرة في حياة الصحابية الجليلة أم الفضل رضي الله عنها .. فقد تلقت الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ فروت لنا ما يقارب الثلاثين حديثاً عن النبي ﷺ ، وروى عنها ولدها عبد الله بن العباس حبر الأمة والإسلام رضي الله عنه ، ومولاها تمام ، وأنس بن مالك .. وغيرهم من الصحابة الكرام ..

وتوفيت الصحابية الفاضلة أم الفضل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[2] ، بعد أن كانت مثالاً للأم الصالحة المؤمنة الشجاعة ، وصلى عليها زوجها العباس والصحابة الكرام ، وبعدها توارت في مثواها الأخير .. راضية مرضية ، رضي الله عنها .. وأرضاها وأسكنها فسيح جنانه التي بشرها بها رسول الله ﷺ حين قال :

ـــ « ***إن الأخوات لمؤمنات*** » .

(١) طبقات ابن سعد (٨/٢٧٨) .

(٢) الإصابة لابن حجر (٨/٢٦٦) .

الصحابيّة

أسماء بنت أبي بكر

رضي الله عنها

ذات النطاقين

الصحابيّة

أسماء بنت أبي بكر

رضي الله عنها

ذات النطاقين

ـــ.. لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى المدينة ، صنعت سفرته في بيت أبي بكر ، فقال أبو بكر : ابغيني معلاقاً لسفرة رسول الله ﷺ وعصاماً لقربته ، فقلت : ما أجد إلا نطاقي ، قال : فهاتيه . قالت : فقطعته باثنين ، فجعل إحداهما للسفرة والأخرى للقربة ، فلذلك سميت ذات النطاقين ..

وقال رسول الله ﷺ :

ـــ « أبدلك الله بنطاقِكِ هذا نطاقين في الجنة » ..

الصادقة الصابرة ، التوابة الذاكرة .. الشاقة نطاقها لسفرة رسول الله ﷺ ..

أسماء بنت أبي بكر : صاحبة المكانة الرفيعة ، وعزة النفس والشجاعة الفائقة ، الشاعرة الناثرة ، ذات منطق وبيان فصيح ..

أسماء بنت أبي بكر القرشية التيمية .

بنت المسلم الأول بعد رسول الله ﷺ ، شيخ الإسلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،وأمها قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر .. العامرية ..

وأم الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

واخت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي اللهعنها .

وأسماء بنت أبي بكر آخر المهاجرات وفاةً .

أسلمت أسماء بنت الصديق بعد إسلام سبعة عشرة إنساناً قد أنار الله قلوبهم بالإيمان ، وبايعت النبي ﷺ وآمنت بالله وسنة رسوله الأعظم صلوات الله عليه إيماناً قوياً ..

ومن حسن إسلامها أن أمها (قتيلة) قد طلقها والدها الصديق في الجاهلية ، فيذكر أن (قتيلة) قدمت على ابنتها أسماء بنت الصديق ذات يوم لزيارتها ، تحمل لها هدية وكانت قتيلة راغبة عن الإسلام على دين قومها ، وكان معها ابنها الحارث بن المدرك بن عمر بن مخزوم ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها حتى تسأل رسول الله ﷺ ، فسألته ، فأنزل الله عز وجل على نبيه الكريم :

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

فأدخلتها أسماء بنت الصديق وقبلت هديتها .. بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ـ « *نعم صِلِي أمك* »(١) .

ولقد شهدت ذات النطاقين عهدي ما قبل البعثة وما بعدها .. وعاشت أحداثها يوماً بعد يوم .. فقد كانت ابنة الصديق صاحب ورفيق وملازم رسول الله ﷺ الذي كان له شرف السبق إلى الإسلام وتصديق الرسول الكريم في دعوته ..

فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه الداعية الأكبر بعد رسول الله ﷺ وشيخ الإسلام الأول ، وكان لجهوده العظيمة في الدعوة لدين الإسلام ، ومقدرته العظيمة على الإقناع الفضل في هداية وإسلام كثير من الصحابة منهم عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن الزبير وغيرهم كثر .. فيما عدا آل بيته الكرام الذي ابتدأ دعوته فيهم فآمنت زوجته أم رومان رضي الله عنها وكذلك بناته(٢) .

وكان لأسماء الدور الكبير في مساعدة أبيها ومشاركته بأعباء الدعوة الإسلامية إلى الله تعالى ، ونصرة رسوله الكريم ﷺ .

وقد كان للنبي ﷺ الثقة الكبيرة في أبي بكر الصديق وابنتيه أسماء وعائشة وذلك حين أطلعهم على سرِّ الهجرة التي أذن الله تعالى بها لرسوله الكريم صلوات الله عليه .

---

(١) أخرجه البخاري في الهبة ، باب الهدية للمشركين ، وقول الله تعالى : ﴿ لاينهاكم اللهعن الذين يقاتلونكم في الدين ... ﴾ برقم (١٤٢/٣)، وأخرجه مسلم في الزكاة برقم (١٠٠٣) .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢٥٠/١) .

تقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها[1] :

ـــ كان لايخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرةً، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أُذِنَ فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه ؛ أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة ، في ساعةٍ كان لايأتي فيها !!..

فلما رآه أبو بكر قال :

ـــ ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمرٍ حدث .. فلما دخل ﷺ تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ :

ـــ *« أخرجْ عني مَن عندك »* .

فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إنما هما أهلك ، وما ذاك ؟.. فداك أبي وأمي .

فقال ﷺ :

ـــ *« إن الله قد أذِنَ لي في الخروج والهجرة »* .

فقال أبو بكر :

ـــ الصحبة يا رسول الله !!..

قال رسول الله ﷺ :

ـــ *« الصحبة »* !..

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٤٨٤ ـــ ٤٨٥) .

تقول السيدة عائشة رضي اللهعنها :

ــ فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أنَّ أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ[1] ..

وكانت هجرة الرسول الكريم صلوات الله عليه بصحبة الصديق رضي الله عنه إلى أن وصلا إلى غارٍ بجبل الثور ، فدخلاه ..

وكان لأسماء وأخيها عبد الله الدور الكبير في إيصال المعلومات والمؤن كل ليلة.. فكانا يذهبان إلى الغار كل ليلة.. أما عبد الله فكان يزود رسول الله ﷺ بالأخبار عن قريش وتحركاتهم ، وأما أسماء فكانت تزوده ﷺ وأباها بالطعام والشراب ..

تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها[2] :

ــ لما خرج رسول الله ﷺ ، أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم . فقالوا :

ــ أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟

فقالت أسماء :

ــ لا أدري والله أين أبي .

فقالت : رفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدي لطمة خرَّ منها قرطي .

قالت : ثم انصرفوا ، فمضى ثلاث ليال ما ندري أين توجه رسول الله

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤٨٤/١ ــ ٤٨٥) .

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣٨/٥ــ ١٣٩) .

ﷺ . إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغني بأبيات شعر غنى بها العرب ، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ولا يرونه . حتى خرج بأعلى مكة ينشد :

جزى الله ربُّ الناسِ خير جزائِه رفيقــين قالا خيمتي أُمِّ مَعْبَدِ
هما نزلاهما بالهدى واغتدوا بهِ فـأفـلح من أمسى رفيق محمدٍ
لِيَهْنِ بني كعب مكـانُ فتاتِهم ومقعُدهما للمؤمنينِ بمرصدِ[1]

قالت أسماء رضي الله عنها :

ــ فلما سمعنا قوله ، عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ ، وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أريقط دليلهما .

ــ ولما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة معه أبو بكر ، حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف ، فأتاني جدي أبو قحافة ، وقد ذهب بعيره . فقال :

ــ إن هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه .

فقلت : كلا يا أبه ! قد ترك لنا خيراً كثيراً ، فعمدت إلى حجارة فجعلتهن في كوةٍ في البيت ، كان أبو بكر يجعل ماله فيها ، وغطيت على الأحجار بثوب ثم جئت به ، فأخذت يده فوضعتها على الثوب ، فقلت : ترك لنا هذا .. فجعل يتلمس الحجارة من وراء الثوب ، فقال :

---

(١) الأبيات من سيرة ابن هشام (١٣٢/٢) وروايته : « رفيقين حلا خيمتي أم معبد »و« هما نزلا بالبر ثم تروحا » .

ـ أما إذا ترك لكم هذا فنعم ،..

لا والله ما ترك لنا إلا قليلاً[1] ..

وهكذا نرى بأن السيدة أسماء بنت أبي بكر قد تعرضت للأذى والاضطهاد والعذاب من قبل قريش والكفار جمعاً وذلك في سبيل التستر على هجرة رسول الله ﷺ ومن كان معه .

وكذلك بحكمتها العظيمة استطاعت أن تقنع جدها بأن أباها قد ترك لها المال الوفير ، في سبيل العيش دون أن يشعر بأي شيء .

تزوجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها من الزبير بن العوام في مكة .. وقد أقامت معه على كفاف العيش ، وفي هذا تروي لنا قائلة[2] :

ـ تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه ، قالت فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته ، وأسوسه ، وأدقُّ النوى الناضحة وأعلفه[3] . وأستقي الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن . ولم أكن أحسن أخبز ، فكان يخبز لي جارات من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير الذي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ . قالت :

ـ فجئت يوماً والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الصحابة ، فدعاني فقال ﷺ :

---

(١) تاريخ مختصر دمشق لابن عساكر (١٣٩/٥) ، والسيرة النبوية الهشامية (٤٨٨/١) . ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٨٨/٢) حيث أشار الشيخ شعيب الأرناؤوط إلى صحة الإسناد هناك .

(٢) الإصابة لابن حجر (١١٤/١٢) ، ومختصر تاريخ دمشق (١٤٠/٥) .

(٣) الناضح : الدابة أو الثور الذي يستقي عليه الماء .

ـ « إخ إخ »[1] .

ليحملني خلفه ، قالت : فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت غيرة الزبير .. وكان أغير الناس .

فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى ..

فجئتُ الزبير وقلت له :

ـ لقيني رسـول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ، ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب فاستحييت وعرفت غيرتك .

فقال الزبير :

ـ والله لحملك النوى كان أشدَّ عليَّ من ركوبك معه ،

قالت : حتى أرسـل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادمٍ فكفـاني سياسـة الفرس ، فكأنما أعتقني[2] ..

وعن عكرمة :

أن أسماء كانت تحت الزبير بن العوام وكان شديداً عليها ، فأتت أباها ، فشكت ذلك إليه ، فقال :

ـ يا بنية اصبري ، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ، ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة[3] .

ولم تمضِ فترة طويلة على هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة مع أصحابه ،

---

(١) قوله إخْ إخْ : إركبي إركبي .

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٢٥٠ ـ ٢٥١) وحلية الأولياء (٢/٥٦) وأخرجه البخاري باب الغيرة في النكاح (٦/١٥٦) ومسلم في السلام رقم (٢١٨٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/٢٥٠ ـ ٢٥١) ، مختصر تاريخ دمشق (٥/١٤٠) .

حتى لحقت أسماء بموكب الهجرة ، وهناك وضعت ابنها عبد الله بن الزبير ، وكان أول مولود في الإسلام بعد الهجرة .

وقد سجلت لنا ذات النطاقين نموذجاً حياً طيباً في الصبر على شظف الحياة والحرمان الشديد ، وكذلك الحرص على طاعة الزوج والتحري في مرضاته . إلى أن أذن الله تعالى لهذا الصبر بالنتيجة ، فكانت العاقبة أن أكرمها الله تعالى وزوجها بالنعم والغنى ، لكنها لم تبطر بما آتاها الله من غنى في المال والنفس . بل كانت سخية كريمة لا تدخر شيئاً لغد ، فكانت إذا مرضت تنتظر حتى تنشط فتعتق كل مملوك لها ، وتقول لبناتها وأهلها :

ـــ أنفقوا وتصدقوا ولا تنتظروا الفضل[1] ..

وبقيت أسماء رضي اللهعنها ملتزمة وصية أبيها في الصبر إلى أن كبر ابنها عبد الله بن الزبير ، وأصبح شاباً يافعاً يدافع عن دين الحق والإسلام ، ويدافع عن أمه الطاهرة من كل شائبة ..

ففي يوم نشب خلاف بين أسماء وزوجها الزبير فضربها فصاحت لابنها عبد الله ، فأقبل إليها .. فلما رآه أبوه قادماً يدافع عن أمه قال له :

ـــ أمُّكَ طالق إن دخلتَ ؟..

فقال عبد الله :

ـــ أتجعل أمي عرضة ليمينكَ ..

فدخل .. فخلصها منه .. فبانت منه ..

(١) طبقات ابن سعد (٨/٢٥١ ...) .

وفي رواية : أن عبد الله قال لأبيه : مثلي لا تُوطأُ أُمُّهَ !.. فطلقها[1] ..

وأقامت رضي الله عنها ذات النطاقين عند أبنها عبد الله بن الزبير معززةً مكرمةً .. تحت أنظار رسول الله ﷺ يرعاها ويعطف عليها من علمه ودينه .. ولا ينساها من دعواته المباركة ، وذلك أنها أصيبت في يوم بورم في عنقها .. فجعل النبي ﷺ يمسحها ويقول :

ـ « ***اللهم عافها من فُحشِهِ وأذاهُ*** »[2] .. فشفيت بإذن الله .

وتمر السنون بالمؤمنة أسماء ذات النطاقين لتشهد موت رسول الله ﷺ وموت أبيها الصديق ، وهي لاتزال تعيش مع ولدها .. صائل الحق وقائل الصدق ، المحنك بريق النبوة ، صاحب السيف الصارم والرأي الحازم .. عبد الله ابن الزبير وهي لاتزال تعلمه من فيض النبوة التي أخذته عن رسول الله ﷺ وترعاه برعاية الأم المؤمنة الشجاعة التي لاتخشى في الله لومة لائم إلى أن كانت الفجيعة الكبرى بموت ولدها ..

فعن هشام بن عروة قال :

أن يزيد بن معاوية كتب إلى عبد الله بن الزبير ، أني قد بعثت بسلسلة من فضة وقيدين من ذهب ، وجامعة من فضة ، وحلفت باللهلتأتيني في ذلك ، فألقى عبد الله بن الزبير الكتاب ولم يمتثل لطاعته .. وكان يزيد بن معاوية قد تسلم زمام الحكم بعد أبيه معاوية ، فتثاقل عبد الله عن طاعته وأظهر عداوته له ، فبلغ ذلك يوماً يزيد بن معاوية فأقسم لا يؤتى به إلا مغلولاً وإلا أرسل إليه .

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٥/٢٩٢) .

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٢٥١) .

فقيل لعبد الله بن الزبير ألا نصنع لك غلاً من فضة تلبس عليه الثوب وتبر قسمه فالصلح أجمل بك ..

ـــ قال : لا أبر والله قسمه ، ثم قال :

ولا ألين لغـــير الحق أســـأله حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم قال :

ـــ والله لضربة بسيف في عز أحبُّ إليَّ من ضربة بسوط في ذل .

ثم دعا إلى نفســه وأظهر الخلاف ليزيد بن معـاوية .. فبعث إليه يزيد (حصين بن نمير الكندي) وقال له :

ـــ يا ابن برذعة الحمار !!.. احذر خدائع قريش ولا تعاملهم إلا بالنفاق ثم القطاف ،.. فورد حصين مكة فقاتل بها ابن الزبير وأحرق الكعبة ، ثم بلغه موت يزيد بن معاوية فهرب .

ولما مات يزيد بن معاوية دعا مروان بن الحكم إلى نفسه ، ثم قال : مات مروان فدعا عبد الملك إلى نفسه ، فعقد الحجاج في جيش إلى مكة .. وعندما وصل مكة نصب على جبل أبي قبيس المنجنيق يرمي به ابن الزبير ومن معه في المسجد ..

فخـرج ابن الزبير يستشـير أمه ذات النطـاقين بالأمر الذي عقد عليـه الحجـاج ، وهي يومئذ ابنة مائة سنة ، لم يسقط لها سن ولم يفسد لها بصر . فقالت :

ـــ يا عبد الله ما فعلت في حربك ؟.

قال : بلغوا مكان كذا وكذا .. وضحك وقال : إن في الموت لراحة ..

فقالت أسماء رضي اللهعنها :

ـــ يا بني لعلك تتمناه لي ، ما أحب أن أموت حتى آتي في أحد طرفيك ، إما أن تملك فتقر بذلك عيني ، وإما أن تقتل فأحتسبك .. ثم ودعها ، فقالت :

ـــ يا بني إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل .

وخرج عنها ، فدخل المسجد .. فقيل له : ألا تكلمهم في الصلح ؟.. فقال : أو حين صلح ؛ هذا والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم ، ثم أنشأ يقول :

ولست بمبتـــاع الحيـــاة بـــذلة ولا مرتق من خشية الموت سلما

وبقي عبد الله بن الزبير يقاتل في المسجد حتى قتل ..

يقول ابن إسحاق :

ـــ أنا حاضر قتل الزبير يوم قتل في المسجد الحرام ، جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد .. فكلما دخل قوم من باب حمل عليهم وحده حتى يخرجهـــم ، فبينما هو على تلك الحالة إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد .. فوقعت على رأســـه فصرعتـــه وهو يتمثل بهذه الأبيات ، يقول :

أسمـــاء إن قتـــلتُ لا تبـكـــي
لم يبـــقَ إلا حسبـــي وديـــني
وصـــــارم لأنتِ بـــه يميـــني

وقتل عبد الله بن الزبير وهو يتمثل أمام عينيه قول أمه ذات النطاقين عندما جاء يقول لها :

ـــ يا أُمه .. إنني أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني .

فأجابته أمه رضي الله عنها :

ـــ يا بني إن الشاة لا تتألم بالسلخ بعد الذبح ، فامض على بصيرتك واستعن بالله ..

ودخل الحجاج بن يوسف عليها بعد أن قتل ولدها .. وصلبه على باب المدينة ، فقال لها :

ـــ يا أُمَّه .. إن أمير المؤمنين أوصاني بكِ .. فهل لكِ من حاجة ؟..

فقالت له أسماء رضي الله عنها :

ـــ لست لك بأم ، لكني أم المصلوب على رأس الثنية ، ومالي من حاجة ، ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله ﷺ ، إني سمعته يقول :

ـــ « *يخرج من ثقيف كذاب ومبير* ».. فأما الكذاب فقد رأيناه ـــ تعني المختار ـــ وأما المبير : فأنت .

فقال لها الحجاج : مبير المنافقين .

وقد روى يعلى التيمي ، قال :

ـــ دخلت مكة بعد أن قتل ابن الزبير ، فرأيته مصلوباً ، ورأيت أمه أسماء عجوزاً طوالة مكفوفة .. فدخلت حتى وقفت على الحجاج .. فقالت :

ـــ أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟.. وفي وراية أما آن لهذا الفارس أن يترجل ..

فقال الحجاج : المنافق ؟..

ـــ قالت : واللهما كان منافقاً .. وقد كان صواماً قواماً ..

فقال الحجاج :

ـــ إذهبي !! فإنك عجوز قد خرفت..

فقالت له أسماء : لا واللهما خرفت ..

ودخل ابن عمر المسجد ، بعد أن صلب ابن الزبير .. فقيل له أن أسماء ابنت أبي بكر في ناحية المسجد فذهب إليها ، وقال :

ـــ إن هذه الجثث ليست بشـيء ، وأمـا الأرواح عند الله ، فاتقي الله وعليك بالصبر .

فقالت له :

ـــ ومـا يمنعـني وقد أهدي رأسـي يحيى بن زكريا إلى بغي من بغـايا بني إسرائيل .

وقال ابن أبي مليكة :

ـــ دخلت على أسماء بعدما أصيب ابن الزبير .. فقالت :

ـــ بلغني أن الرجل صلب عبد الله ولدي .. اللهم لا تمتني حتى أولي به فأحنطه وأكفنه ..

وعندما أمر الحجاج مسرف القتل ، وقاتل التابعين ، وعلى رأسهم سعيد بن جبير بإنزال عبد الله بن الزبير وتسليمه لأمه ، أخذت أمه جثمانه وراحت تحنطه بيدها وتكفنه بعدما ذهب بصرها .. وكذلك صلت عليه وقد شيعته إلى مثواه الأخير ..

ولم يمض على الطاهرة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين بضعة أيام بعد دفن ولدها حتى سلمت روحها الطاهرة للباري عز وجل بعد أن أوصت تقول :

ــ إذا أنا متُّ فأغسلوني وكفنوني وحنطوني ولا تذروا على كفني حنوطاً ، ولا تدفنوني ليلاً .. ولا تتبعوني بنار ..

فرحم الله الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ورضي الله تعالى عنهما وأسكنها فسيح جنانه ...

الصحابية

أسماء بنت عميس

رضي الله عنها

صاحبة الهجرتين

الصحابيّة

أسماء بنت عميس

رضي الله عنها

صاحبة الهجرتين

الحاصلة على وسام الإيمان من رسول الله ﷺ حين قال :

ـ « ***الأخوات الأربع مؤمنات : ميمونة ، وأم الفضل ، وسلمى ، وأسماء*** » .

ودخل رسول الله ﷺ على أسماء فقال لها :

ـ « ***يا أسماء !!.. أين بنو جعفر*** » ؟

وجاءت بهم إليه ، فضمَّهم وشمَّهم ؟ ثم ذرفت عيناهُ بالدموع وهو يبكي بكاءً شديداً .. فقد قتل جعفر ذو الجناحين ...

أسماء بنت عميس .. العالمة العاقلة ، الصابرة المتعبدة ، صاحبة البصيرة في تأويل الرؤيا ..

أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك ..
الخثعمية .. إحدى الأخوات الأربع المؤمنات اللائي حصلن على
وسام الإيمان من رسول الله ﷺ . وتكنى بأم عبد الله ..
زوجة جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين وابن عم الرسول ﷺ .
تزوجت من أبي بكر الصديق رضي الله عنه شيخ الإسلام .
وكذلك تزوجت من ربيب رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه بعد وفاة فاطمة الزهراء .

صاحبة الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة بصحبة زوجها جعفر بن أبي
طالب رضي الله عنه .

أسلمت السيدة أسماء رضي الله عنها مع من أسلم في بداية الدعوة إلى دين الحق والإيمان ، وقبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بمكة ..

كانت رضي الله عنها متزوجة من الصحابي الجليل ابن عم الرسول ﷺ جعفر بن أبي طالب المؤازر لرسول الله عليه الصلاة والسلام والمدافع عن دين الحق والإسلام .. والذي كان يلقبه رسول الله ﷺ بـ « ذو الجناحين » .

وقد هاجرت أسماء بصحبة زوجها جعفر بن أبي طالب مع من هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية .. كانت بعد المقاطعة التي أجمعت عليها قريش لكل من دخل في دين الإسلام ، أو آزر مسلماً .. فكان من جملة الذين قصدوا في هذه المقاطعة الجائرة آل أبي طالب ، وآل هاشم ..

وخرج جعفر رضي الله عنه بزوجته أسماء إلى أرض الحبشة .. فأقامت معه في منزل متواضع تتحمل معه مرارة الغربة القاسية ولوعتها .. وتساهم مع زوجها الكريم خطيب المسلمين أمام ملك الحبشة أعباء الدعوة الإسلامية ونشر دين الحق والإسلام ..

وفي أرض الغربة ولدت لزوجها جعفر أبناءه الثلاثة : (عبد الله ، ومحمداً ، وعوفاً) وكان ولدها عبد الله شبيهاً بأبيه جعفر ، وأبوه شبيهاً لرسول الله ﷺ ، فكان ذلك يسعدها ، ويحرك مشاعر الشوق عندها لرؤية النبي الكريم ﷺ ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقول لجعفر : « أشبهت خَلْقي وخُلُقي »[1] ..

وعندما طلب ملك الحبشة (النجاشي) مقابلة المسلمين المهاجرين إلى بلاده ، ليطلع على حقيقة أمرهم ، بعد أن وفد إليه بعض من آل قريش يطلبون إليه ردَّ المسلمين الفارين إليه ، بقولهم :

ــ قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدينٍ ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ..

فيتقدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ليكلم الملك النجاشي فيقول :

ــ أيها الملك.. كنا قوماً أهل جاهلية ، ونعبد الأصنام ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا .. فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع الأوثان .. وأمرنا

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب جعفر بن أبي طالب (٤/٢٠٩) .

أن نعبد الله وحده ، ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة ...

وراح جعفر بن أبي طالب يسمعه شيئاً من آيات الله عز وجل من سورة مريم ، فلما سمع النجاشي آيات الله عز وجل بكى حتى أخضلت لحيته ، وبكت معه أساقفته حين سمعوا ما تلا عليهم .. ثم قال النجاشي :

ــ إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدةٍ .. انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون[1] ..

وكان لجعفر بن أبي طالب الفضل في هداية ملك الحبشة النجاشي إلى دين الإسلام ، وبدأ الملك النجاشي يدعو ويبايع إلى الإسلام فكان له الفضل في مبايعة عمر بن العاص ودخوله دين الإسلام والحق وقد كان رئيس وفد قريش له ليرد له المسلمين المهاجرين ..

وقد كانت الصحابية الجليلة أسماء ومن معها من المهاجرات .. داعيات إلى الله تعالى ، قولاً وعملاً ، وسلوكاً ، وتلك هي نتائج هجرة الحبشة وآثارها ومعطياتها وبركاتها ..

وتعود أسماء بصحبة زوجها وأبنائها وقد زادتها هجرتها إلى أرض الحبشة إيماناً فوق إيمانها وطاعة لرب العباد عز وجل وتكون هذه بشرى من رسول الله ﷺ أن اسماها (هجرةً بعد هجرةٍ) ، وذلك عندما ذهبت اسماء إلى رسول الله ﷺ تشكو إليه مقالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لها ، عندما قال :

---

(١) السيرة النبوية الهشامية (٣٣٦/١ ــ ٣٣٧) . وكان وفد قريش إلى النجاشي عبد الله بن أبي ربيعة وعمر بن العاص .

ـــ يا حبشية .. سبقناكم بالهجرة ..

فقالت له أسماء بنت عميس :

ـــ أي لعمري لقد صدقت ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعلم جاهلكم ، وكُنّا البعداء الطرداء .. أمَا والله لآتين رسول الله ﷺ فلأذكرن ذلك له ..

فلما ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . قال لها عليه الصلاة والسلام :

ـــ « ***للناس هجرة واحدة ، ولكم هجرتان .. هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ*** »(١) .

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال لها :

ـــ « ***ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان*** »(٢) ..

وغمرت السعادة قلب أسماء بشهادة النبي الأكرم عليه صلوات الله وسلامه ، وشاع الخبر بحديث رسول الله ﷺ بين الناس ، وبدأ من كان بصحبتها في الهجرة يفد عليها ليستوضح منها قول النبي ﷺ بهذا الشأن ، فتقول أسماء :

ـــ فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتون أرسالاً يسألوني عن هذا

(١) طبقات ابن سعد (٢٨١/٨) وأسد الغابة لابن الأثير (٣٩٦/٥) والإصابة لابن حجر (١١٧/١٢) .

(٢) رواه البخاري في المغازي ، باب غزوة خيبر (٨٠/٥) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل جعفر بن أبي طالب ، وأسماء بنت عميس رقم (٢٥٠٣) وكلاهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال عنهم النبي ﷺ .. ورأيت أبا موسى وأنه ليستعيد مني هذا الحديث : « ولكم الهجرة هجرتان هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ »(1) ..

وبعد عودة المهاجرين إلى أرض المدينة المنورة يسعى جعفر بن أبي طالب لملازمة ومصاحبة رسول الله ﷺ ، ويشهد معه الغزوات ضد الوثنية ، إلى أن يكتب الله له الشهادة في مؤتة أرض الشام مقبلاً غير مدبرٍ .. مجاهداً للروم في حياة رسول الله ﷺ سنة ثمان للهجرة في جمادى الأولى ..

ويذكر لنا ذلك ابن عمر قال :

ــ كنت معهم في تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفراً ، فوجدنا فيما أقبل من جسمه بضعاً وتسعين بين طعنة ورمية ..

وتروي لنا الطاهرة أسماء بنت عميس عن وفاته ، تقول :

ــ أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه ، فأتاني رسول الله ﷺ ، ولقد هنأت ، أي : (دبغت أربعين إهاباً من أدم) ، وعجنت عجيني ، وأخذت بني فغسلت وجوههم ودهنتهم ، فدخل علي رسول الله ﷺ فقال :

ــ « *يا أسماء : أين بنو جعفر* » .

فجئت بهم إليه ، فضمَّهم وشمَّهمُ ، ثم ذرفت عيناه فبكى ، فقلت :

ــ أي رسول الله : لعله بلغك عن جعفر شيء ؟

---

(1) المصدر السابق وراجع حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٢/٧٤ ــ ٧٥) .

فقال ﷺ :

ـــ « ***نعم .. قُتِلَ جعفر اليوم*** » ..

فقامت أسماء تصيح .. فاجتمع إليها النساء يهدئنَ من روعها وجزعها على خبر نعي زوجها .. فجعل رسول الله ﷺ يقول :

ـــ « ***يا أسماءُ لا تقولي هُجراً ولا تضربي صدراً*** »[1] ..

ثم خرج رسول الله ﷺ حتى دخل على فاطمة ابنته ، وهي تقول :

ـــ واعَمّاهُ ..

فقال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***على مِثْلِ جعفرٍ فلتبكِ الباكيةُ*** » ..

ثم قال ﷺ ..

ـــ « ***اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم*** »[2] ..

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال[3] :

بينما رسول الله ﷺ جالس ، وأسماء بنت عميس قريبة منه ، إذ قال لها :

ـــ « ***يا أسماء .. هذا جعفر بن أبي طالب قد مَرّ مع جبريل وميكايل*** » ..

فردَّ عليه السلام .. ثم قال صلوات الله عليه :

---

(١) طبقات ابن سعد (٢٨٢/٨) . والسيرة النبوية لابن هشام (٢٢/٤) ، وذكر الحافظ في الفتح بإسناد قوي كما ذكر أنه ﷺ قال لها : « ***تسلبي ثلاثاً ، ثم اصنعي ما شئت*** » أي إلبسي ثوب الحداد ثلاثاً (٤٢٩/٩) .

(٢) أخرجه الترمذي في الجنائز (٩٩٨) ، وأبو داوود باب صنعة الطعام (٣١٣٢) وقال ابن عبسي هذا حديث حسن وصحيح .

(٣) الإصابة لابن حجر (٨٧/٢) .

ـ « *فعوضَهُ اللهُ من يديه جناحينِ يطير بهما حيث شاء* » ..

فرحم الله جعفر بن أبي طالب .. ورضي عن زوجته أسماء .. وارضاهما برحمته تعالى ..

وتنكب الأم الصالحة أسماء الصابرة بعد مقتل زوجها على تربية أطفالها الثلاثة ، وتنشئتهم على الاقتداء بسيرة رسول الله ﷺ ، وحياة أبيهم الشهيد الطيار .. وتعليمهم مبادئ الإيمان ..

وما أن مضت أيام عدتها حتى يتقدم إليها أبو بكر الصديق رضي الله عنه شيخ الإسلام ، خاطباً لأسماء بنت عميس .. وكان ذلك بعد وفاة زوجته أم رومان رضي الله عنها .. في يوم حنين ..

ولم يكن لأسماء أن ترفض مثل الصديق رضي الله عنه ، فتقبل زواجه وتنتقل معه إلى بيته لتستلهم منه المزيد من نور الحق والإيمان ، ولتضفي على بيته الحب والوفاء ..

وبعد فترة من هذا الزواج المبارك من الله عليهما ، يرزقها اللهتعالى ولداً مباركاً (محمد بن أبي بكر) وهي بذي الحليفة ، وكانوا يريدون حجة الوداع ، فأمرها أبو بكر أن تغتسل ثم تنهل في الحجوذلك بعد أن سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فرخص به[1] ..

وتشهد بعد ذلك الصحابية الجليلة أسماء بنت عميس الأحداث الكبيرة ، وقد كان من أشدها وفاة سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام وانقطاع الوحي من السماء .. واستلام زوجها أبيبكر خليفة المسلمين ، وهو يواجه أعضل المشكلات يومئذ كقتال المرتدين ومانعي الزكاة ، وبعث جيش أسامة وكيف وقف صامداً

(١) إسناده صحيح .. وذكره ابن سعد في طبقاته (٢٨٢/٨) .

قوياً لا يتزحزح ولا يتزعزع إيمانه عن قول الحق .. وهي تسهر معه جنباً إلى جنب على راحته وتعيش معه بكل جوارحها ومشاعرها حاملة معه عبء الأمة الكبيرة .

ولكن ذلك لم يدم طويلاً فقد مرض الخليفة الصديق ، واشتد عليه المرض ، وأخذ العرق يتصبب من وجنتيه ، فأحس بشعور المؤمن الصادق بدنو أجله ، وكانت وصيته أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، كما عزم عليها أن تفطر إن كانت صائمة يوم وفاته قائلاً لها :

ـــ هو أقوى لكِ(١) ..

وعندما شعرت الصحابية الجليلة بدنو أجل زوجها الصديق .. أخذته على صدرها بحنان الزوجة المؤمنة وأصبحت تسمعه شيئاً من القرآن الكريم ، وهي لا تميل إليه بنظرها عن وجهه الذي بدأ كالنور يشع من خلال ثناياه وقد علاه الذبول عندما أسلم الروح الطاهرة إلى بارئها عز وجل ، فدمعت العين ، وخشع القلب ، ولكنها لم تقل إلا ما يرضي الله تبارك وتعالى ، فصبرت على قضائه واحتسبت لله تعالى ..

وبعدها قامت بتنفيذ وصية المرحوم الصديق رضي الله عنه أمير المؤمنين وخليفة رسول الله ﷺ ، حيث كانت محل ثقته ، فبدأت بتغسيله وقد أضناها الهم والحزن .. فنسيت وصيته الثانية إذ أنها كانت يوم تغسيله صائمة .. فراحت تسأل من حضر من المهاجرين والصحابة قائلة :

ـــ إني صائمة .. وهذا يوم شديد البرد ، فهل عليَّ من غسل ..

---

(١) راجع خبر أن أسماء غسلت زوجها أبا بكر الصديق رضي الله عنه في طبقات ابن سعد (٢٨٢/٨) ، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢٢/١) أما خبر عزمه عليها بالإفطار ففي الطبقات (٢٨٤/٨) .

فقالوا لها : لا ليس عليك من غسل[1] ..

وبعد أن توارى الجثمان الطاهر رضي الله عنه بجوار رسول الله ﷺ ، راحت في أخذ ورد فما هي إلا فترة قصيرة وتغيب الشمس ويفطر الصائم .. فهل تنفذ وصية زوجها الصديق وتفطر أم تبقى صائمة ، خيار صعب وضعت أمامه ..

ــ إن الوفاء للزوج أبى عليها أن ترد عزيمة زوجها الراحل رضي الله عنه ..

فدعت بماء وشربت ، وقالت : والله لا أتبعه اليوم حنثاً[2] ..

وعادت من جديد الصحابية الجليلة بيتها لترعى فيه أبناءها من زوجها الأول جعفر بن أبي طالب ، وكذلك ولدها من أبي بكر الصديق رضي الله عنه .. وتحدب عليهم دائمة .. سائلة الله أن يصلحهم ، ويصلح بينهم ، ويجعلهم للمتقين إماماً ، وهذه غاية ما كانت ترجوه من دنياها غير عالمة بما يفاجئها القدر المكنون في علم الله ..

وها هو علي بن أبي طالب رضي اللهعنه ربيب رسول الله ﷺ وصهره لابنته الراحلة فاطمة الزهراء ، وشقيق جعفر الطيار ذي الجناحين ، ينتظر مدة انقضاء عدتها ليتقدم للزواج منها وفاءً لأخيه الحبيب جعفر ولصديقه الصديق رضي الله عنهما ..

وبعد أن تمَّ الزواج الميمون من علي بن أبي طالب رضي الله عنه تنتقل معه إلى بيته بصحبة أبنائها .. فكانت له خير زوجة صالحة .. وكان لها رضي الله عنه خير زوج في حسن المعاشرة ..

---

(١) طبقات ابن سعد (٢٨٤/٨) ، وكذلك أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢٢٢/١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢٨٤/٨ ــ ٢٨٥) .

وراحت تسمو وترتفع رضي الله عنها في عين علي كرم الله وجهه حتى أصبح يردد في كل مكان :

كذبتكم من النسـاء الحـارقة ، فما ثبتت منهن امرأة إلا أسماء بنت عميس[1] ..

ويكرمهم الله بكرمه إذ يرزقهما من عليّ بن أبي طالب كرم اللهوجهه الذرية الصالحة ، فأنجبت له (يحيى وعوناً)[2] ..

واختار المسلمون علي بن أبي طالب رضي الله عنه خليفة بعد عثمان بن عفان .. لتصبح أسماء بنت عميس للمرة الثانية زوجاً لأمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً ..

ويروي ابن سعد في طبقاته :

أن علي كرم الله وجهه شاهد موقفاً غريباً .. إذ إن ولداً لأخيه جعفر يتشاجر مع محمد بن أبي بكر ، وكل منهما يتفاخر على الآخر ويقول :

ـــ أنا أكرم منك ، وأبي خير من أبيك .

فلم يدر الزوج الحاكم ماذا يقول لهما ..وكيف يصلح بينهما بحيث يرضي عواطفهما معاً .. فما كان منه إلا أن استدعى أمهما أسماء رضي الله عنها وقال لها :

ـــ أقضي بينهما ..

وبفكر حاضر وحكمة بالغة من الأم الحنون قالت :

---

(١) انظر الاصابة لابن حجر (٨/٩) وطبقات ابن سعد (٨/٢٨٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٢٨٥) .

ـــ ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر ، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر ..

وانتهت المشاجرة بين الصغيرين ليعودا إلى العناق واللعب معاً .. ولكن زوجها علياً رضي الله عنه ، المعجب بحسن القضاء بين الأولاد نظر في وجه زوجته العاقلة قائلاً :

ـــ ما تركت لنا شيئاً يا أسماء !!..

وبذكاء حاد وشجاعة نادرة وأدب جم ، قالت :

ـــ إن ثلاثة أنتِ أخسهم خيار ..

ولم يستغرب عليٌّ كرم الله وجهه مقالة زوجته العاقلة الراشدة ، فقال لها :

ـــ لو قلت غير ذلك لمقتكِ[1] ..

وكانت أسماء على مستوى المسؤولية زوجة لخليفة المسلمين أمام الأحداث الجسام التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية .. فدفعت بولديها عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهما إلى جانب أبيها لنصرة الحق ..

وما لبثت طويلاً حتى فجعت بولدها محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، وكان أثر هذا المصاب عليها عظيماً ، ولكن أسماء الأم المؤمنة بقضاء الله وقدره لايمكن لها أن تخالف تعاليم دينها لتصرخ وتندب .. فما كان منها إلا أن تجلدت بالصبر واستعانت بالصلاة على ما ألَمَّ بها .. وراحت تكتم غيظها حتى شخبت ثدياها دماً[2] ..

---

(١) طبقات ابن سعد (٢٨٥/٨) والإصابة لابن حجر (٩/٨) .

(٢) نفس المصدر السابق .

ولم يمضِ وقت طويل لها كزوجة للخليفة علي بن أبي طالب رضي اللهعنه حتى أصيبت بالفاجعة الكبيرة في حياتها وهي مقتل زوجها الخليفة علي غدراً فلم يعد لديها الصبر على احتمال المصائب والفواجع فآثرت على نفسها وكتمت أحزانها .. وطوت آلامها لنفسها لتتفرغ ثانية لتربية أبنائها الصغار والكبار ولكن هذه الحال لم تدم طويلاً حتى وقعت صريعة المرض .. تتلوى من شدة آلامها على فراق أزواجها الصحابة الطاهرين وولدها الجليل محمد بن أبي بكر ..

إلى أن أسلمت روحها الطاهرة لبارئها عز وجل ، راضية بما آتاها الله من آلام وامتحان ، فرضي الله تعالى عن الطاهرة المؤمنة المتعبدة ، الأم الرؤوم الحنون ، أسماء بنت عميس صاحبة الهجرتين ..

الصحابيّة

أم رُومان

رضي الله عنها

زوج الصِّديق وأم الصِّديقة

الصحابيّة

أمّ رومان

رضي الله عنها

زوج الصّديق وأم الصّديقة

قال رسول الله ﷺ :

ـ « *من سَرَّهُ أن ينظر إلى امرأةٍ من الحورِ العين فلينظُرْ إلى أمّ رومان* » ...

أم رومان .. الصحابية الجليلة ، التوابة التقية ، والدة أم المؤمنين الشابة النقية ، وزوجة العتيق الصدّيق أبي بكر ..

هي أم رومان بنت عامر بن عويمر ، بن عبد شمس ، بن عتاب ... بن كنانة اختلف في اسمها فقيل : زينب وقيل : دعد[1] ..

وهي والدة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها .

وزوجة الصحابي الجليل خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه ..

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني (٨/٢٣٢) .

نشـــأت أم رومـان رضي الله عنهـا في جزيرة العرب في منطقـة تدعى (السداة) ، وعندما أصبحت في سن الزواج طلبها أحد شباب الجزيرة المميزين بين شبـاب قومه وهو (الحارث بن سخيرة الأزدي) ، فولدت له ذكراً سماه (الطفيل) .

وعندما رغب زوجها الحارث الإقامة الدائمة في مكة ، اصطحبها وابنها إلى هناك ، وكان لابد له أن يدخل في حلف أحد الأشخاص البارزين وذلك للحماية به وتدبير أمر معيشته ، فحالف ـــ عبد الله بن أبي قحافة ـــ أبي بكر الصديق رضي اللهعنه .. وقد كان ذلك قبل أن يدخل الإيمان قلوب أهل مكة .. ويبدأ رسول الله ﷺ بدعوته الإسلامية ..

وبعد فترة من الزمن توفي الحارث بن سخيرة زوج أم رومان .. فما كان من أبي بكر إلا أن تقدم لها كعادة العرب إكراماً لصاحبه بعد مماته ..

وقبلت أم رومان زواجها من أبي بكر الصديق زوجاً كريماً يحافظ عليها ويرعاها وطفلها وذلك بعد وفاة زوجها الحارث ..

وقد أنجبت أم رومان من زوجها أبي بكر الصديق رضي اللهعنه ذرية صالحة وثمرة طيبـة لم يكونا يتوقعان أن تكون لهم الآثار الحميدة على مر التاريخ .. إذ أنجبت له (عبد الرحمن وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين) .

وعندما بعث النبي ﷺ بالرسالة الإلهية كان أبو بكر الصديق رضي الله عنـه أول من آمن بالرسـول الكريم عليـه الصـلاة والسـلام وصدقه في دعوته الإسلامية ، وعرف واجبه رضي الله عنه بأن عليه المساهمة في الدعوة الإسلامية فعمد إلى زوجته أم رومان في البداية وأخذ يحدثها عن الدين الإسلامي الجديد ويدعوها للدخول فيه ، فآمنت بالله وبرسوله عليه الصـلاة والسـلام .. وحسن

إسلامها بالله عز وجل .. فاستكتمها الأمر إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ..

وأصبح رسول الله ﷺ يتردد إلى بيت أبي بكر باستمرار ليجد فيه الأمان والراحة والاستقرار ، فيتلقاه رفيقه الصديق رضي الله عنه بكل حب وترحاب ، وكذلك زوجه أم رومان بالبشر والسرور ، وتضيفه أحسن الضيافة ، وتحاول أن تؤمن له كل راحة واستقرار ، ليغدوا منزلها أول بيت إسلامي تعلوه كلمة الله عز وجل ، ولينهلوا مما يعلمهم إياه رسول الله ﷺ من تعاليم الإيمان والإسلام ومشاركته كذلك في دعوته التي بعث لأجلها ..

وكانت أم رومان .. مثال الزوجة الوفية الصالحة الطاهرة التي تقف إلى جانب زوجها لتخفف عنه آلامه .. وتواسيه في تلك الأيام الصعبة التي يقف بها المسلمون الأوائل .. بل كانت تشد من أزر زوجها وتشاركه في حماسه ، وما يبذله في سبيل الدعوة الإسلامية نصرة للحق والإيمان ونصرة رسول الله ﷺ على قومه الذين أبوا إلا الكفر .. وكذلك شراء حرية كثير من العبيد المستضعفين الذين أعلنوا إسلامهم وهم يلاقون المزيد من عذاب قريش وسواهم ..

وإلى جانب ذلك كله كانت الأم العطوف والرؤوم ، الحانية المربية لأطفالها ، فقد أخذت عبد الرحمن وعائشة بالقلب الكبير والتربية الصالحة الطاهرة وذلك أنهم من صلب طاهر رحيم ، لترعاهم أحسن رعاية إلى أن أصبحت السيدة عائشة رضي الله عنها في عامها السادس ليتقدم رسول الله ﷺ لخطبتها والزواج منها وذلك انصياعاً لأمر الله عز وجل ، فسرت أمها أيما سرور بتلك المصاهرة الكريمة التي لايدانيها شرف ..

ولما أذن الله تعالى لرسوله الكريم وصاحبه الصديق بالهجرة إلى المدينة المنورة ، تبقى أم رومان عند أولادها تحمل المسؤولية الكبيرة ، وتتحمل شدة

التغطرس الجاهلي ، وهم يتوعدون ويهددون إلى أن بعث رسول الله ﷺ (زيد بن حارثة معه أبا رافع) ليصطحب آل بيته وآل بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ..

وعندما وصلن جميعاً المدينة المنورة استقبلهم رسول الله ﷺ ورفيق الإيمان العتيق ، بالبشر والفرح والسرور ، فقد بنى رسول الله ﷺ داراً صغيراً كانت هي مقر السيدة عائشة ، وذلك بعد دخوله عليها ..

وكانت تلك المصاهرة الحميدة سبباً آخر من أسباب تقوية العلاقة بين البيتين الكريمين ، وتعاظمت فرحة أم رومان بما كانت تراه من حدب النبي ﷺ على عائشة محبته الكبيرة لها .. وكذلك أوتيح لها التردد أكثر فأكثر على بيت النبي ﷺ لتنهل من نبع الإيمان الصافي وسيرة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

وكانت تجربة قاسية لأم رومان رضي الله عنها وهي تشاهد ابنتها الطاهرة أم المؤمنين عائشة تمر باكذوبة المنافق الكبير (ابن سلول) الذي أطلق عليها اسم (محنة الإفك) وكيف تناقلتها الألسن وكثرت الإشاعات بين الناس ، فخرت مغشياً عليها من هول ما سمعت بشأن ابنتها الحبيبة عائشة رضي الله عنها .. ولكنها استكتمت الأمر عنها رحمة بها وشفقة عليها .. متضرعة إلى الله تعالى أن يجعل لها مخرجاً من حيث لا تحتسب وينزل من سمائه آيات كريمة لتبرئ ساحتها ..

ولما شاء الله تعالى أن تعلم عائشة ما يشاع بين الناس وذلك عن طريق (أم مسطح بن أثاثة) ، عادت إلى منزل أبويها شاكية باكية لائمة على ما سمعت .. فقالت لها أمها أم رومان رضي الله عنها والدموع تغسل وجنتيها :

— أي بنية .. هون عليك الشأن ، فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند

زوج يحبها .. ولها ضرائر .. إلا كثرن وكثر عليها الناس ..

واستجاب الله تعالى لقلوب مؤمنة صادقة بالدعاء ، فأنزل آياته الكريمة على رسوله الكريم ، لتبرئة الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها بقرآن يتلى ويتعبد به المؤمنون المطهرون إلى قيام الساعة وعلى مر الآباد :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[1]

وكانت هذه المرحلة هي أقسى ما عانت وما عاشت الصحابية الجليلة أم رومان ، فأثر بها تأثيراً كبيراً ، فمرضت على أثر ذلك .. وراحت أم المؤمنين عائشة تلازمها في مرضها إلى أن أسلمت روحها الطاهرة للباري عز وجل ..

ونزل رسول الله ﷺ في قبرها مع من نزل واستغفر لها وقال :

ـ « ***اللهم إنك تعلم ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك*** »[2] ..

فرحم الله ورضي عن الطاهرة المؤمنة المهاجرة الصابرة أم رومان ، وأسكنها فسيح جنانه ..

---

(١) من سورة النور الآية (١١) وكذلك راجع حديث الإفك عند الإمام البخاري في سورة النور ، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً (٥/٦) ، وكذلك في مسلم في التوبة ، باب حديث الإفك برقم (٢٧٧٠) ، وقد ورد مفصلاً عندنا في حديث السيدة عائشة راجع ص (٩٥) .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٨/٢٣٢) .

الصحابية

أم عمارة

رضي الله عنها

الفدائية المجاهدة

الصحابية

أم عمارة

رضي الله عنها

الفدائية المجاهدة

يقول رسول الله ﷺ في يوم أحد عنها :

ـ « *ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني* » ..

أم عمارة ... الصحابية الجليلة .. الفدائية المجاهدة الصابرة ، المحتسبة المبايعة في العقبة الثانية ..

من دعا لها رسول الله ﷺ ولأبنائها ، فقال :

ـ « *اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة* » ..

أم عمارة .. نسيبة بنت كعب بن عمر بن عوف بن مبذول الخزرجية النجارية الأنصارية المازنية المدنية ..

أمُّ المجاهدين الصحابيين الفاضلين عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم بن عمر[1] .

وهي أوائل نساء المدينة اللواتي سارعن إلى دين الإسلام ونصرة رسول الله ﷺ ، فقد كانت إحدى اثنين ممن رحلن مع الأنصار إلى مكة حيث كانت المبايعة للنبي ﷺ[2] .

كانت متزوجة في الجاهلية من (زيد بن عاصم بن عمر) وأنجبت منه ذرية طيبة صالحة هما (عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم) وبعد أن رحل عنها تزوجها المجاهد المؤمن بالله ورسوله (غزية بن عمرو)[3]...

فأسلمت .. وتخلقت بأخلاق المسلمين ، وملأ الإيمان قلبها ، فنذرت نفسها وكذلك زوجها وأبناءها لإعلاء كلمة الحق والتوحيد لله عز وجل ، ونشر دين الإسلام ، والجهاد في سبيل الله تعالى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

لقد شهدت أم عمارة الفدائية المجاهدة مع ابنيها وزوجها (غزية بن عمرو) عزوة أحد .. وخرجت في أول النهار تحمل قربة الماء لتسقي منها الجرحى .. فلم تستطع أن ترى جيوش المسلمين تنهزم وذلك عندما خالفت تعاليم قائدها النبي ﷺ ، فنزلت ساحة القتال ، وقاتلت الكفار وأبلت بذلك البلاء الحسن ، وجرحت اثني عشر جرحاً ، بين طعنة برمح أو ضربة بسيف ،..

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤٦٦/٢) .

(٢) السيرة النبوية الهشامية (٤٦٦/٢) والاستيعاب (٥٥٠/٥) والإصابة (١٥١/١٣ ــ ٥٥٠) وكذلك في طبقات ابن سعد (٤١٢/٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤١٢/٨) . وقد شهد (غزية بن عمر) مع زوجته أم عمارة بيعة العقبة الثانية راجع كذلك الإصابة لابن حجر (٥٥/٨ ــ ٥٦) .

فكانت أم سعيد بنت سعد بن ربيع .. تقول(١) :

ـــ دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : حدثيني خبرك يوم أُحد ..

فقالت أم عمارة رضي الله عنها :

ـــ خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس .. ومعي سقاءٌ فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه ، والدولة والريح إلى المسلمين [أي : النصر والغلبة للمسلمين] فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فجعلت أباشر القتال ، وأذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف ، وأرمي بالقوس ، حتى خلصت إلي الجراحُ !!..

قالت أم سعيد : فرأيت على عاتقها جرحاً له غور أجوف .. فقلت :

ـــ يا أم عمارة : من أصابك هذا ؟..

قالت أم عمارة رضي الله عنها :

ـــ أقبل ابن قميئة ، وقد ولى الناس عن رسول الله ﷺ يصيح : دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعترض له مصعب بن عمير ، وناس معه ، فكنت فيهم ، فضربني هذه الضربة .. ولقد ضربته على ذلك ضرباتٍ .. ولكن عدو الله كان له درعان ..

وحدثنا ضُمرة بن سعيد المازني عن جدته ، قال :

ـــ وكانت قد شهدت أحداً تسقي الماء ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ـــ « *لمقام نسيبة بنتِ كعب اليوم خيرٌ من مقامِ فلانٍ وفلان* » ..

---

(١) طبقات ابن سعد (٤١٢/٨ ـــ ٤١٣) . والسيرة النبوية لابن هشام (٤٦٦/٢ ـــ ٤٦٧) .

وقد كانت رضي الله عنها تقاتل أشد القتال النابع من الإيمان والحق وتدافع عن رسول الله ﷺ ، وهي حاجزة ثوبها على وسطها ، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً ، وكانت تقول :

ـــ إني لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها ، وكان أعظم فداوتهُ سنة ..

وينادي منادي رسول الله ﷺ ثانية إلى حمراء الأسد[1] ، فلم تستطع الصبر ولا الراحة ، فشدت عليها ثيابها ثانية ، فلم تستطع من نزف الدم المتساقط من جسدها من أثر جراحها ، وقد مكثت الليلة كلها تضمد الجراح حتى أصبح الصباح[2] ..

وكان سرور رسول الله ﷺ عظيماً بسلامتها وذلك عندما أرسل عبد الله بن كعب المازني ، ليطمئن عليها ، ويسأل عنها[3] ..

وكذلك تروي لنا أم عمارة ما أصابها يوم أحد ، تقول :

ـــ قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلا في نفير ما يتمون عشرة .. وأنا وابناي وزوجي بين يديه نَذُبُّ عنه ﷺ .. والناس يمرون به منهزمين ، ورآني رسول الله لا ترس معي ، فرأى رجلاً مولياً معه ترس ، فقال لصاحب الترس :

ـــ *« ألقِ تُرسَكَ إلى من يُقاتل »* .

---

(١) حمراء الأسد : وهي الغزوة التي أعقبت أحداً ، والتي طارد فيها رسول الله ﷺ المشركين لئلا يكروا على المسلمين ثانيةً ..

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٤١٣) .

(٣) نفس المصدر .

(٤) طبقات ابن سعد (٨/٤١٤) . ونقله عن الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/٢٧)).

فألقى ترسه ، فأخذته .. فجعلت أتترس به عن رسول الله ﷺ ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحابَ الخيل[1] .. لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله فيقبل رجلٌ على فرس ، فوقع على ظهره ، فجعل النبي ﷺ يصيح :

ـ « ***يا ابن أمّ عُمارة .. أُمَّكَ ، أُمَّكَ*** » .

فعاونني عليه ولدي حتى أوردتُه شعوب[2]...

وعن عبد الله بن زيد فيما روى ابن سعد في طبقاته[3] ..

ـ جرحت يومئذٍ جرحاً في عضدي اليسرى ، ضربني رجل كأنه الرقل ولم يعرج عليَّ ، ومضى عني ، وجعل الدم لا يرقأ ، فقال رسول الله ﷺ :

ـ « ***اعصبْ جُرحَكَ*** » ..

فتقبل أمي إليّ ومعها عصائب في حقوبها ، قد أعدتها للجراح ، فربطت جُرحي ، والنبي ﷺ واقف ينظر إليَّ ثم قالت :

ـ انهض بني فضارب القوم ..

فجعل النبي ﷺ يقول :

ـ « ***ومَنْ يطيقُ ما تطيقينَ يا أمّ عُمارة*** » ..

قالت : وأقبل الرجل الذي ضرب ابني ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) الذين خرجوا إلى الرماة المتبقين على الجبل ، فقتلوهم ، ثم هووا على المسلمين من خلفهم فقد حصل ما نعرفه من أحد .

(٢) شعوب : اسم من أسماء المنية (الموت) .

(٣) الطبقات لابن سعد (٨/٤١٤) .

ــ « هذا ضارب ابنك » !..

قالت : فاعترضُ له .. فأضرِبُ ساقهُ ، فبرك .. فرأيت رسول الله ﷺ يتبسم حتى رأيت نواجذه ، وقال :

ــ ***« استقدتِ يا أُمّ عُمارة »*** ..

ثم أقبلنا نعله بالسلاح حتى أتينا على نفسه .. فقال النبي ﷺ :

ــ ***« الحمد لله الذي ظفرك وأقرعينكِ من عدوكِ ، وأراكِ ثأركِ بعينكِ »***[1] ..

وروى ابن سعد في طبقاته أيضاً . بإسناده عن الحارث بن عبد الله قال :[2]

سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم قال :

ــ شهدت أحداً مع رسول الله ﷺ ، فلما تفرق الناس عنه ، دنوت منه أنا وأمي نذب عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام :

ــ ***« يا بن أُمّ عمارة »*** ؟

قلت نعم يا رسول الله ..

قال ﷺ :

« ارْمِ » ..

ــ ***« أُمك .. أُمك .. اعصب جرحها ، بارك الله عليكما من أهل البيت !!.. مقام أُمّك خيرٌ من مقام فلان وفلان .. رحمكم الله أهل البيت »*** ..

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر السابق (٨/٤١٤ ــ ٤١٥) .

فقالت أُمي .. أم رومان :

ـــ ادْعُ الله أن نرافقكَ في الجنة ..

فقال عليه الصلاة والسلام :

ـــ « *اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة* » .

فقالت : ما أُبالي ما أصابني من الدنيا ..

وتمضي الأيام .. وتظل الفدائية المؤمنة المجاهدة أم رومان تخدم الإسلام وتؤدي واجبها بكل ما تستطيع في الحرب والسلام.. فشهدت مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان في الحديبية ، وهي بيعة المعاهدة على الشهادة في سبيل الله ، كما شهدت معه يوم حنين .. وكان لها الدور العظيم في كل ما تستطيع تقديمه المرأة المؤمنة المسلمة التي تغار على دينها ورسولها ..

فكانت رضي اللهعنها محببة إلى رسول الله ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم أجمعين ، لما رأوه فيها من إيمان صادق وجد واجتهاد وجهاد وصوم ونسك واعتماد على الله تعالى .. فكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يزورها ليمضي عندها بعض الوقت ، فقد زارها يوماً ، فقربت له بعض الطعام كي يأكل ، فدعاها رسول الله ﷺ لتأكل .. فقالت له :

ـــ إني صائمة يا رسول الله ..

فقال لها ﷺ :

ـــ « *إذا أُكِلَ عندَ الصائمِ الطعامُ صلتْ عليه الملائكةُ* » ..

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتدت بعض القبائل عن الإسلام ، وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب ، وما إن اتخذ الخليفة الصديق رضي الله

عنه بقراره الحاسم بمحاربة أهل الردة حتى سارعت أم عمارة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تستأذنه في الالتحاق بهذا الجيش ، لمحاربة المرتدين عن الإسلام .. فيقول لها الصديق رضي الله عنه :

ـــ لقد عرفنا بلاءك في الحرب .. فاخرجي على اسم الله ..

فخرجت تحارب ومعها ابنها حبيب بن زيد بن عاصم ..

وأبلت أم عمارة في هذه المعركة ضد المرتدين على دين الإسلام البلاء الحسن .. وتعرضت للكثير من المخاطر والعذاب وهي ثابتة مقدامة لا يزعزعها شيء .. تمني نفسها في كل لحظة بنعمة الاستشهاد في سبيل الله عز وجل ..

ويقع ولدها حبيب أسيراً في يد المجرم المرتد مسيلمة الكذاب الحنفي ، صاحب اليمامة ، ويذيقه أشد أنواع العذاب من أجل أن يؤمن بنبوته .. ولكن !!.. أنى لابن أم عمارة الذي نشأ وتربى على الصبر والمصابرة عند اللقاء وعلى الإيمان وحب الله ورسوله الكريم ، وكذلك حب الموت في سبيل الله تعالى ، أن يخضع لتهديد مرتدٍ آثم عندما يسأله :

ـــ أتشهد أن محمداً رسول الله ؟..

فيقول : نعم أشهد ..

فيقول له مسيلمة الكذاب.

ـــ أتشهد أني رسول الله ؟..

فيقول : لا أشهد ..

فجعل المرتد الكافر يقطع أعضاء ولد أم عمارة عضواً عضواً وهو يعيد عليه السؤال دون أن يتراجع .. حتى مات قطعاً قطعاً بين يديه .. لايزيد على

ذلك شيئاً ، إذ ذكر رسول الله ﷺ آمن به وصلى عليه ، وإذا ذكرته له مسيلمة عدو الله قال : لا أشهد ..

وتخرج أم عمارة إلى معركة اليمامة بصحبة ولدها الثاني عبد الله وكذلك كافة المجاهدين في حملة ضد مسيلمة الكذاب وأعوانه المرتدين .. طالبة الثأر من قاتل ولدها حبيب ولنصرة دين الحق والإسلام ، وكانت معركة قاسية قد أظهرت فيها أم عمارة الفدائية المجاهدة ما يذهل أعظم الرجال من فنون في القتال والحرب .. وقد كانت حريصة أن تقتل عدو اللهالمرتد مسيلمة بيدها ، ولكن تشاء الأقدار أن يقاتل ولدها عبد الرحمن ذاك المرتد ويقتله قصاصاً لأخيه حبيب وليريح منه الإسلام والناس أجمعين ..

وما أن علمت أم عمارة بمقتل المرتد مسيلمة حتى سجدت متوجهة للكعبة الشريفة شاكرة الله عز وجل على قضائه وجهاد ولديها عبد الله وحبيب الشهيد ..

وتمر بها السنون .. لتكبر أم عمارة وتبقى في دارها مركز زيارة الصحابة الكرام وذلك تقديراً لها ولشجاعتها وتقدير رسول الله ﷺ ..

ويذكر لنا موسى بن ضمرة بن سعيد عن أبيه قال[1] :

ــ أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمروطٍ[2] .. فكان فيها مرطٌ جيد واسع ، فقال بعضهم : إن هذا المرط لثمن كذا وكذا .. فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر[3] ، فقال :

ــ وذلك حدثان ما دخلت على ابن عمر ..

---

(١) الطبقات لابن سعد (٨/٤١٥) .

(٢) مروط : جمع مرط ، بالكسر : أكيسة من صوف أوخز يؤتزرُ بها (اللسان) .

(٣) هي صفية بنت أبي عبيد .

قال : ابعث به إلى من هو أحقُّ به منها .. أم عمارة نسيبة بنت كعب ..

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم أُحد :

ـ « *ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتلُ دوني* » ..

وتمضي أم عمارة رضي الله تعالى عنها وأرضاها أيامها الأخيرة في منزلها ناسكة متعبدة للهعز وجل راضية الله تعالى ورسوله الكريم فيما جاهدت به مع ولديها لإعلاء دين الإسلام ونصرة رسوله الكريم صلوات الله تعالى عليه ..

إلى أن أسلمت روحها الطاهرة الطيبة لبارئها عز وجل .. وذلك بعد أن ضربت لنا المثل الأعلى في الجهاد والتضحية في سبيل الله عز وجل وسبيل نصرة رسوله الكريم ﷺ .. فكانت المثال الصادق للمؤمنة الصادقة القوية المحاربة التي أنشأت أبناءً مؤمنين صادقين صالحين ، مجاهدين في سبيل الله تعالى ..

فرحمك الله أيتها الصحابية الجليلة المبايعة لرسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية ، وأعز الله صبركِ على المحن وجهادك في سبيل اللهواحتسابك له وحده .

الصحابية

أم سليم بنت ملحان

رضي الله عنها

الرُّميصاء

مهرها الإسلام

الصحابية

أم سليم بنت ملحان

رضي الله عنها

الرُّميصاء

مهرها الإسلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

وعن أنس بن مالكٍ عن النبي ﷺ قال :

ـ « دخلت الجنةَ ، فسمعتُ خشفةً بين يدي ،
فإذا أنا بالرُّميصاء ، أمُ سليم بنتُ ملحانْ » ..

الرُّميصـــاء .. أم ســليم بنت ملحان : الصحابية الجليلة ، الزوجة الصالحة الناصحة ، الداعية الحكيمة ، الخلوقة الكريمة ..

هي الرميصاء[1] ، وتكنى بأم سليم بنت ملحان بن خالد ، بن زيد ، ابن حرام ،.. ابن النجار الأنصارية الخزرجية ..

... رضي اللهعنها .. أم سليم ، صاحبة الأنوثة والجمال ، والسداد في الرأي ، والذكاء النادر ، والخلق الكريم ، فقد غَدَوْتِ حديث مكة بصفاتكِ الحميدة ، والثناء عليكِ على كلِ لسانٍ ..

لتلك الصفات الحميدة التي كانت تتمتع بها أم سليم ، فقد تسارع عليها الخُطاب كي يحظوا بشرف نسبها .. وقد تقدم لها ابن عمها مالك بن النضر وتمت خطبتها عليه والزواج منه ، وقد أنجبت له (أنس بن مالك) رضي الله عنه ، وكان ذلك في الجاهلية قبل ظهور الإسلام ، والدعوة النبوية ..

ومـا أن بزغ نور النبـوة المحمـدية ، في الهداية إلى دين الإسـلام ، حتى سارعت أم سليم لمبايعة رسول الله ﷺ على دين الحق والتوحيد باللهتعالى ، فقد كانت من أوائل النسوة المبايعات للدخول في دين الإسلام ، وهي غير مبالية بما قد يصيبها من أذى المشركين الكفار .. أو ما قد تلقاه من زوجها مالك بن النضر من هجرٍ أو تعذيب ..

وعندما علم زوجها مالك بدخولها دين الإسلام ، واتباعها للدعوة النبوية ، غضب وثار عليها وهو يهددها ويتوعدها .. فقال لها[2] :

ــ أصبوتِ ؟..

فقالت له وكلها ثبات ويقين بما آمنت به :

---

(١) وردت في بعض المصادر : الرُّميصاء ، والرُمَيضاء ، والغُميصاء ..

(٢) عن رواية إسحاق بن عبد الله وإسناد ابن سعد في طبقاته (٤٢٥/٨ ــ ٤٢٦) .

ـــ ما صبوت ، ولكني آمنتُ !!.

وجعلت تلقن طفلها الصغير (أنس) الشهادة بالله تعالى :

ـــ قل : لا إله إلا الله .. قل : أشهد أن محمداً رسول الله ..

فيعترضها زوجها مالك بقوله :

ـــ لا تفسدي عليَّ ابني ..

فتقول له أم سليم :

ـــ لا أفسده .. بل أعلمه وأهذبه ..

وعندما لم يجد زوجها مالك بن النضر سبيلاً لردها عن دينها الجديد ، أعلمها بقراره أنه سوف يخرج من البيت مهاجراً دون عودة إلى أرض الشام .. ويهجرها وولدها ..

وقد كان ذلك ، فقد خرج من منزله هائماً على وجهه .. لايدري أي طريق يسلك ، حتى لقيه أحد أعدائه .. فقتله ..

وعندما علمت الزوجة الوفية بمقتل زوجها .. حزنت عليه كثيراً واحتسبت .. وقالت :

ـــ لاجرم ، لا أفطم أنساً حتى يدع الثدي ، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس[1] ..

وهكذا عملت أم سليم على تربية ولدها الوحيد على تعاليم الإيمان والإسلام إلى أن أصبح فتى يعتمد عليه ، فأخذته وذهبت به إلى الحبيب المصطفى صلوات

---

(١) راجع طبقات ابن سعد (٨/٤٢٦) .

الله عليه في استحياء ، وعرضت عليه أن يكون فلذة كبدها ووحيدها أنس بن مالك خادماً عنده ، ليخدمه وينهل منه تعاليم سنته النبوية الشريفة ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن رحب وأقر عينها بما طلبت .

ويهفو قلب أبو طلحة بما سمعه عن أم سليم وولدها أنس بن مالك فيتقدم لخطبتها والزواج منها وهو لايزال على كفرٍ .. ويعرض عليها المهر الغالي لقاء زواجه منها ، إلا أن المفاجأة الكبرى أذهلته وأعقلت لسانه عندما رفضت المؤمنة الصالحة طلبه بعزة وكبرياء وهي تقول :

ــ إنه لاينبغي أن أتزوج مشركاً ، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها عبد آل فلان ، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت[١] ..

وعن أم سليم بنت ملحان في رواية لابن سعد أنها قالت[٢] :

ــ يا أبا طلحة ألست تعلمُ أن إلهكَ الذي تعبد إنما هو شجرة تنبت من الأرض ؟.. وإنما نجرها حبشي بني فلان .. قال : بلى .. قالت : أما تستحي ، تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجرها حبشي بن فلان ؟..
قالت : فهل لكَ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأزوجك نفسي .. لا أريد منكَ صداقاً غيره !!.. قال لها : دعيني حتى أنظر ..
قالت : فذهب فنظر .. ثم جاء ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..

(١) في طبقات ابن سعد (٤٢٦/٨) ونحوه في الإصابة لابن حجر (٢٤٣/٨) ، وكذا في الحلية لأبي نعيم (٥٩/٢) .

(٢) في طبقات ابن سعد (٤٢٧/٨) . ونحوه في روايات متشابهة عن أنس بن مالك .. نفس المصدر السابق .

قالت : يا أنس : قُمْ .. فزوج أبا طلحة ..

أم سليم الداعية المؤمنة الوفية .. حيث الجاه والمال والشباب الذي تراقص أمام عينيها .. فترفضه بكل عز وفخر وهي تشعر بأن الإسلام في قلبها هو أقوى من كل نعيم هذه الدنيا الفانية .. استطاعت أن تأخذ مهرها من أبي طلحة بكل أدب واحترام .. حيث قالت له :

ــ ما مثلك يردُ يا أبا طلحة ، ولكنك امرؤ كافر ، وأنا امرأة مسلمة .. ولاتصلح لي أن أتزوجك ..

فقال لها :

ــ ما ذاك دهركِ ؟..

قالت له بكل ثقة :

ــ وما دهري ؟..

فقال لها يحاول أن يغريها بنعيم الدنيا :

ــ الصفراء والبيضاء ..

فقالت له :

ــ فإني لا أريد الصفراء ولا البيضاء ، أريد منك الإسلام ..

فقال لها أبو طلحة ..

ــ فمن لي بذلك ..

فقالت له أم سليم فرحة مستبشرة ..

ــ لكَ بذلك رسول الله ﷺ .

وانطلق أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ وكان جالساً بين أصحابه ، **فلما رآه** رسول الله ﷺ ، قال :

ـــ « *جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام في عينيه* » ..

فجاء .. فأخبر النبي ﷺ بما طلبته أم سليم بنت ملحان .. وأعلن إسلامه على الملأ وتزوجها على سنة الله ورسوله بصداق لايعادله مال وهو الإسلام[١] ..

وبذلك روي عن أنس بن مالك قال :

ـــ ما سمعت بإمرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم ، كان مهرها الإسلام[٢] ..

وهكذا عاشت أم سليم الصحابية المؤمنة الجليلة مع أبي طلحة الحياة الزوجية الهنيئة التي تقوم على أسمى المعاني الإسلامية .. وكذلك كانت مثالاً للزوجة الصالحة التي تقوم على حقوق الزوج المؤمن كأحسن قيام .. ومثالاً للأم الرؤوم الصالحة والمربية الفاضلة الداعية لأبنائها ..

ويقول أنس بن مالك وهو يروي لنا حبَّ أبي طلحة للإسلام ورسوله الكريم ﷺ ، قائلاً :

ـــ كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً ، وكان أحبَّ أمواله إليه بيرحى وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب ، فلما نزلت هذه الآية :

---

(١) انظر النسائي (٦/١١٤) ومسنده صحيح ،ونحوه بطرق متعددة في الإصابة (٨/٢٤٣)، والحلية (٢/٥٩ ـــ ٦٠) .

(٢) في سنن للنسائي (٦/١١٤) من طريق جعفر بن سليمان ، عن ثابت عن أنس .

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[1]

قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز ـــ الآية الكريمة ـــ وإن أحب أموالي إليَّ (بيرحى) وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث شئت ..

فقال رسول الله ﷺ :

ـــ *« بخٍ بخٍ .. ذلك مال رابح ، وذلك مال رابح ، قد سمعت ما قلت فيها وإني أرى أن تجعلها في الأقربين »* ..

فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[2] ..

ويرزق الله عز وجل هذين الزوجين بولد ذكر جميل قد سمياه (أبا عمير) .. ليصبح قرة عين لهما ويأنسان به وبحركاته .. وقد اتخذوا لهذا الطفل طائراً يلعب به ، فمات الطائر فحزن عليه الطفل وبكى من أجله ، فمر رسول الله ﷺ به فقال له مداعباً ومواسياً :

ـــ *« يا أبا عمير ما فعل النغير»*[3] ..

وتشاء قدرة الله تعالى أن يمتحن أم سليم وزوجها أبي طلحة بولدهما الجميل

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٢) .

(٢) رواه البخاري في الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب (١٢٦/٢) ، ومسلم في الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج برقم (٩٩٨) .

(٣) رواه البخاري في الأدب ، باب الانبساط إلى الناس (١٠٩/٧) ومسلم في الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته برقم (٢١٥٠) ، وأبو داوود برقم (٤٩٦٩) في الأدب ، ما جاء في الرجل يتكنى والنغير: تصغير النغر ، وهو طائر صغير كالعصفور .

المحبوب لهما .. فيمرض الطفل المدلل ويشغلُ أبواه به ، وكان من عادة أبيه أنه كلما عاد من عمله أو صلاته ودخل أهله يلقي تحية الإسلام ويسأل عن صحة ولده ولا يطمئن حتى يشاهده ..

وخرج أبو طلحة مرة في بعض عمله .. فقبض الصبي .. وتلقت الأم المؤمنة الصابرة وفاة ولدها بنفس راضية طيبة ، فقامت وغسلته وكفنته وحنطته وسَجَّتْ عليه ثوباً في فراشه وهي تذكر الله قائلة :

ــ إنا لله وإنا إليه راجعون ــ إنا للهوإنا إليه راجعون ــ

والتفتت إلى من حولها وقالت لهم :

ــ لايكون أحدٌ يخبر أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره !!..

وعندما عاد زوجها الحبيب من عمله كانت أم سليم قد جففت دموع الحزن والرحمة من عينيها ، وتصنعت لاستقبال زوجها .. وجاءت بعشاء ، فقال لها :

ــ ما فعل أبو عمير ؟..

فقالت له والسكون على وجهها :

ــ هو أسكن ما يكون !!..

فظن أن الله تعالى قد منَّ على الطفل المدلل بالشفاء ، وفرح لسكون الطفل وراحتـه وهو نائم ، ولم يدن منـه كي لايعكر عليه نومه ، ثم قربت إليه زوجته العشـاء .. فأكل وشـرب وحمد اللهعلى ذلك ، وكانت أم سـليم قد تطيبت له ولبست أجمل ثيابها وتزينت واقتربت منه ، فأصـاب منها ما يصيب الرجل من أهله ..

وعندما شاهدت أم سليم بأن زوجها قد أكل وشرب وأصاب منها ، وقد هدأت نفسه على ولده .. حمدت الله أنها لم تفجعه وتعكر عليه طعامه وسروره ، وتركته وقتاً يغط في نوم عميق ..

فلما كان من آخر الليل .. قالت أم سليم له :

ــ يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم فهل لهم أن يمنعوها عنهم ؟..

قال : لا

قالت : فما تقول إذا شق عليهم أن تطلب هذه العارية منهم بعد أن انتفعوا بها ..

قال : ما أنصفوا ..

قالت : فإن ابنك كان عارية من الله تعالى فقبضه ، فاحتسب ابنك ،.. ولم يتمالك أبو طلحة أعصابه .. فردَّ عليها غاضباً :

ــ تركتيني حتى إذا تلطخت .. أخبرتني بابني ؟.. والله لأذكرن ذلك إلى رسول الله ..

فلما أصبح الصباح .. غدا إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره بما كان بينه وبين زوجه أم سليم ..

فقال رسول الله ﷺ ..

ــ « *بارك الله لكما في ليلتكما* » ..

فكانت تلك الليلة .. حملها بعبد الله بن أبي طلحة ، وعندما وضعته ليلاً أرسلت به مع ولدها أنس بن مالك إلى رسول الله ﷺ .. وقالت له :

ــ اذهب بهذا الصبي وهذا المكتل ــ وفيه شيء من تمرٍ ــ إلى رسول الله ﷺ ، حتى يكون هو الذي يحنكُهُ ويسميهِ ..

قال أنس بن مالك رضي الله عنه :

ـــ فأتيت به النبي ﷺ ، فمدَّ النبي عليه الصلاة والسلام رجليه وأضجعه ، وأخذ تمرةً فلاكها ، ثم مجها في الصبي .. فجعل الصبي يتلمظها ، فقال النبي ﷺ :

ـــ « **أبَتِ الأنصارُ إلا حُبَّ التمر** » .

فقال أنس بن مالك :

ـــ سَمِّهِ يا رسول الله :

فقال ﷺ :

ـــ « **هو عبد الله** »(1) ..

فلما شبَّ عبد الله بن أبي طلحة تزوج .. وأنجب ذرية صالحة .. ورزق أولاداً .. قرأ القرآن منهم عشرة كُمَّلاً(2) ...

ولهذه الزوجة الصحابية الجليلة أم سليم وزوجها المؤمن بالله مآثر كثيرة وأهمها أن الله تعالى قد أنزل فيهم قرآناً كريماً يتعبد به الناس ليومنا هذا ..

يقول أبو هريرة رضي الله عنه :

ـــ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إني مجهود .. فأرسل إلى بعض

---

(1) انظر خبر وفاة (أبا عمير) في طرق متعددة في طبقات ابن سعد (٤٣١/٨ ـــ ٤٣٢) وفي الإصابة لابن حجر (٢٢٨/١٣) وفي حلية الأولياء (٥٩/٢) .

وكذلك أخرجه البخاري في أول العقيقة برقم (٢١٥/٦) . ومسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي طلحة برقم (٢١٤٤) ، وكذلك أخرجه الإمام أحمد برقم (١٩٦/٣) ورقم (٢٨٧/٣) .

(2) من الإصابة لابن حجر (٢٢٨/١٣) ، وقد أخرجه ابن سعد في الطبقات برقم (٤٣٤/٨) ورجاله ثقات بأن أحد رجال السند وهو عباية قال : رأيت لذلك الغلام سبع بنين كلهم قد ختموا القرآن .

نسائه فقالت : والذي بعثك بالحق ، ما عندي إلا ماءٌ ، ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت : مثل ذلك .. وقلن كلهن مثل ذلك .. فقال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***من يضيفه يرحمه الله*** » ..

فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال : أنا يا رسول الله .. فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته (أم سليم) :

ـــ هل عندك شيء ؟..

ـــ قالت : لا ، إلا قوت صبياني .

ـــ قال : فعلليهم بشيء ونوميهم ، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل ، فإذا هوى بيده ليأكل فقومي إلى السرج كي تصلحيه فاطفئيه ، ففعلت .. فقعدوا .. فأكل الضيف ، وباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***لقد عجب الله من فلان وفلانة*** » ..

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال :

ـــ « ***قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة*** »(١) .. وقد أنزل الله عز وجل آياته الكريمة :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

---

(١) أخرجه مسلم في الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره برقم (٢٠٥٤) وأخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) برقم (٤/٢٢٦) وفي تفسير سورة الحشر .

(٢) سورة الحشر الآية /٩/ .

وقد كان لأم سليم بنت ملحان الصحابية الجليلة ، الدور الكبير في نشر الدعوة الإسلامية ، وكذلك مشاركة المجاهدين المسلمين في جهادهم ضد الأعداء الكفار ..

وقد كان لها يوم حنين الموقف البطولي الذي يشيد بشجاعتها ، ودورها البطولي في تذكية نار الحماسة في صدور المجاهدين ، ومداواة الجرحى .. وسقاية المرضى منهم .. بل كانت على استعداد للدفاع عن نفسها ومواجهة من يقترب منها .. وهي لاتزال حاملاً بعبد الله بن أبي طلحة ، وقد شوهدت أثناء المعركة وهي تتسلح بخنجر قد حزمته على وسطها !!.. فقال زوجها أبو طلحة :

ـ يا رسول الله .. هذه أم سليم اتخذت خنجراً ..

ـ فقالت : يا رسول الله .. أتخذهُ إن دنا مني أحدٌ من المشركين بقرت به بطنه ..

فتبسم رسول الله ﷺ .. وقال :

ـ ***« يا أمَّ سليم : إن الله قد كفى وأحسن »***[1] ..

وكان لأم سليم رضي الله عنها المنزلة العالية عند رسول الله ﷺ .. إذ انه لم يكن يدخل بيتاً غير بيت أم سليم[2] ، سوى أهله .. وقد بشرها ﷺ بالجنة حين قال :

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/٤٢٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/٦٠) .

(٢) ذكر النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (١٦/١٠) أن أم سليم وأختها أم حرام رضي الله عنهما كانتا خالتين لرسول الله ﷺ محرمين إما من الرضاع وإما من النسب فتحل له الخلوة بهما ، وكان يدخل عليهما ، وقال جمهور العلماء : ففيه جواز دخول المحرم على محرمه ، وفي إشارة إلى منع دخول الرجل إلى الأجنبية وإن كان صالحاً .

ــ « ***دخلت الجنة فسمعت خشفة ، فقلت من هذا ؟.. قالوا هذه الرميصاء بنت ملحان .. أم أنس بن مالك*** »[1] ..

وكان رسول الله ﷺ .. يجلها ويكرمها .. وكان يزورها ويصلي في بيتها ..

وقد روى ابن سعد بإسناده عن أنس بن مالك قال :

ــ كان النبي ﷺ يزور أم سليم أحياناً ، فتدركه الصلاة فيصلي على بساط لنا وهو حصير ينضحه بالماء[2] ..

وروى ابن سعد بإسناده عن محمد بن سيرين عن أم سليم أنها قالت :[3]

ــ كان رسول الله ﷺ يُقيلُ[4] في بيتي .. فكنت أبسط له نطعاً ، فيقيل عليه فيعرق ، فكنت آخذ سكاً[5] فأعجنه بعرقه ..

وروى كذلك عن البراء بن زيد[6] :

ــ أن النبي ﷺ قَالَ[7] في بيت أم سليم على نطع ، فعرق فاستيقظ رسول الله ﷺ وأم سليم تمسح العرق ، فقال ﷺ :

ــ « ***يا أم سليم .. ما تصنعين*** » ؟..

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، وكذلك أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أم سليم برقم (٤٤٥٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤٢٧/٨) .

(٣) الطبقات لابن سعد (٤٢٨/٨) .

(٤) يقيل : من القيلولة عند الظهيرة من حر الشمس .

(٥) سُكّاً : أي طيباً .

(٦) الطبقات لابن سعد (٤٢٨/٨) .

(٧) قَالَ : من القيلولة .

فقالت : آخذ هذا للبركة التي تخرج منك ..

فلم ينكر عليها فعلها ﷺ ..

وروى ابن سعد بإسناده عن البراء بن زيد عن أنس بن مالك أنه قال [1] :

ــ ان النبي ﷺ دخل على أم سليم بيتها ، وفي البيت قربة معلقة ، فيها ماء فتناولها ﷺ فشرب من فيها وهو قائم .. فأخذتها أم سليم فقطعت فمها فأمسكته عندها ..

وقالت أم سليم رضي الله عنها :

ــ وكان ﷺ يجيء يُقيل عندي على نطعٍ ، وكان معراقاً [2] !! قالت : فجاء ذات يوم ، فجعلت أجمع العرق فأجعله في قارورةٍ لي ، فاستيقظ النبي ﷺ ، فقال :

ــ ***« ما تجعلين يا أم سليم » ؟..***

فقلت باقي عرقك ، أريد أن أدوف [3] به طيبي !!..

وروى ابن سعد بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه [4] :

ــ أن النبي ﷺ لما أراد أن يحلق راسه بمنى أخذ أبو طلحة شقَّ شعرهِ ، فحلق الحجام ، فجاء به إلى أم سليم ، فكانت أم سليم تجعله في سُكِّهَا !!..

---

(١) الطبقات لابن سعد (٤٢٨/٨) .

(٢) معراقاً : كثير التعرق من الحر .

(٣) أدوف به طيبي : أعجنه مع الطيب لأتطيب به .

(٤) الطبقات لابن سعد (٤٢٩/٨) .

وكذلك روى لنا ابن سعد في طبقاته عن أنس بن مالك أنه قال[1] :

ـــ دخل النبي ﷺ على أم سليم ، فأتتهُ بتمرٍ وسمنٍ ، فقال :

ـــ « ***أعيدوا سمنكم في سقائكم ، وتمركم في وعائكم ، فإني صائم*** » ..

ثم قام ﷺ في ناحية البيت ، فصلى صلاة غير مكتوبةٍ ، فدعا لأم سليم ، ولأهل بيتها ، فقالت أم سليم :

ـــ يا رسول الله .. إن لي خويصة ..

قال ﷺ :

ـــ « ***ما هي*** » ؟!..

قالت أم سليم رضي الله عنها :

ـــ خادمك أنس بن مالك ..

يقول أنس : فما ترك خير آخرةٍ ، ولا دنيا إلا دعا لي به .. ثم قال عليه الصلاة والسلام :

ـــ « ***اللهم ارزقه مالاً وولداً ، وبارك له*** » ..

قال أنس : فإني لمن أكثر الأنصار مالاً .. وما مات رضي الله عنه إلا كان له تسعة وعشرون ومائة ولداً لصلبهِ ..

وقد حجب أم سليم رضي الله عنها مع النبي ﷺ وكانت مع نسائه .. وكان النبي ﷺ يوصي بها في الطريق ..

وقد ذكر لنا ابن عباس رضي الله عنه أن أم سليم قالت :

ـــ يا رسول الله : إن أبا طلحة وابنه حَجّا على ناضحهما وتركاني ! ..

---

(١) نفس المصدر السابق .

فقال رسول الله ﷺ :

ـ « *عمرةٌ في رمضان تجزيك من حجة معي* »[1] ..

وهكذا عاشت الصحابية الجليلة أم سليم بنت ملمان حياة إسلامية رائعة بالقرب من رسول الله ﷺ وهي تنهل من نبع النبوة الصافي وتأخذ من تعاليم الإيمان الصحيح .. كزوجة صالحة ناصحة .. وداعية حكيمة ، ومجاهدة شجاعة ، وأم مربية واعية ..

فرضي الله تعالى عنك أيتها المبشرة بالجنة من رسول الله ﷺ ، ورضي تعالى عن زوجك أبي طلحة .. وعن ابنك أنس بن مالك الذي دخل في أعظم مدرسة عرفتها الدينا هي مدرسة النبوة ، ولم يبلغ العشر من العمر ، وقد غدا علماً من أعلام الإسلام على مرِّ العصور ..

فرضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم وأسكنهم فسيح جناته ..

---

(١) نفس المصدر السابق .

الصحابية

أم حرام بنت ملحان

رضي الله عنها

شهيدة البحر

الصحابيّة

أم حرام بنت ملحان

رضي الله عنها

شهيدة البحر

قال رسول الله ﷺ :

— « *أول جيش من أمتي يغـزون البحـر قـد أوجبوا* » ..

فسألته أم حرام :

— يا رسول الله .. أنا فيهم ؟..

— « *أنتِ فيهم* » ..

أم حرام بنت ملحان .. الصحابية الجليلة ، شهيدة البحر ، المشتاقة لرؤية جنان الخلد ..

أم حرام بنت مـلحـان بن خـالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ... الأنصارية البخارية ..

شقيقة أم سليم بنت ملحان الصحابية الجليلة .. وخالة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ .. وزوجة الصحابي الجليل عبادة بن الصامت[1] ...

كانت رضي الله عنها من علية قومها في الحسب والنسب والمال .. وعند بزوغ الدعوة النبوية لدين الله عز وجل سارعت للإسلام ومبايعة رسول الله ﷺ ، وقد حَسُنَ إسلامها ، ودافعت عنه بكل إرادتها .. وقد هاجرت مع من هاجرن .. وحفظت عن النبي ﷺ الأحاديث الكثيرة وروت عنه ، وحدث عنها أنس بن مالك وغيره ..

كان رسول الله ﷺ يكرمها ويزورها في بيتها ، ويعيل عندها ، فقد كانت هي وأختها أم سليم خالتين لرسول الله ﷺ ، إما من الرضاع .. وإما من النسب ، لذا تحل له الخلوة بهما[2] ..

وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من طريق الموطأ لمالك ، عن إسحاق ابن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه قد روى [3] :

ــ أن النبي ﷺ ، كان إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان ، فتطعمه ، فدخل عليها فأطعمته ، وجلست تفلي رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك .. فقالت أم حرام :
ــ ما يضحكك يا رسول الله ؟..

---

(١) انظر أسد الغابة لابن الأثير (٥/٥٧٤) والإصابة لابن حجر (١٣/١٩٣) ، وكذلك في الطبقات لابن سعد (٨/٤٣٤ ــ ٤٣٥) .

(٢) انظر قول النووي رحمه الله في شرح الإمام مسلم (١٦/١٠) سبق .

(٣) الإصابة لابن حجر (١٣/١٩٣) وطبقات ابن سعد (٨/٤٣٤ ــ ٤٣٥) وأسد الغابة لابن الأثير (٥/٥٧٤ ــ ٥٧٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/٦١ ــ ٦٢) .

فقال رسول الله ﷺ :

ــ « ***ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة*** » ..

فقالت أم حرام رضي الله عنها :

ــ يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ..

فدعا لها .. ثم وضع رأسه .. فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك .

فسألته أم حرام :

ــ يا رسول الله ما يضحكك ؟

فقال رسول الله ﷺ :

ــ « ***عُرِضَ عليّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة*** » .

فقالت : يا رسول الله ، ادع اللهأن يجعلني منهم ..

فقال ﷺ :

ــ « ***أنت من الأولين*** » ..

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه :

فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، فلما جاز البحر ،

ركبت دابة وصرعتها فقتلتها ، وكانت تلك الغزوة (**غزوة قبرص**) **فدفنت** بقبرص ، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان رضي الله عنهم جميعاً[1] ..

وقد كان ذلك في سنة سبع وعشرين للهجرة[2] ..

ومما حدث به بعض التابعين[3] :

ـــ أنه أتى عبادة بن الصامت وهو بساحل حمص وهو في بناء له ومعه امرأته أم حرام ..

قال عمير :

ـــ فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ـــ « *أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا* » .

قالت أم حرام تسأل رسول الله ﷺ :

ـــ يا رسول الله أنا فيهم ؟..

ـــ *قال ﷺ : « أنت فيهم »* ..

---

(١) أخرجه البخاري في التعبير ، باب رؤيا النهار (٧٢/٨) ومسلم في الإمارة ، باب فضل الغزو في البحر برقم (١٩١٢) .

(٢) الإصابة لابن حجر (٢٢٣/٨) .

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٦٢/٢) .

يقول ثور : سمعتها تحدث به وهي في البحر .

ويقول هشام : رأيت قبرها ووقفت عليه بالساحل بقاقيس ..

وعن هشام بن الغاز ، قال[1] :

ـــ قبر أم حرام بن ملحان بقبرص ، وهم يقولون هذا قبر المرأة الصالحة ..

فرحم الله الصحابية الجليلة شهيدة البحر أم حرام بنت ملحان ورضي تعالى عنها وأرضاها وأسكنها فسيح جنانه ..

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٦٢/٢) . والإصابة لابن حجر (١٩٣/١٣) وأسد الغابة لابن الأثير (٥٧٥/٥) .

الصحابيّة

هند بنت عتبة

رضي الله عنها

آكلة الكبود

بطلة في الجاهلية والإسلام

الصحابيّة

هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة

رضي الله عنها

آكلة الكبود

بطلة في الجاهلية والإسلام

تقول هند لرسول الله ﷺ :

ـــ يا رسول الله .. الحمد لله الذي أظهر الدين الذي أختـاره لنفسـه .. لتنفعني رَحِمُكَ !.. يا محمد .. إني امرأةٌ مؤمنةٌ بالله مصدقة برسوله .. ثم كشفت عن نقابها وقالت : أنا هندُ بنتُ عتبة ..

هند بنت عتبة ... المبايعة الجليلة ، المسـلمة التقية الصـالحة ، التي طهرها الإسلام من الأحقاد الجاهلية ، لتصبح عظيمة الخطر ، وفي الإسلام كريمة الخير والعطاء ..

هي : هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية القرشية وأمها : صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقصي ...

وكانت هند بنت عتبة ذات صفات تميزها وترفع من قدرها بين نساء قومها والعرب ، فكان فيها الفصاحة والجرأة والثقة والحزم ، والرأي السديد ، وتقول الشعر وترسل الحكمة ، شامخة بأنفها معتزة بنسبها ونفسها ..

فقد قال فيها ولدها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

ـــ إنها في الجاهلية عظيمة الخطر ، وفي الإسلام كريمة الخير ..

ويصفها لنا الإمام ابن عبد البر قائلاً :

ـــ كانت هند امرأة لها نفس وانفة ..

ويمكن تقسيم حياة هند بنت عتبة الصحابية المبايعة الجليلة إلى ثلاث مراحل :

١ ـــ المرحلة الأولى في الجاهلية وهي زوجة فاكه بن المغيرة المخزومي ..
٢ ـــ المرحلة الثانية وهي مع زوجها الثاني أبو سفيان زعيم المشركين في مكة ...
٣ ـــ المرحلة الأخيرة في حياتها عندما دخلت دين الإسلام وبايعت محمد ﷺ لتصبح فيما بعد أم معاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين وأول الخلفاء الأمويين ...

ويروى عنها أنها كانت زوجة لفاكه بن المغيرة ، قد تعرضت يوماً لشك زوجها ، والطعن بكرامتها مع شخص آخر ...

فقد كان لزوجها بيت للضيافة يغشاه الناس بدون إذن .. وفي يوم خلا

بيت الضيافة من الناس ، جلست زوجته هند للراحة وقد خرج فاكه بن المغيرة لبعض حاجته ، وقد خلدت هند لبعض الراحة فاستغرقت في نوم ، عندها حضر باب الضيافة بعض الناس ممن كانوا يترددون عليهم وعندما وجد هند نائمة ارتد من فوره .. وفي تلك الأثناء عاد فاكه من حاجته فرأى الغلام خارج من الضيافة ، وهند مستغرقة في نوم عميق ، فأقبل عليها وضربها بقدمه يسألها عن الذي خرج من عنده ..

فقالت هند : لم أر أحداً يخرج من عندي ، ولا أنبهت حتى أنبهتني عنه .. فنفر منها زوجها وطردها إلى أمها ..

وعند ذلك كثر الكلام على هند من القوم وشاع عنها ما شاع ، فقرر زوجها ووالدها الاحتكام إلى بعض الكهان للفصل بينهما وكشف الحقيقة ..

وأخذ كل واحدٍ منهم وفداً من قومه .. وتوجهوا إلى أحد كهان اليمن المعروفين بالحكمة والفصل .. وحين شاهد الكاهن هند بنت عتبة جالسة مع بعض النسوة ، تقدم منها وقال لها :

ــ انهضي غير رسماء ولا زانية .. ولتلدن ملكاً يقال له معاوية ..

وهمَّ إليها زوجها فاكه معتذراً منها ، طالباً منها العودة معه إلى منزله ، فقالت له في شموخ وكبرياء :

ــ إليك عني فوالله لأحرص أن يكون ذلك الولد من غيركَ ..

والتفتت إلى أبيها عتبة وقالت له في غرور :

ــ إني امرأة قد ملكت أمري ، فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليَّ ..

فقال لها : لكِ ذلك ..

ويتقدم لها الخطاب من كل مكانٍ طمعاً بحسبها ونسبها وجمالها وفصاحتها ، طالبين القرب منها ... فيتقدم لها والدها عتيبة قائلاً لها :

ــ يا بنية .. قد خطبك مني اليوم رجلان من قومكِ ، ولست مسمياً لك واحداً منهما حتى أصفه لك ..

أما الأول : ففي الشرف العظيم ، والحسيب الكريم ، تخالين به هوجاً من غفلته وذلك اسجاج من شيمته ، حسن الصحابة ، حسن الإجابة ، إن تابعته تابعكِ ، وإن ملت كان معكِ ، تقضين عليه في ماله ، وتكتفين برأيك في ضعفه ..

وأما الآخر : في الحسب والنسب والرأي الأريب ، بدرٌ أرومته ، وعز عشيرته ، يؤدب أهله ولا يؤدبونه ، إن اتبعوه أسهل بهم ، وإن جانبوه توعسر بهم ، شديد الغيرة سريع الطيرة ، شديد حجاب القبة إن جاع فغير منزور وإن نوزع فغير مقهور ...

ولقد بينت لكِ يا بنية حال الاثنين ، فأيهما تختارين ..

فقالت هند :

ــ أما الأول فسيد مضياع لكريمته ، مؤاتٍ لها فيما عسى إن لم تعصم إن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت جنائها ، إن جاءت له بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ..

اطوِ ذكر هذا الرجل عني يا أبتي فلا تسمه لي ...

وأما الآخر : فبعل الحرة الكريمة ، إني لأخلاق هذا لوامقة، وإني له لموافقة ، وإني لآخذة بأدب البعل مع لزومي قبتي وقلة تلفتي ، وإن السليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته الزائد عن

كتيبتها ، المحامي عن حقيقتها الزائن لأرومتها غير مواكل ولا زميل عند ضعضعة الحوادث .. فمن هو ؟..

فقال والدها عتبة :

ـــ قد أحسنت الاختيار ، ذاك أبو سفيان بن حرب ..

فقالت له :

ـــ فزوجه ولا تلقي إليه إلقاء المتسلسل السلس ، ولا تسمه سوم المواطس الضرس ، استخر الله في السماء يخر لك بعلمه في القضاء[1]...

وبهذا تكون هند قد اختارت أصعب الأمور ، شامخة برأسها في أعالي القمم ، لاترضى بالسهل من الأمور ولا بالزوج الطيب البسيط الذي يكون ألعوبة في يدها ، بل تختار زوجاً لها يكون ذا شخصية تشابهها وكرامة عالية وقوة لامثيل لها ...

وتنتقل إلى بيت أبي سفيان لتدخل معترك الحياة السياسية بجانبه صفاً إلى صف في مكة وذلك خلال ظهور الدعوة الإسلامية ..

وعندما وقعت غزوة بدر وانتصر دين الإسلام على الجاهلية والوثنية ، تفجع هند بمقتل أبيها عتبة بن ربيعة الذي أطاح برأسه ورأس عمها شيبة .. سيف حمزة بن عبد المطلب .. كما أطاح سيف علي بن أبي طالب برأس أخيها الوليد بن عتبة .. إضافة لعدد من رؤوس قريش السادات كأبي جهل الذي قطع رأسه وقدم إلى رسول الله ﷺ ..

ولَّما علمت هند بمقتل أبيها وعمها وأخيها في غزوة بدر أقسمت ألا يقربها زوجها أبو سفيان حتى تثأر ويثأر معها لقتلاها .. وراحت ترثيهم مرَّ الرثاء ..

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/٢٣٥ ـــ ٢٣٦) .

وعندما مرت بسوق عكاز التقت بالخنساء فسألتها من تبكين يا هند ، فأجابت :

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتيبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمّار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

وبدأت هند وزوجها أبو سفيان بتحريض المقاتلين المشركين ، وتأجيج نار العداوة ضد الإسلام والمسلمين ، إلى أن اجتمع في مكة ما يقارب ثلاثة آلاف مقاتل ، كان أبو سفيان قائدهم ، وكذلك مائتا فارس بقيادة خالد بن الوليد ــ وكان ذلك قبل دخول خالد بن الوليد الإسلام ــ وتوجهت الحملة بكاملها نحو المدينة لمقاتلة جيوش رسول الله ﷺ ..

وقد حرضت هند عبداً وحشياً كان تابعاً لها يدعى وحشي ، ووعدته بالحرية إن قتل حمزة بن عبد المطلب وأخذ لها بثأرها .. وأخذت تؤجج في صدره نيران القتل غدراً وتقول له :

ــ إيه أبا دسمة.. أشفِ واشتفِ ...

وراحت هند تحرض القرشين على القتال في أرض المعركة بعد أن تزعمت فئة من النساء ، فأخذت النساء الدفوف يضربن عليها .. وهي ترتجز قائلة :

نحن بنات طارق
نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق
وإن تدبروا نفارق

وتردد أيضاً :

أيهـا نبـي عبـد الدار
ويهـا حمـاة الأديـار
ضربـاً بكـل بتـار[1]

وتسلل العبد الحبشي بين صفوف المقاتلين ، وبيده حربة مسنونة مشرعة في الهواء ، بينما كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بين صفوف المسلمين رجلاً لرجل وسيفاً لسيف .. وتشاء الأقدار أن تكون حربة العبد الحبشي المشحونة بحقد وكراهية هند وزوجها أبي سفيان ، هي طريق حمزة نحو الجنة ، ويقذفها حبشـي بكل قوة على ظهر حمزة غدراً دون أن يراه لتستقر طعنـة قاتلة مميتـة في سيد الشهداء حمزة ويخر على الأرض صريعـاً ، يتخبط بدمه ، وما هي إلا لحظات مع الموت حتى يستقر ساكناً وشهيداً في جنان الخلد ..

وتلحظ هند مقتـل حمزة عن بعدٍ وهي ترقب عبدها الوحشي .. فتقوم مسرعة وخلفها طابور من النسوة ، تشق طريقها بين جثث القتلى ، حتى وصلت إلى جثة حمزة بن عبد المطلب ، فأخذت تصيح صيحة الفرح ، لستنفر كل مخزون لديها من حقد مسموم ، وكل ما يختلج داخل صدرها من كراهية غريبة سوداء .. وسحبت خنجرها وانقضت على جثة الشهيد تمزقها بوحشية دموية ، فقطعت أنفه وأذنيه وقلعت عينيه وشقت صدره لتنتزع كبده ، وأخذت تلوكه بأسنانها والدماء تسيـل من فمهـا .. ولكنها لم تستطع بلعها فلفظتها على الأرض ، ثم علت على صخرة مشرفة قريبة وأخذت تنشد بأعلى صوتها :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٧٢) .

نحن جـــزينــــاكم يـــوم بــــدرِ
والحرب بعــد الحرب ذات سُعرِ
مــا كان من عتبــة لي من صـــبرِ
ولا أخي وعمــــــه وبكـــــري
شــفيت نفســـي وقضـيت نــذري
شــفيت وحشــي غليــل صــدري
فشـــكــر وحشـــي على عمــري
حــتى تــرمَّ أعظــمـي في قــبري[1]

وأزاحت إلى الطرف الآخر من الصخرة لتصرخ بأعلى صوتها :

شــفيتُ من حمـزة نفســي بــأحد
حــتى بقــرت بطنــه عن الكبــد
أذهب عــني ذاك مــا كنت أجــد
من لذعـة الحزن الشـديد المعتمد[2]

وهكذا باءت هند بلقب آذاها كثيراً ظل يتردد على ألسنة الناس حتى بعد أن أسلمت وهو لقب (آكلة الكبود) ..

وتمر الأيام .. لتقبل جيوش المسلمين إلى مكة بالفتح المبين ، وتشاء إرادة اللهعز وجل أن تتحول بطلة الجاهلية آكلة الأكباد إلى بطلة في الإسلام صحابية جليلة تلتزم بتعاليم المسلمين وتحافظ على دينها الجديد وتدافع عنه بكل بسالة ..

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٩٧) .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٩٨) .

ففي عشية ليلة فتح مكة ، عاد أبو سفيان بن حرب زوج هند بنت عتبة من عند رسول الله ﷺ وقد أنار الله قلبه بنور الإيمان وأشرق وجهه بلقاء النبي ﷺ .. وهو يصيح بأعلى صوته :

ـــ يا معشر قريش .. ألا إني قد أسلمت ، فأسلموا .. إن محمداً قد أتاكم بما لاقبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..

فقامت إليه زوجته هند وأخذت بشاربه وهي تردد :

ـــ بئس طليعة القوم أنت .. يا أهل مكة اقتلوا الحميت الدسم الأحمس ، قبح من طلعة قوم .

فقال أبو سفيان لمن تجمع حوله من القوم :

ـــ ويلكم .. لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالاقبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..

فقالوا له الناس :

ـــ قاتلك الله .. وما تغني عنا دارك ؟..

فقال أبو سفيان :

ـــ ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ..

فتفرق الناس من حوله وأخذ بعضهم إلى دوره هرباً ، وبعضهم إلى المسجد الحرام[1] ..

وفي صباح اليوم الثاني لفتح مكة .. حضرت هند إلى زوجها وقالت له :

ـــ إنما أريد أن أتابع محمداً .. فخذني إليه .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤٧/٤) .

فقال لها ، والفرحة تملأ عينيه من شدة ما سمع منها :

ــ قد رأيتك تكرهين هذا الحديث بالأمس .

فقالت له وقد ملأ الإيمان قلبها لشدة ما رأت ليلاً من المسلمين :

ــ إني والله لم أرَ أن الله قد عبد حق عبادته في هذا المسجد إلا في هذه الليلة ، والله إن باتوا إلا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً ..

فقال لها زوجها :

ــ فإنك قد فعلتِ ما فعلتِ .. فاذهبي برجل من قومك معك إلى رسول الله ﷺ ...

فذهبت إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه .. وطلبت منه أن يرافقها إلى رسول الله ﷺ .. حتى تعلن إسلامها أمامه ، ويقبل منها المسامحة عما اقترفت بحق عمه حمزة بن عبد المطلب ..

فذهب بها عثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ ، وكان معها بعض ممن أردن الدخول بدين الإسلام ، فدخلن على النبي ﷺ وقد كانت هند في المقدمة وهي متنقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة بن عبد المطلب ، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بفعلتها ، فقالت :

ــ يا رسول الله ... الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه ، لتنفعني رحمك يا محمد ، إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله ،..

ثم كشفت النقاب عن وجهها .. وقالت :

ــ أنا هند بن عتبة ..

فقال رسول الله ﷺ بتسامح كبير :

ـــ « ***مرحباً بكِ*** » ..

فقالت له وقد سرها تسامحه :

ـــ واللهما كان على الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يذلوا من خبائك ، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباءٍ أحبُّ إليَّ من أن يعزوا من خبائك ..

فقال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***وزيادة ، وقرأ عليهن القرآن وبايعهن*** » .

فطلبت هند منه ﷺ المصافحة باليد .. فقال لها :

ـــ « ***إني لا أصافح النساء ، أن قولي لمائة امرأة مثل قولي لامرأة واحدة*** »[1] .

فقال عليه الصلاة والسلام للنسوة المبايعات :

ـــ « ***تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً*** » ..

فقالت هند :

ـــ واللهإنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال ، وسنؤتيكه ..

وتابع عليه الصلاة والسلام :

ـــ « ***ولا تسرقن*** » ..

فقالت هند :

---

(١) الحديث صحيح ... أخرجه الموطأ في البيعة ، باب ما جاء في البيعة (٩٨٢/٢) وكذلك النسائي في البيعة باب بيعة النساء (١٤٩/٧) ، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٦/٨) . وتاريخ الطبري (٦٢/٣) .

ـــ يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك .. **فهل عليَّ من حرج أن** أصيب من طعامه من غير إذنه ؟

... (فرخص لها رسول الله ﷺ في الرطب ، ولم يرخص لها في اليابس)[1] ..

وتابع رسول الله ﷺ يعطيهم من آداب الإسلام قائلاً :

ـــ « ***ولا يزنين*** » ..

فقالت هند في غرور :

ـــ وهل تزني الحرة ؟..

قال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***ولا تقتلن أولادهن*** » .

فقالت هند في حسرة :

ـــ يا رسول الله .. قد ربيناهم صغاراً ، وقتلتهم يوم بدر كباراً ، **فأنت** وهم أعلم ..

فضحك عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قولها حتى بانت نواجذه ..

وتابع رسول الله ﷺ قائلاً :

ـــ « ***ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن*** » .

فقالت هند :

---

(١) أصل هذا الحديث صحيح وهو مخرج في الصحيحين ، وفيهما قوله ﷺ : « ***خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك*** » .

ـــ والله إن إتيان البهتان لقبيح .

وأنهى رسول الله ﷺ تعاليمه لهن بقوله :

ـــ « ***ولا تعصينني في معروف*** » .

فقالت هند :

ـــ يا رسول الله .. ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف(١) ..

وهكذا وقفت المبايعة المؤمنة هند بنت عتبة أمام رسول الله ﷺ ، بشخصيتها القوية المؤمنة ، وهي تحاور وتسأل وتراجع مستوضحة بعض تعاليم الإيمان من النبي ﷺ .

وعندما عادت إلى بيتها .. لحظت صنماً كبيراً في زاوية المنزل كانت تتعبد إليه وترجوه في بعض طلباتها .. فأخذت قدوماً وجعلت تضربه ضرباً قوياً حتى فلذته .. فلذة ، فلذة ، وهي تقول :

ـــ كنّا منك في غرور .. كنا منك في غرور(٢) ..

وتمر الأيام سريعاً لتزداد هند إيماناً وديناً وثقافة إسلامية وهي تنهل من تعاليم السنة الشريفة .. وتحفظ عن رسول الله ﷺ إلى أن كانت غزوة اليرموك ..

فجعلت تشترك المبايعة المؤمنة هند وزوجها أبو سفيان في تلك الغزوة الشهيرة ، وأبلت فيها البلاء الحسن .. وقد شوهدت وسط المعركة وهي تحرض المسلمين على القتال ضد الروم .. فتقول لهم بأعلى صوتها :

---

(١) في السيرة النبوية لابن كثير (٣/٦٠٢)·والطبقات الكبرى لابن سعد(٨/٢٣٧) والإصابة (٨/٢٠٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٢٣٧) والإصابة لابن حجر (٨/٢٠٦) .

ــ عاجلوهم بسيوفكم يا معشر المسلمين ..

ومما يروى أنه قيل لها :

ــ إن عاش ولدك معاوية ساد قومه ..

فتقول لهم بكل شموخ وكبرياء :

ــ ثكلته إن لم يسد قومه ــ .

وقد روت عن رسول الله ﷺ الأحاديث الكثيرة ، وكذلك روى عنها ابنها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ..

وفي السنة الرابعة عشرة للهجرة تقف هند بنت عتبة على عتبةِ الوداع لتفارق الحياة بعد أن أدت الرسالة وأسلمت وحسن إسلامها وشاركت مع العديد في نشر الدعوة الإسلامية وجاهدت في سبيل الله حق جهاده ..

فقد كانت كما وصفها ولدها معاوية بن أبي سفيان الذي أصبح خليفة للمسلمين مع مر العصور والذي قال فيها رضي الله عنه :

ــ إنها في الجاهلية عظيمة الخطر ، وفي الإسلام كريمة الخير ..

وأسلمت روحها الطاهرة المؤمنة لبارئها عز وجل في خلافة عمر بن الخطاب ، وفي نفس اليوم الذي مات به أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ..

فرضي الله عنها وأرضاها وأسكنها فسيح جنانه .. إنك سميع مجيب الدعاء .

الصحابية

الخنساء

رضي الله عنها

أم الشهداء

الحمد لله الذي شرفني بقتلهم

الصحابية

الخنساء
رضي الله عنها
أم الشهداء

كان رسول الله ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرها ،
وكانت تنشده وهو يقول لها :
ـــ « *هيه يا خناس ، ويوميْ بيده* » ..

تقول الخنساء لأبنائها ناصحة :
ـــ يا أبنائي : إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، وإنكم لبنو أبٍ واحد ، وأمٍّ واحدة ، ما هُجِّنتْ آباؤكم ، ولا فُضِحتْ أخوالكم ..

الخنساء : الصحابية الجليلة ، الأم المؤمنة الصابرة .. أم الشهداء .. شاعرة المراثي .. وصاحبة البطولة والوفاء ..

الخنساء هي : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح .. وينتهي نسبها إلى قبيلة مضر الشهيرة .. والتي كان يعتبرها رسول الله ﷺ حصن القبائل العربية ..

وقد سُميت تماضر لشدة بياض لونها .. وغلب عليها لقب الخنساء (وهو مؤنث أخنس) وهي صفة تعني تأخر الأنف عن الوجه ، أو انخفاض قصبته ..

قلما تجتمع الصفات الكثيرة التي جمعتها الخنساء في شخصيتها بإمرأة واحدة ، فقد جمعت المروءة والشهامة والإخلاص والبطولة .. إلى جانب أنها الأم الحنون التي رعت أولادها على حب الإيمان بالله عز وجل وحب الجهاد في سبيله تعالى .. وطاعة رسول الله ﷺ ..

وقد كانت شاعرة المراثي ، ذات جمالٍ بارع قلَّ مثيله بين نساء قومها .. لذا أصبحت محطَّ أنظار سادات وفرسان العرب كلهم ، إلى أن تقدم لخطبتها رواحة بن عبد العزيز السلمي ، وتزوجها وأنجبت منه أبناءً فرساناً كانوا محطَّ أنظار قومهم في الجاهلية .. ومثال فخر العرب والإسلام بعد الدعوة الإسلامية ..

وقد تفجر شعر الرثاء لدى الخنساء عندما قتل أخواها في الجاهلية قبل ظهور الدعوة الإسلامية ، (معاوية وصخر) فحزنت عليهما حزناً عميقاً ورثتهما رثاءاً مؤثراً ، إلى أن أصبحت أشهر شاعرة للرثاء على مر العصور والأيام ..

ومن أجمل ما قالته ترثي به أخاها صخراً .. قصيدة مطلعها :

يذكرني طلوع الشمس صخراً ... وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ومن أجمل ما قالته فيهم أيضاً :

أعيـــنيَّ جـــودا ولا تجمــــدا   ألا تبــكيــان لصخــر النــدى
ألا تبـكيــان الجريء الجميــل   ألا تبـكيــان الفــتى السيــدا

لذا اتفق شعراء عصرها على أنه لم يكن هناك امرأة أجزل شعراً من الخنساء ، كما أجمعوا على أن النساء يظهرن الضعف في أشعارهن .. إلا أن الخنساء قد فاقت الرجال في قول الشعر ، وخاصة الرثاء منه ..

وقد قيل لجرير مرة :

ـــ من أشعر الناس ؟

فقال :

ـــ أنا .. لولا الخنساء ..

وسئلت الخنساء مرة بعد مقتل أخويها :

ـــ صفي لنا أخويك صخراً ومعاوية ..

ـــ قالت : كان صخر والله جنة الزمان الأغبر ، زعاف الخميس الأحمر .. وكان والله معاوية القائل الفاعل ..

فقيل لها :

ـــ فأيهما كان أسنى وأفخر ..

قالت الخنساء :

ـــ أما صخر فحر الشتاء ، وأما معاوية فبرد الهواء ..

فقيل لها :

ـــ فأيهما أوجع وأفجع ..

فقالت :

ـــ أما صخر فجمر الكبد .. وأما معاوية فسقام الجسد ..

وأنشدت تقول :

أســـدان محمـــرا المخـــالب نجـــده بحـــران في الزمـن الغضـــوب الأنمر

وبعد ظهور الدعوة الإسلامية .. سارعت الخنساء إلى رسول الله ﷺ مع بعض قومها من بني سليم ، وقد بايعت رسول الله ﷺ على الإيمان بالله تعالى وسنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وأعلنت إسلامها وتبنيها لعقيدة التوحيد ، وحسن إسلامها حتى أصبحت رمزاً متألقاً من رموز البسالة ، وعزة النفس ، وعنواناً مشرفاً للأمومة المسلمة ..

وكان رسول الله ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرها ، وكانت تنشده ، وهو يقول :

ـــ « **هيه يا خناس** » **ويومي بيدها إليها**[1] ..

ويروى أنه حينَ قَدِمَ عدي بن حاتم مع أخته سفانة إلى النبي ﷺ ودخلا في دين الإسلام .. قال عدي لرسول الله ﷺ :

ـــ يا رسول الله.. إن فينا أشعر الناس .. وأسخى الناس ، وأفرس الناس ..

فقال ﷺ له :

ـــ « **سمهم** » ..

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٨/٦٦) .

فقال عدي :

ـــ أما أشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر ، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد الطائي يعني أباه ، وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب ..

فقال رسول الله ﷺ :

ـــ **« ليس كما قلت يا عدي .. أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو .. وأما أسخى الناس فمحمد ـــ يعني نفسه ـــ وأما أفرس الناس فعلي بن أبي طالب »** ..

وتشاء قدرة الله سبحانه وتعالى أن تمتحن الخنساء للمرة الثانية في أولادها الأربعة .. فنزاها تضرب لنا المثال الرائع للأم الشجاعة المؤمنة بالله تعالى .. وذلك عندما توجه المثنى بن حارثة الشيباني إلى القادسية ـــ وكان ذلك في عهد خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت الخنساء ومعها أولادها الأربعة في رفقة هذا الجيش ..

وفي أرض المعركة وليلة التمام الصناديد بعضهم ببعض جمعت الخنساء أولادها الفرسان الأربعة ، لتوجههم وتحرضهم على القتال ، وعدم الفرار من العدو ، وتحبب إليهم الاستشهاد في سبيل الله عز وجل ..

فقالت لهم كلمات كلها إيمان وشجاعة ، لاتزال تذكر إلى يومنا هذا .. قالت :

ـــ أيا بني انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين ، فأعدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطرمت لظى على سياقها ، وجللت ناراً على أوراقها ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عن احتدام خميسها ، تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة ..

وأخذ أولادها الأربعة نصيحة الأم المؤمنة الشجاعة ، بكل شجاعة وحماس.. وخرجوا من عندها قابلين لنصحها عازمين على قولها، متوكلين على الله تعالى ، فلما أصبح عليهم الصباح ، سارع كل منهم إلى مركزه مندفعين إلى لقاء العدو بكل شجاعة وإيمان وحماس وهم يرتجزون .. فقال أولهم :

يا إخوتي إنّ العَجوزَ النَاصحة
قد نصحتنا إذا دعتنا البارحة
بمقالةٍ ذاتِ بيانٍ واضحة
وإنّما تَلْقَوْن عندَ الصابحة
من آل ساسان كلاباً نابحة[٢]
قَدْ أيقنوا منكم بوقع الجائحة

(١) سورة آل عمران الآية /٢٠٠/ .

(٢) الإصابة لابن حجر (١٢/٢٢٥ ــ ٢٢٧) ــ آل ساسان : هم الفرس .

وأنتُــم بــين حيــاةٍ صــالحـة
أو ميتـــةٍ تــورث غنماً رابحـــة[1]

وتقدم ولدها الأول وقاتل بشجاعة باسلة حتى استشهد رحمه الله تعالى ..

ويتقدم أخوه الثاني لساحة القتال وهو يرتجز ، قائلاً :

إنّ العجــوزَ ذاتَ حَــزْمٍ وجَــلَدْ
والنــظــرِ الأوفقِ والرأيِ السَّـــدَدْ
وقـدْ أمَـرَتْنــا بـالسَّــدَادِ والرَّشَـدْ
نصــيحـــةً منهـــا وبَـرّاً بـالولدْ
فبـــاكروا الحـربَ حُمـاةً في العَـدَدْ
إمّــا لفــوزٍ بــاردٍ عـلى الكَبَــدْ
أو ميتَـــةٍ تُــورِثُكُــمْ عِــزَّ الأَبَـدْ
في جنّــةِ الفـردوسِ والعَيشِ الرَّغَدْ

وقاتل رحمه الله حتى استشهد في ساحة المعركة ..

ويتقدم الثالث وسط القتال مرتجزاً :

واللهِ لا نَعْصــي العَجُــوزَ حَــرْفَــا
قَــدْ أمَــرَتْنَـــا حَــدَبــاً وعَطْـفَــا
نُصْحــاً وبـراً صَــادَقــاً ولُطـفـا
فَبَــادِروا الحربَ الضَّــروسَ زَحْفَـا

(١) من هامش الإصابة في الاستيعاب لابن عبد البر (١٢/٢٩٥ ـــ ٢٩٧) .

حـتى تَـلُفُّـوا آلَ كِسْـرى لَفّـا
أو تكشـفوهـم عن حِمَـاكم كَشْفا
إنـا نرى التقصِـيرَ منكُـمْ ضَعْفا
والقتـلَ فيكُـمْ نجـدةً وزُلْفى

ويقاتل وسط القتال حتى يموت في سبيل الله شهيداً ..

ويتقدم رابعهم بكل شجاعة وعزم ويقاتل مرتجزاً يقول :

لسْتُ لخنسـاءَ ولا للأحْـزَم
ولا لعَمْـرٍ وذي السَّـعـاءِ الأقْدَم
إنْ لَمْ أرِدْ في الجيشِ الأعْجَـم
مـاضٍ على الهَوْلِ خِضَـمٌّ خِضْـرِم
إمّـا لِفَـوزٍ عَـاجِـلٍ مَغْـنَـم
أو لِوَفـاةٍ في سَبيـلِ الأكْرَم

فقاتل رحمه الله قتالاً مريراً ، حتى استشهد في سبيل الله ..

ولما بلغ الخنساء ، الأم المؤمنة الصابرة ، خبر مقتل أبنائها الأربعة ، لم تجزع ولم تندب ، بل كانت مثالاً للأم المؤمنة المجاهدة في سبيل الله عز وجل ، ومثالاً قـائماً ليومنا هذا لمن يقدم أبناءه للجهاد في سبيل الله .. بل قالت كلمات مشهورة .. بقي التاريخ يرددها وسيرددها إلى ما شاء الله :

(الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته) ..

وكان الخليفة عمر بن الخطاب يعرف فضل الصحابية المجاهدة الخنساء وكذلك فضل أولادها ، فما زال يعطيها أرزاق أولادها لكل واحدٍ مائتي درهم ، حتى قبض رضي الله عنه[1] ...

وبعد أن تسلَّم عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة ، رحلت الخنساء إلى البادية لتعيش كداعية للدين والإيمان .. وتعلم وتهذب الناس من تعاليم الرسول الكريم ﷺ إلى أن قبضت روحها الطاهرة في عام ٢٤ للهجرة[2] .. بعد أن كانت مثالاً للمرأة المجاهدة المؤمنة الشاعرة الفصيحة الناصحة ..

فرحمها الله تعالى ورضي عنها .. وأرضاها ، وأسكنها فسيح جنانه ..

(١) من هامش الإصابة في الإستيعاب لابن عبد البر (٢٩٨/١٢) .

(٢) من الإصابة لابن حجر (٦٦/٨ ــ ٦٧).

الصحابيّة

خولة بنت ثعلبة

رضي الله عنها

المرأة التي سمع الله شكواها

الصحابية

خولة بنت ثعلبة

رضي الله عنها

المرأة التي سمع الله شكواها

... ورفعت يديها إلى السماء ، وفي قلبها حزن وأسى ، وفي عينيها دموع وحسرة ، واتجهت إلى من لا يخيب من دعاه قائلة :

ــ اللهم إني أشكو إليك ما نزل بيّ !!..

فأنزل الله عز وجل آياته الكريمة بشأنها .. إذ قال :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

خولة بنت ثعلبة ... الصحابية الجليلة .. المبايعة المؤمنة ، الداعية الشاكية الباكية ، قد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، فأنزل بحقها آياته الكريمة ..

خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة ، بن غنم ، بن عوف ، .. من ربات الحسن والجمال والفصاحة والبلاغة وصاحبة النسب الرفيع .. فقد قدمت إلى رسول الله ﷺ وبايعته على الإيمان بالله تعالى وشهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله تعالى .. وقد أسلمت وحَسُنَ إسلامها ..

وقد كانت متزوجة من الصحابي الجليل أوس بن الصامت بن قيس ، أخو عبادة بن الصامت رضي الله عنهما ، وهو من شهد بدراً وأحداً وأغلب الغزوات مع رسول الله ﷺ .. وقد أنجبت منه زوجته خولة ولدهما (الربيع بن أوس) ..

ومما يروى[1] عن خولة بنت ثعلبة بأنها قد راجعت زوجها (أوس بن الصامت الواقفي) بشيء ما ، فاختلفا على أثر ذلك ، وغضب منها زوجها أوس .. فقال لها في عصبية وغضب :

ــ أنتِ عليَّ كظهر أمي ..

فقالت له زوجته خولة والدموع تنهل من عينيها لشدة ما سمعت منه :

ــ والله .. لقد تكلمت بكلام عظيم ، ما أدري مبلغُهُ ..

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨،٣٧٨) .

وخرج عنها زوجها والغضب يشع من عينيه وغادر المنزل إلى نادٍ يجتمع به القوم عادة للتشاور ببعض أمورهم ..

وعندما عاد زوجها إلى المنزل مساءً دخل على زوجته، يراودها عن نفسها، ولكن يقظة الضمير، وكبير إيمانها وكذلك حساسية الشعور عندها أبت أن توافقه حتى تعلم حكم الله تعالى في مثل قول زوجها الذي يحدث لأول مرة في تاريخ الإسلام ..

فقالت له وفي قلبها خوف، من الله تعالى .. وحسرة على زوجها :

ـ كلا .. والذي نفس خولة بيده، لاتخلصن إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا حكمه ..

وخرجت خولة حتى جاءت رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت من زوجها، وهي بذلك تريد أن تستفتيه وتجادله في الأمر، فقالت له :

ـ يا رسول الله .. إن أوساً مَنْ قد عرفت .. أبو ولدي، وابن عمي، وأحب الناس إليَّ، وقد عرفت ما يصيبه من اللَّممِ، وعجز مقدرته، وضعف قوته، وعي لسانه، وأحق من عاد عليه أنا بشيء إن وجدته، وأحق من عاد علي بشيء إن وجده هو .. وقد قال كلمة، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً..
قال : أنت علي كظهر أمي ..

فقال رسول الله ﷺ :

ـ *« ما أراكِ إلا قد حَرُمتِ عليه »* ..

وراحت المرأة المؤمنة الصالحة تعيد الكلام على رسول الله ﷺ ، وهي في كل مرة تشرح لرسول الله صلوات الله عليه ما ذكر لها زوجها .. إلا أن النبي ﷺ في كل مرة كان يقول لها :

ـــ « ما أراك إلا قد حرمت عليه » ..

وأزاحت الصحابية الجليلة المؤمنة الصابرة نفسها واتجهت نحو الكعبة المشرفة ، ورفعت يديها إلى السماء .. وفي قلبها حزن وأسى ، وفي عينيها دموع محصرة . وناجت من لايخيب للمؤمن دعوته . فقالت :

ـــ اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي . وما شقَّ عليَّ من فراقه ، اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج ..

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تصف لنا حالة خولة :

ـــ فلقد بكيت وبكى من كان منها ومن أهل البيت رحمةً لها ورقة عليها .. فبينما هي كذلك بين يدي رسول الله ﷺ تكلمه ، وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغطّ في رأسه ، ويتربد وجهه ، ويجد برداً في ثناياه ، ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان .. قالت عائشة :

ـــ يا خولة إنه لينزل عليه ما هو إلا فيكِ ..

فقالت خولة :

ـــ اللهم خيراً ، فإني لا أبغي من نبيك إلا خيراً ..

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :

ـــ فما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت أن نفسها تخرج فرقاً من أن تنزل الفرقة ..

فسري عن رسول الله ﷺ وهو يتبسم فقال :

ــ « يا خولة » ..

قالت : لبيك ، ونهضت قائمة فرحة بتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال :

ــ « قد أنزل الله فيك وفيه » ..

ثم تلا عليها رسول الله ﷺ الآيات الكريمة :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [(١)].

---

(١) سورة المجادلة ، الآية (١ ــ ٤) .

وأخذ رسول الله ﷺ يبين لها كفارة الظهار ... فقال لها :

ـــ « ***مُريهِ أن يعتق رقبةً*** » ..

فقالت له : وأي رقبة ؟.. واللهما يجد رقبةً ومالهُ خادم غيري ..

ثم قال ﷺ :

ـــ « ***مُريهِ فليصم شهرين متتابعين*** » ..

فقالت له : والله يا رسول الله ما يقدر على ذلك ، إنه ليشرب في اليوم كذا وكذا مرة ، قد ذهب بصره مع ضعف بدنه ، وإنما هو كالخرشافة[1] ..

فقال رسول الله ﷺ :

ـــ « ***فمريه .. فليطعم ستين مسكيناً*** » ..

قالت : وأنى له هذا ؟.. وإنما هي وجبة ..

قال صلوات الله وسلامه عليه :

ـــ « ***فمريه فليأتِ أمَّ المنذر بنت قيس ، فليأخذ منها شطرَ وسقٍ تمراً ، فيتصدق به على ستين مسكيناً*** » ..

ونهضت خولة رضي اللهعنها ، لتعود إلى زوجها ، فتجده جالساً جانب الباب ينتظرها ، فقال لها :

ـــ يا خولة ما وراءكِ ؟..

فقالت له والفرحة على وجهها :

---

(١) الخرشافة : هي تشبيه بالأرض الغليظة الجافة القاسية .

ـــ خيراً ، وأنت دميم ، قد أمرك رسول الله ﷺ أن تأتي أمَّ المنذر بنت قيس ، فتأخذ منها شطرَ وسقٍ تمراً فتصدق به على ستين مسكيناً !!..

فذهب زوجها أوس من عندها وهو يعدو إلى أم المنذر حتى جاء بالتمر على ظهره .. فجعل يطعم مُدَّين من تمرٍ لكل مسكين[1] ..

وقد قالت في هذا السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها[2] :

ـــ الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ ، تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾

فرضي الله تعالى عنكِ أيتها الصحابية الجليلة المؤمنة ، التي رباها الإسلام على الإيمان بالله تعالى وحبّ رسوله الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم .. لنجدك تقفين أمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واعظة ناصحة داعية ، تذكرينه بدين الإسلام

---

(١) راجع قصة المجادلة لخولة بنت ثعلبة مفصلة في المستدرك للحاكم (٤٨١/٢) ، وكذلك في مسند الإمام أحمد (٤٦/١) ، والنسائي في النكاح باب الظهار (١٦٨/٦) ، وعند الإمام البخاري في التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ وفي تفسير سورة المجادلة عند السادة المفسرين لكتاب القرآن الكريم .. وذكرت كذلك في طبقات ابن سعد (٣٨٠/٨) بنحوه .

(٢) سورة المجادلة الآية (١) ، وقول عائشة في البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً ، باب قوله تعالى : ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ (١٦٧/٨) ، وفي النسائي في النكاح ، باب الظهار (١٦٨/٦) .

والمعاملة الإسلامية الصحيحة .. وذلك عندما قالت له :

ــ يا عمر .. عهدتكَ وأنتَ تسمى عميراً في سوق عكاظ ترعى الصبيان بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين .. فاتقِ اللهِ في الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ..

وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه ، واقف أمامها ، يسمع كلامها في إمعان وقد أحنى إليها رأسه صاغياً إليها .. وقد كان برفقته أحد مرافقيه وهو الجارود العبدي ، فلم يستطع صبراً لما قالته خولة لأمير المؤمنين .. فقال لها في غضب :

ــ قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين .

فقال عمر بن الخطاب رضي اللهعنه :

ــ دعها .. أما تعرفها ؟.. هذه خولة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، وعمر أحق والله أن يسمع لها ...

وفي رواية أنه قال أيضاً رضي الله عنه :

ــ والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ، ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها ..

فرضي الله تعالى عنك أيتها الصحابية الجليلة المؤمنة الداعية التي خشيت اللهسبحانه وتعالى من ظهار زوجك وقد أثبتِ قوله ﷺ أنه لا طاعة لمخلوق في

معصية الخالق .. حتى كرمك الله تعالى وأنزل بحقكِ على رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه سورة المجادلة ..

فقد كنتِ خير امرأة مجادلة لرسول الله ﷺ في سبيل الحفاظ على زوجك وبيتكِ .. وكنتِ خير ناصحة واعظة داعية لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

فرحمك الله تعالى ورضي عنك .. وأسكنكِ فسيح جنانه[1] ...

(١) لم نتأكد من تثبيت سنة وفاتها ومدفنها ، وذلك لإغفاله في أغلب كتب السيرة .

الصحابيّة

الرُّبيّع بنت مُعوّذ

رضي الله عنها

المبشّرة بالجنّة

الصحابيّة

الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ

رضي الله عنها

المبشّرة بالجنّة

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

الربيع بنت معوذ .. الصحابية الجليلة ، المؤمنة الداعية ، المبايعة تحت الشجرة ، بيعة الرضوان ، مبايعة على الموت ...

الربيع بنت معوذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد .. الأنصارية النجارية .. وأمها : أم يزيد بنت قيس بن زعواء بن حرام ابن جندب .. بن النجار ...

الربيع ، المؤمنة المبايعة .. من السابقات الأوائل إلى دين الإسلام ، فقد كانت صادقة في إيمانها ... وصلبة في عقيدتها .. وصاحبة الرأي السديد ، إذ كانت مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة فبايعته بيعة الرضوان وكان ذلك سنة ستٍ للهجرة في عام الحديبية عندما خرج رسول الله ﷺ في شهر ذي العقدة معتمراً إلى مكـة .. وكان ﷺ لايريد حرباً ويخشى من قريش أن يعرضوا له بحربٍ ، أو يمنعوه عن زيارة البيت المقدس .. فقد خرج رسول الله ﷺ ومعه صحبه من المهاجرين الأنصار ومن بينهم الصحابية الجليلة الربيع بنت معوذ .. وقد كان محرماً لتأمن قريش من حربه ..

وعندما وصل رسول الله ﷺ إلى الحديبية .. دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كي يرسله إلى مكة .. فيبلغ أشراف قريش بحضورهم .. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ــ يا رسول الله .. إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عـدي بن كعب أحـد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إيـاهـا ، وغلظتي عليها ، ولكني أدلُّك على رجلٍ أعز مني ، عثمان بن عفان ..

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان .. وأرسله إلى أبي سفيان في مكة ليبلغه بأن رسول الله ﷺ ومن معه جاءوا زائرين لهذا البيت ، وليسوا محاربين ..

فخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه متجهاً إلى مكة فلقيه (أبان بن سعيد بن العاص) حين دخل مكة فأجاره عنده حتى تمكن من تبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى أشراف مكة ..

وعندما طال غياب عثمان بن عفان رضي الله عنه في العودة إلى رسول الله ﷺ ، كثرت الشائعات والأقاويل حتى بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن عفان قد قتل في مكة ، فقال ﷺ حين بلغه هذا :

ـــ « لانبرحُ حتى نناجز القوم » ..

فدعا رسول الله ﷺ من معه من المهاجرين والأنصار إلى ظل شجرة حتى يبايعهم ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون :

ـــ بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ..

وبعد مرور فترة بسيطة يعلم رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان ابن عفان وقتله باطل[1] ..

وقد فازت الربيع بنت معوذ رضي الله عنها ومن معها من الصحابة الأكارم فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة برضى من الله عز وجل الذي ذكرهم في كتابه العزيز فقال :

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2]

وكذلك نالَ من بايع تحت الشجرة شرف البشارة من رسول الله ﷺ إذ قال :

---

(١) راجع ما جاء عن بيعة الرضوان بنحوه في السيرة لابن هشام (٣٠٨/٢) (٣١٥/٢ ـــ ٣١٦)

(٢) سورة الفتح ، الآيات (١٨ و١٩) .

ـ « *إنه لايدخلُ النارَ إن شاءَ اللهُ من أصحاب الشجرةِ أحدٌ الذين بايعوا تحتها* »[1] ..

والربيع بنت معوذ رضي الله عنها من الصحابيات الجليلات اللائي رباهن الإسلام على الإيمان وحب الله عز وجل ورسوله الكريم عليه صلوات الله وسلامه .. فكانت لها المشاركة الفعالة في الدعوة الإسلامية وكذلك تأدية الواجب الإسلامي في بناء مجتمع متماسك متين .. وكان كل ذلك ضمن دائرة الحدود التي شرعها الإسلام لها .. وقد روت عن النبي ﷺ الحديث .. وروى عنها بعض التابعين ..

وقد سألت يوماً عن رسول الله ﷺ ، فعن ابن عبيدة بن محمد أنه قال للربيع بنت معوذ يوماً :

ـ صفي لنا رسول الله ﷺ ..

فقالت له الربيع رضي اللهعنها ..

ـ يا بني .. لو رأيته لرأيت الشمس طالعة[2] ..

وروت لنا الربيع بنت معوذ رضي الله عنها صفة وضوء النبي ﷺ .. قالت :

ـ كان رسول الله ﷺ يأتينا ، فحدثتنا أنه قال :

ـ « *اسكبي لي وضوءاً* » ..

فذكرت وضوء رسول الله ﷺ فقالت فيه :

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة برقم /٤٤/ باب فضائل أصحاب الشجرة .

(٢) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٨/٨٠) .

ـــ فغسل كفيه ثلاثاً ، ووضأ وجهه ثلاثاً ، ومضمض واستنشق مرة ، ووضأ يديه ثلاثاً ثلاثاً ، ومسح برأسه مرتين .. يبدأ بمؤخر رأسه ثم بمقدمه ، وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما ، ووضأ رجليه ثلاثاً ثلاثاً(١) ..

وتقول الربيع أنه جاء رسول الله ﷺ حينما تزوجت .. فدخل بيتي وجلس على فراشي .. فجعل جويرات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائهن يوم بدر ، إذ قالت إحداهن ...

ـــ وفينا نبي يعلم ما في غد .

فقال لها رسول الله ﷺ :

ـــ *« دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين »*(٢) ..

وكانت رضي الله عنها متزوجة من (إياس بن البكير) من بني ليث ، فولدت له (محمداً بن إياس) .. وفي يوماً جرى بينها وبين زوجها خلاف ونزاع ، فعلمت أن الحياة معه صعبة ولايمكن الاستمرار فيها .. فقالت له :

ـــ لكَ كل شيء لي وفارقني ..

فقال لها زوجها إياس :

ـــ قد فعلت ..

تقول الربيع رضي الله عنها ..

---

(١) ذكر في مسند أبي داوود (٣١/١) باب صفة وضوء النبي ﷺ ، وقال : وهذا معنى حديث مسدد .

(٢) أخرجه البخاري في النكاح ، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة (١٣٧/٦) ، وأبو داوود في الأدب ، باب النهي عن الغناء برقم (٤٩٢٢) . والترمذي في النكاح ، باب ما جاء في إعلان النكاح برقم (١٠٩٠) .

ـــ فدفعت له كل شيء غير درعي ، فخاصمني إلى عثمان بن عفان ..

فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : (وكان أميراً للمؤمنين) ..

ـــ له شرطه يا ربيع ..

فدفعته له حسب رغبة أمير المؤمنين[1] ..

وشاركت رضي الله عنها مع المسلمين بالجهاد في سبيل الله عز وجل كثيراً .. فكانت تغزو مع المسلمين ، وتقوم بسقاية القوم وخدمتهم وكذلك نقل القتلى والجرحى إلى المدينة .. وكذلك تساعد أبطال الجيش الإسلامي في الميدان فيما يمدهم ويشجعهم للقتال في سبيل الله عز وجل ..

وكذلك نجدها رضي الله عنها سرعان ما تنقلب إلى فارسة شجاعة إذا ما اقتضى الأمر مشاركتها في القتال .. فنشاهدها ترمي أعداء الله في نحورهم وترد عليهم كيدهم رداً[2] ..

وهكذا عاشت الصحابية الجليلة الربيع بنت معوذ رضي الله عنها مثالاً يفتخر به للمرأة المسلمة في تقواها وبرها .. وعلمها وجهادها في سبيل الله عز وجل حتى أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة /٤٥/ للهجرة ..

وانتقلت إلى جوار ربها راضية مرضية .. بعد أن أدت دورها في الإسلام ، وكانت مثالاً يفتخر به .. فرضي الله عنها ورحمها .. وأسكنها فسيح جنانه ..

---

(١) في طبقات ابن سعد (٤٤٧/٨) والإصابة لابن حجر (٨٠/٨) .

(٢) راجع حديث مشاركتها في الجهاد .. أخرجه البخاري ونقله عن العسقلاني في الإصابة (٨٠/٨) .

الصحابيّة

أُمّ معبد

رضي الله عنها

واصفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الصحابيّة

أُمُّ مَعْبَد

رضي الله عنها

واصفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

جَزَى اللهُ ربُّ النّاس خَيْرَ جَزائِهِ
رَفِيقَيْنِ قَالاَ خَيْمَتي أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلا بالبرِّ واغْتَدَيا بِهِ
فقدْ فازَ مَنْ أمسى رفيقَ مُحَمّدِ

أم معبد : الصحابية الجليلة ، المؤمنة الفصيحة ، صاحبة البلاغة في وصف النبي ﷺ .

أم معبد : عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة الخزاعية الكعبية[1] ..

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٥/٤٩٧) .

قال ابن سعد في طبقاته[1] : أم معبد هي التي نزل عندها رسول الله ﷺ ، حين هاجر من مكة إلى المدينة ..

ويُؤذَنُ لرسول الله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة ، وقد أعد المشركون عدتهم باقتراح من أبي جهل أن تختار كل قبيلة شاباً منها لضرب رسول الله ﷺ بحيث يضيع دمه بين القبائل كلها ..

ولكن الله عز وجل قد حفظ النبي ﷺ وصحبه من أذاهم ، ويخرج للهجرة بصحبة الصديق أبي بكر إلى غار في جبل الثور ، وقد بقيافيه ثلاثة أيام قبل أن يرحلا باتجاه يثرب ، وبصحبتهما عامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط ، وقد لحقت بهم شبان قريش ولكن دون أن يصيبوهم بأي أذى...

ويسير الركب المبارك باتجاه يثرب ، تحت أشعة الشمس الحمراء المتحلقة في كبد السماء ، ورمال الصحراء تكاد تنفجر لهباً وشراراً ..

ويلمح رسول الله ﷺ خيمة بعيدة قد نصبت فوق الرمال في وسط الصحراء .. فيتجه إليها مع صحبه للراحة واتقاء الحر والتزود .. وتشاء الأقدار أن تكون هذه الخيمة المنتصبة في الفلاة هي خيمة أم معبد .. وكانت قد نصبت خيمتها في هذا المكان مع زوجها لاستضافة الركبان وكسب إعطياتهم ..

وفي رواية لابن عبد البر عن حبيش بن خالد ـــ أخو أم معبد ـــ صاحب رسول الله ﷺ وهو يصف لنا وصول موكب رسول الله ﷺ إلى خيمة أم معبد ومعجزته معها ، فيروي لنا قائلاً[2] :

---

(١) في طبقات ابن سعد (٢٨٨/٨) ـــ ٢٨٩) .

(٢) راجع الاستيعاب لابن عبد البر (٢٩١/١٣ ـــ ٢٩٨) .

أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً هو وأبو بكر ، ومولى أبي بكر ابن فهيرة ، ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط ، مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة[1] ، تحتبي بفناء القبة ، ثم تسقي وتطعم ، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مُرْملين مُسْنتين[2] ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة ــ أي جانبها ــ فقال ﷺ :

ــ *« ما هذه الشاة يا أم معبد » ؟..*

ــ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ..

فقال ﷺ :

ــ *« هل بها من لبن » ؟..*

ــ قالت : هي أجهد من ذلك !..

فقال عليه الصلاة والسلام :

« أتأذنين لي أن أحلبها » ؟..

ــ قالت : نعم .. بأبي أنت وأمي ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها ..

فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله تعالى ، ودعا لها في شاتها فتفاجّتْ عليه ، ودرت واجترت .. ودعا بإناء يربض الرهط ــ أي يسقيهم ــ فحلب بها ثجاً ــ كثيراً سائلاً ــ حتى علاه البهاء ــ الرغوة ــ ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم !.. ثم أراضوا

---

(١) برزة : تبرز للناس في حشمة وأدب . وجلدة : أي صاحبة شخصية قوية .

(٢) المرمل المسنت : الذي أصابته السنة ، أي : الجدب والقحط .

ـــ شربوا مرة بعد مرة ـــ ثم حلب ثانياً فيها بعد ذلك حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، وبايعها ، وارتحلوا عنها ..

فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً ، يتساوكن هزالاً ضعافاً ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب !.. وقال :

ـــ من أين لكِ هذا اللبن يا أمَّ معبد ؟.. والشاة عازب حيال[1] ولا حلوب في البيت ..

قالت أم معبد :

ـــ لا والله .. إلا أنه مَرَّ بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا ..

فقال لها زوجها متعجباً :

ـــ صفيه لي يا أمَّ معبد ..

فقالت أم معبد تصف رسول الله ﷺ :

ـــ رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجهِ ، حَسَنَ الخَلْقِ ، لم تعبه ثجلة[2] ، ولم تزر به صلعة[3] ، وسيم قسيم ، في عينيهِ دعج[4] ، وفي أشفاره عطف[5] ، وفي عنقه سَطَعٌ[6] ، وفي لحيته كَثَاثَةٌ ، أزجُّ أقرن ، إن صمتَ فعليه الوَقارُ ، وإن تكلم سما وعَلاهُ البهاءُ ، أجملَ الناس

---

(١) العازب : البعيد عن المرعى ، والحيال : ليس فيه حمل .

(٢) الثجلة : عظم البطن واسترخاؤه .

(٣) تزربه : لم تُعِبْهُ . الصلعة : صغر الرأس .

(٤) دعج : شدة سواد العين .

(٥) العطف : طول أهداب العين .

(٦) السطع : الطول .

وأبهاه من بعيد ، وأحسنَهُ وأجمله من قريب ، حِلْوَ المنطق ، فصل ، لا نَزَرَ وهَذْرَ ، كأنّ منطقه خرزاتُ نظمٍ يتحدَّرنَ ، ربعة ، لابائن من طولٍ ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصنٌ بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود[1] محشود ، لاعابس ولا مفيد !..

فقال لها زوجها أبو معبد :

— هو والله صاحب قريشٍ الذي ذكر لنا من أمره ما ذُكِرَ بمكة ، ولقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً ..

فأصبحَ صوتٌ بمكة عالٍ يسمعون الصوت ولايدرون من صاحبه، وهو يقول :

جـزى اللهُ ربُّ النّـاسِ خـيرَ جزائـه
رفيقـين حَـلاّ خيمـتي أُمِّ معبـدِ
هُمَـا نـزلاهـا بـالهدى فـاهتـدتْ بـهِ
فقـدْ فـازَ مَن أمسـى رفيقَ مُحّمـدِ
فيـا لَقُـصيّ مـا زوّى اللهُ عنـكُـمُ
بـهِ منْ فعـالٍ لا تُجازى وسُؤددِ
ليَـهـنِ بـني كعبٍ مقـامَ فتـاتِهـم
ومقعـدَهـا للمؤمنـين بَمْـرصَـدِ

---

(١) محفود : أي مخدوم .

سَلُوا أختكم عن شاتِها وإنائِها
فإنّكُمُ إنْ تسألوا الشاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بشاةٍ حائلٍ فتحلّبتْ
عليهِ صريحاً ضَرّة الشاةِ مُزيدِ

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت شبب يجاوب الهاتف فقال :

لقدْ خابَ قومٌ غابَ عنهم نبيّهم
وقدسَ مَنْ يَسْري إليهِ ويغتدي
ترَحَّلَ عن قومٍ فضلّتْ عقولُهم
وحلَّ على قومٍ بنورٍ مُجَدَّدِ
هَدَاهُمْ بهِ بعدَ الضلاّلةِ رَبُّهُمْ
وأرْشَدَهم ، مَن يتّبعِ الحقَّ يَرْشُدِ
وهلْ يستوي ضلالُ قومٍ تسفَّهوا
عمى وهُداةً يهتدون بمهتَدِ
لقد نزلتْ منهُ على أهل يثربِ
ركابُ هُدىً حَلّتْ عليهم بأسْعَدِ
نبيٌّ يرى مالا يَرى النّاسُ حَوْلَهُ
ويَتلوا كتابَ اللهِ في كل مَشهد
وإنْ قالَ في يومٍ مقالةَ غائبٍ
فتصديقُها في اليوم أو في ضُحَى الغَدِ
ليَهْنِ أبا بكرٍ سعادةَ جَدّهِ
بصحبتِهِ منْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

لَيَهْنِ بني كَعبٍ مقَامَ فتاتِهم
ومقْعَدها للمؤمنين بِمَرصَدِ[1]

وكانت السرية التي أرسلتها قريش تطوي الأرض تحت أقدام الخيل بعد أن سمعت خبر المنادي وعلمت وجهة رسول الله ﷺ ... فاستمرت تسابق الريح حتى بلغت خيمة أم معبد .. فنزل الرجال عن مطاياهم وانطلقوا إلى أم معبد والشر يقدح من عيونهم .. وسألوها :

ــ *أين محمد يا أم معبد ؟..*

فخافت أم معبد على رسول الله ﷺ منهم .. فردت عليهم قائلة :

ــ تسألونني عن أمر ما سمعت به قبل عامي هذا ..

ــ إنك تعلمين أين ذهب ..

ــ ما أدري ما تقولون ..

وألقوا عليها في السؤال ثانية ، بعد أن بان على وجههم الغدر .. فقالت :

ــ لئن لم تنصرفوا عني لأصرخن في قومي عليكم ..

كان شباب قريش الكفار يعلمون أنها في عزٍ من قومها ، وكانت دارها على طرف طريق قومها ، لكأنما كانت حارسة الطريق ، فلو أنها أطلقت نداءً واحداً لخفوا لنجدتها بأسلحتهم ولآذوهم قبل أن يسألوها ما الخبر .. فآثروا أن ينقلبوا إلى أهلهم وقد أطرقوا الرؤوس من أن يخوضوا قتالاً قد تطاح فيه رؤوسهم ..

وما هي إلا أيام قليلة حتى جمعت أم معبد حاجياتها وأعدت العدة بصحبة

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٣٧٧/١ ــ ٣٧٨) دون البيتين الأخيرين من قصيدة حسان بن ثابت وبعض أبيات القصيدة الأولى في طبقات ابن سعد (٢٨٨/٨) .

زوجها ، لتلحق برسول الله ﷺ .. وفي المدينة المنورة ، أرض الهجرة والسلام أسلما وبايعا ودخلا في حمى الإسلام ..

وقد ذكر بأن أم معبد ـــ عاتكة بنت خالد الخزاعية ـــ قد دخلت التاريخ الإسلامي ، من خلال فصاحتها وبلاغتها ودقة وصفها للنبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، الذي ظل محفوظاً إلى يومنا هذا ..

وتذكر بعض الروايات .. أنه سئل مرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

ـــ ما أبلغ وصف قيل في رسول الله ﷺ ..

فقال علي كرم الله وجهه مجيباً :

ـــ أجمل وأبلغ وصف قيل في رسول الله ﷺ ما ذكرته أم معبد الخزاعية ..

ـــ وكيف لم يصف أحد النبي ﷺ كما وصفته أم معبد ..

فردّ كرم اللهوجهه بحكمته المعهودة :

ـــ *لأن النساء* يصفن بأهوائهن .. فيجدن في صفاتهن ..

فرحم الله ورضي عن الصحابية الجليلة ، الفصيحة البليغة ، واصفة النبي ﷺ .. أم معبد ـــ عاتكة بنت خالد الخزاعية ...

الصحابيّة

أم كلثوم بنت عقبة الأموية

رضي الله عنها

المهاجرة الماشية

الصحابية

أم كلثوم بنت عقبة الأموية

رضي الله عنها

المهاجرة الماشية

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾

قال رسول الله ﷺ :

— « والله مـا أخرجكنّ إلا حبُ الله ورسـوله والإسلام ، وما خرجتُنّ لزوجٍ ولا مال » ..

أم كلثوم .. الصحابية الجليلة .. المؤمنة المهاجرة الماشية ، المبايعة رسول الله ﷺ على الإيمان ..

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس القرشية الأموية ..

وأمها : أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.
وأم كلثوم أخت عثمان بن عفان من أمها أروى ..

ما من امرأة في قريش بلغت في جرأتها ما وصلت إليه أم كلثوم بنت عقبة .. فقد كانت المرأة الجريئة القوية الشديدة التي تحملت تبعات أهلها وحصارهم لها وكذلك ملاحقتها في سبيل ردها عن دينها وعودتها إلى أرض مكة .. ولكن كل ذلك دون جدوى ..

أسلمت أم كلثوم رضي الله عنها في مكة وهي محاطة بسوار محكم من أهلها وذويها المشركين قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وبايعت نبي الله عليه الصلاة والسلام على الإيمان بالله تعالى فحسن إسلامها وقد حافظت عليه وتكتمت عليه سراً إلى أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ..

وكان على الصحابية المؤمنة أم كلثوم أن تقرر وتختار .. إما البقاء بين أهلها والافتتان في دينها ، وإما المغامرة والهروب من بين أهلها الأشداء للهجرة نحو المدينة والالتحاق بالنبي ﷺ وبقية المؤمنين ..

لكن حبَّ أم كلثوم رضي اللهعنها لدين الإسلام الحنيف وكذلك حبها لرسول الله ﷺ دفعها لاختيار الهجرة نحو المدينة والهروب بدينها ..

ورغم العيون المراقبة لها .. وحصارها دون الدخول والخروج ، وجميع المخاطر التي حولها ، خرجت ليلاً من مكة متسللة نحو الجبال متجهة نحو المدينة وهي ماشية دون مطية تعينها على أعباء السفر أو زاد وماء يقيها جوع الرحيل ..

وبطريق المصادفة اجتمعت برجل من خزاعة فعاهدها على الإخوة واصطحبها معه نحو المدينة .. وما أن وصلت إلى أرض المدينة وشاطئ الأمان وظنت بنفسها أنها قد انتهت من متاعبها حتى علمت بأن أخويها الوليد وعمارة قد انطلقا خلفها من مكة إلى المدينة وذلك لردها إلى أهلها ..

ويتقدم الوليد وعمارة من النبي ﷺ يطلبون منه إعطاؤهم أم كلثوم لردها إلى أهلها في مكة وذلك حسب الاتفاق الجاري بينهم في هدنة الحديبية ، فقال لرسول الله ﷺ :

ـ يا محمد إفِ لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه !..

فقامت أم كلثوم وكلها جرأة وحماس .. وقالت :

ـ يا رسول الله أنا امرأة .. وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت !.. فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ، ولا صبر لي(١) ..

وسمع الله عز وجل ورسوله الكريم طلب أم كلثوم وقولها فأنزل بحقها وحق من شابهها من النساء آياته الكريمة في سورة الممتحنة القائل فيها عز وجل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣٢٥/١ ـ ٣٢٦) ، وطبقات ابن سعد (٢٣٠/٨) .

(٢) سورة الممتحنة الآية (١٠) .

﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾

فامتحنها رسول الله ﷺ بأمر الله عز وجل .. وكذلك امتحن النساء المهاجرات بعدها ، فكان يقول عليه الصلاة والسلام :

ــ « ***والله ما أخرجكنّ إلا حبُّ اللهِ ورسوله والإسلام ، وما خرجتُنّ لزوجٍ ولا مال*** » ..

فإذا قلن ذلك تُرِكْنَ وحُبِسْنَ ، فلم يُرْدَدْنَ إلى أهليهنَّ ...

فقال رسول الله ﷺ للوليد وعمارة ابني عقبة :

ــ « ***قد نقض الله العهد في النساء بما قد علمتماه ، فانصرفا*** »!..

وبقيت الصحابية الجليلة أم كلثوم في المدينة المنورة تحت ظل الإسلام تنهل من تعاليم وفيض النبوة الكريمة ، إلى أن تقدم لخطبتها زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، فعقدت عليه .. ولم تمضِ فترة طويلة على زواجها حتى خرج زوجها زيد للجهاد في سبيل الله يوم مؤتة .. واستشهد فيها ..

وبعد فترة من الزمن مع انقضاء عدتها يتقدم إليها الزبير بن العوام .. فتزوجته وولدت له زينب ، وكان في الزبير شدة على النساء .. فلم تطق أم كلثوم ذلك وكانت له كارهة ، فسألته الطلاق .. فطلقها ..

ثم يتقدم لخطبتها عبد الرحمن بن عوف فتزوجته وأنجبت له إبراهيم وحميداً .. وقد مات عنها عبد الرحمن ..

وتزوجها عمرو بن العاص بعد أن أمضت عدتها لوفاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فمكثت عنده شهراً وانتقلت بعدها إلى الرفيق الأعلى راضية مرضية ..

الصحابية المؤمنة أم كلثوم وقد انتقلت إلى جوار ربها راضية مرضية ، مؤمنة صالحة طائعة فقد أسلمت بالله عز وجل وهاجرت مشياً على الأقدام .. وأنزل فيها قرآن يتلى .. ورفع به حكم جائر عن الإسلام .. قد غادرت دنياها بأمان وسلام راضية عن دينها ونبيها ..

فرحمها الله ورضي عنها وأسكنها فسيح جنانه ..

الصحابيّة

أسماء بنت يزيد الأنصاريّة

رضي الله عنها

خطيبة النساء

الصحابيّة

أسماء بنت يزيد الأنصاريّة

رضي الله عنها

خطيبة النساء

قال الله تعالى عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول رسول الله ﷺ عن أسماء لأصحابه :

ـ « هلْ سمعتم مقالةَ امرأةٍ أحسنَ سؤالاً عن دينها من هذه » ؟..

أسماء بنت يزيد : الصحابية الجليلة ، المجاهدة المؤمنة ، صاحبة العقل والدين والفصاحة والبلاغة ..

أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن عبد الأشهل ابن الحارث الأنصارية الأوسية الأشهلية ..

امتازت الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد رضي اللهعنها برهافة الحس ونبل المشاعر ورقة العاطفة ، وكذلك فهي المحدثة الفاضلة ، والمجاهدة في سبيل الله عز وجل ، وتعتبر من ذوات العقل والدين والخطابة حتى لقبت بخطيبة النساء ..

وقد تخرجت أسماء كغيرها من فتيات الإسلام ، من مدرسة النبوة الكريمة ، تنهل من تعاليم دين الإسلام الصحيح ، لاتعرف الخضوع في القول ، ولا الهبوط في المستوى ، ولا تقبل الضيم والذل .. بل كانت الفتاة الشجاعة الثابتة ، المجاهدة ، التي قدمت لبنات جنسها نماذج رائعة في شتى الميادين ..

وفدت رضي الله عنها على رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة ، وبايعته بيعة الإسلام ، وقد كان النبي صلوات الله عليه وسلامه يبايع النساء بالآية الكريمة الواردة في سورة الممتحنة ..

وتقول السيدة أسماء رضي الله عنها عندما حضرت لتبايع الرسول صلوات اللهعليه وسلامه :

ـــ أتيت النبي ﷺ لأبايعه ، فدنوت وفي يدي سوارين كبيرين من الذهب ، فبصر ﷺ ببصيصهما وقال :

ـــ ***« ألقي السوارين يا أسماء ، أما تخافين أن يسورك الله بأساور من نار » ؟..***

فما كان منها رضي اللهعنها إلا أن سارعت وبدون أي تردد أو جدال لتنفيذ أوامر الرسول ﷺ ، فنزعتهما وألقتهما ولم تعد تدري من أخذهما[1] ..

وأخذت بعد ذلك الصحابية الجليلة تستمع إلى أحاديث الرسول الشريف ، وتنهل من تعاليم النبوة الفاضلة ، وهي تسأله عن دقائق الأشياء والأمور كي تتفقه في أمور دينها .. وهي التي سألت رسول الله ﷺ عن طريق تطهر المرأة من حيضها ، واعتبرت ذلك حق وطهارة دون أن تستحي في هذا الأمر .. ولذلك قال عنها ابن عبد البر :

ـــ كانت أسماء بنت يزيد من ذوات العقل والدين[2] ..

وقد أنابت رضي الله عنها عن نساء المسلمين مرة في مخاطبة الرسول ﷺ ، وذلك فيما يتعلق بأمر يخصهن .. فأتته ذات مرة وقالت له :

ـــ يا رسول الله .. إني رسول من ورائي جماعة من نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولي ، وهن على مثل رأيي .. إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معاشر النساء مقصورات مخذرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد في سبيل الله عز وجل .. وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم ، وربينا أولادهم ، وغزلنا أثوابهم ، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟..

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وقال :

ـــ **« هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه » ؟ ..**

---

(١) حلية الأولياء للأصبهاني (٧٦/٢) .

(٢) في الإستيعاب لابن عبد البر (٢٢٣/٤) .

فقالوا : لا يا رسول الله ..

فقال رسول الله ﷺ لأسماء رضي الله عنها :

ــ « ***انصرفي يا أسماء ، وأعلمي من وراءكِ من النساء أن حُسْنَ تبعلِ إحداكنَّ لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كلَّ ما ذكرتِ للرجال*** » ..

فانصرفت أسماء رضي الله عنها .. فرحة ، وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قاله لها رسول الله ﷺ(١) ..

وتمر السنون .. ولا تزال المؤمنة الصالحة تُعَلِّمُ ما تعلمتهُ من فيض النبوة الخالد ، مخلصة لدينها .. تروي عن النبي الكريم ﷺ ما سمعته منه وما تعلمته ، إلى أن أقبلت السنة الثالثة عشرة للهجرة بعد وفاة النبي صلوات الله وسلامه عليه .. وكانت معركة اليرموك العصيبة الشديدة ..

وفي هذه المعركة اشتركت المرأة المسلمة بنصيب وافر من الجهاد كما يذكر ذلك الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية وهو يتحدث عن المجاهدين المؤمنين ، فيقول :

ــ فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قاتلت النساء من وراءهم أشد القتال ..

وكذلك قال أيضاً :

ــ واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة ، وجعلت خولة بنت ثعلبة رضي اللهعنها تقول :

---

(١) نفسه ..

يا هارباً من نسـوة تقيات
فعن قليـل ما ترى سبيـات
ولا حصيـات ولا رضيـات

وقال أيضاً :

ـــ وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم ، وقتلن خلقاً كثيراً من الروم ، ولكن يضربن من انهزم من المسلمين حتى يرجع إلى القتال(1) ..

وكان لأسماء بنت يزيد رضي الله عنها في هذه المعركة العظيمة الدور البارز والهام ، مع الجيش الإسـلامي بصحبة النسوة المؤمنات المجاهدات ـــ فكانت تسعى جاهدة كي تناول السلاح وتسقي الماء ، وتضمد الجراح ، وتشد من عزائم الأبطال المسلمين ..

ولكن عندما تأزمت المعركة ، وحمي الوطيس ، واحمرت الحدق ، حينئذٍ نسيت أسماء رضي الله عنها أنها أنثى ، ولم تتذكر إلا أنها مسلمة مؤمنة تستطيع أن تجاهد بما في وسعها وطاقتها ، وبدأت تبحث عن سلاح لمحاربة الأعداء ، فلم تجد أمامها إلا عمود خيمة .. فحملته وانغمرت ضمن صفوف المجاهدين ، وأخذت تضرب به أعداء الله من ذات اليمين وذات الشمال حتى قتلت به تسعة من الروم ..

ويذكر لنا الإمام ابن حجر عنها ، فيقول :

ـــ هي أسماء بنت يزيد بن السكن ، شهدت اليرموك ، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها .. وعاشت بعد ذلك دهراً(2)..

---

(١) لمزيد من الأقوال في مواقف النساء المؤمنات المجاهدات في معركة اليرموك .. راجع أقوال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/٧ ـــ ١٤) .

(٢) *الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني* (٢٢٩/٤) .

وقد خرجت أسماء رضي اللهعنها من تلك المعركة المجيدة وفي نهايتها ، بعد أن أثقلت الجراح كاهلها .. فقد أخذت نصيبها من طعنات السيوف والرماح وفي كافة أنحاء جسدها .. ولكن قدرته سبحانه وتعالى شاءت أن تعافى هذه الصحابية المجاهدة من جراحها .. لتعود ثانية كي تمارس دورها الفعال في الدعوة الإسلامية ..

وروت أسماء بنت يزيد عن رسول الله ﷺ واحداً وثمانين حديثاً .. وكذلك روى عنها ابن اختها محمود بن عمرو الأنصاري ، وأبو سفيان مولى ابن أحمد ، وعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن ثابت الصامت الأنصاري ، ومجاهد بن جبير .. وغيرهم ..

وكذلك روى عنها أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة ومهاجر بن أبي مسلم ، وشهر بن حوشب ..

وقد أمدَّ الله في عمر هذه الصحابية المؤمنة الجليلة لسنة الثلاثين من الهجرة ، أي بعد سبعة عشرة عاماً من جهادها في معركة اليرموك .. بعد أن قدمت للأمة الإسلامية خير مثال للمرأة الصالحة المؤمنة المجاهدة ..

فرحم الله أسماء بنت يزيد ، وأكرم مثواها بما قدمت لنا من خير العمل والطاعة والدين ، وبما روت لنا عن رسول الله ﷺ .. فرضي اللهعنها ورحمها .. وأرضاها خير رضائه ..

الصحابية

عاتكة بنت زيد القرشية

رضي الله عنها

الجميلة الحسناء

الصحابية

عاتكة بنت زيد القرشية

رضي الله عنها

الجميلة الحسناء

أعاتِكُ لا أنساكِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وما ناحَ قمري الحمام المطوّقُ
أعاتِكُ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... إليكِ بما تُخفي النفوس معلّقُ

عاتكة بنت زيد : الصحابية الجليلة ، المبايعة المهاجرة ، الحسناء الجميلة ، ذات خلقٍ بارعٍ وخُلُقٍ كريم ..

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية ..

وهي ابنة عم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

أسلمت عاتكة رضي الله عنها بمكة ، مبايعة رسول الله ﷺ على الإسلام والإيمان بالله تعالى ، كما بايعتْهُ النسوة المؤمنات بالله عز وجل .. وبعد هجرته ﷺ ، هاجرت إليه في المدينة المنورة ، وذلك كي تتابع رسالتها في الإسلام وتنهل من تعاليم النبوة الكريمة الصافية ..

تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، بعد تجربة حب عارمة بينهما، وهام بها هياماً شديداً وأصبح لايستطيع البعد عنها.. وذلك كونها صاحبة جمال فائق ، وحسن لايضاهى ، ورقة في المشاعر ، وعذوبة في الأنوثة . . . ليس لها مثيل ، وقد كان يزيد على ذلك بأنها كانت بليغة وفصيحة في القول والشعر والرثاء ..

وبهذه الصفات التي جمعتها عاتكة بنت زيد رضي الله عنها ، جعلت زوجها عبد الله بن أبي بكر يتعلق بها ويهيم بها هياماً شديداً ، حتى بلغ به ذلك أن يُنسيه موعد الصلاة ، وتشغله عن مغازيه وغير ذلك ..

وقد أثر ذلك على نفس أبيه أبي بكر الصديق رضي اللهعنه ، فطلب منه أن يطلقها ، ويعود إلى دينه وغزواته .. ولم يخالف عبد الله أمر والده فطلقها كارهاً ، ولكن حبه لها ظل قائماً ولم يمتْ .. وقد أنشد قائلاً :

يَقُولونَ طَلِّقها وخيِّمْ مكانها ... مقيماً تُمَنّي النفس أحلامَ نائمِ
وإنَّ فِراقي أهلَ بيتٍ جمعتهم ... على كثرةٍ مني لإحدى العَظائمِ
أراني وأهلي كالعَجُولِ تروّحت ... إلى بَوِّها قبلَ العِشار الرّوائمِ

ويروى أن أبا بكر كان يصلي ذات ليلة على سطح داره .. وفي هدأة الليل وسكونه سمع صوت ولده عبد اللهوهو ينشد في الظلام ، وقد لفه حزن عميق .. يقول :

أعَاتِكُ لاأنساكِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وما ناحَ قِمْريُّ الحمام المطوّقُ
أعَاتِكُ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... إليكِ بما تُخْفي النفوس معلّقُ
ولم أرَ مِثْلي طلّقَ اليومَ مِثْلَها ... ولا مثلُها في غير جُرْمٍ تُطلّقُ
لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأيٌ ومنصبٌ ... وخَلْقٌ سَويٌّ في الحياء ومصدقُ

وحين سمع ذلك أبو بكر الصديق رضي اللهعنه .. رق قلبه وأشفق على ولده ، وأمره بإرجاعها .. فصرخ على الفور ولده عبد الله فرحاً :

ــ أشهدك أني قد راجعتها ..

ومن شدة فرحه أعتق غلامه أيمن إكراماً وحباً لزوجه عاتكة .. وقام يجري على الفور نحوها وهو ينشد طرباً :

أعـاتِكُ قـدْ طُـلّقتِ في غـيرِ رِيبـةٍ ... ورُوجِعْتِ للأمـرِ الذي هـو كائنُ
كـذلكَ أمــرُ اللهِ غــادٍ ورائحٍ ... عـلى النّـاس فيـه أُلفـةٌ وتبـاينُ
ومـا زالَ قـلبي للتفـرّقِ طـائراً ... وقـلبي لمـا قدْ قَرَّبَ اللهُ سـاكِنُ
لَيَهْنِـكِ أني لا أرى فيـه سَخطـةً ... وأنّكِ قـد تمّتْ عـليكَ المحـاسِنُ
وأنّكِ مِمّـن زيّنَ اللهُ وَجْهَـهُ ... وليسَ لِوَجْهِ زانَـهُ اللهُ شـائِنُ(1)

وبعد أن راجعها عبد الله بن أبي بكر وأقام عندها كانت غزوة الطائف ، فخرج من معه بصحبة رسول الله ﷺ .. وأثناء المعركة رُميَّ بسهم .. فاستشهد رضي الله عنه ، وعندما علمت زوجته عاتكة باستشهاده راحت ترثيه ، فأنشدت تقول :

رُزِئتُ بخـير النـاس بعـد نبيهـم ... وبعـد أبي بكـرٍ ومـا كان قصرا
فـآليتُ لا تنفـكُّ عيـني حزينـةً ... عـليك ولا ينفـكَ جـلدي أغـبرا
فـللهِ عيـنـا من رأى مثـله فـتى ... أكرمَ وأحمى في الهيـاجِ وأصـبرا
إذا شـرعتْ فيـهِ الأسنّـةُ خاضها ... إلى المـوتِ حتى يترِكَ الرمحَ أحْمَرا(2)

---

(1) في الاستيعاب لابن عبد البر (١٣/٧٥ ــ ٧٦) ، وأسد الغابة لابن الأثير (٥/٤٩٨) .

(2) أسد الغابة لابن الأثير (٥/٤٩٨) .

وفيما أخرج لنا ابن سعد بسند حسن[1] عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب :

كانت عاتكة تحت عبد الله بن أبي بكر ، فجعل لها طائفة من ماله على أن لاتتزوج بعده، ومات .. فأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عاتكة أن قد حرّمت ما أحلَّ الله لكِ ، فردّي إلى أهله المال الذي أخذتهِ ، ففعلت ، فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتزوجها[2] .

وأقامت عاتكة رضي الله عنها عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فترة من الزمن إلى أن قتل في وحشة الظلام ، بطعنة من خنجر مسموم ..

ومن جديد يطل وجه المأساة الأسود ليغلف عاتكة مرة أخرى ، ولتفجع بالقدر وهو يصوب سهامه إليها .. وقد حزنت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حزناً عميقاً ، ورثته في أكثر من قصيدة شعرية بليغة .. منها قولها :

عين جودي بعبرةٍ ونحيب لاتملي على الإمام النجيبِ
قلْ لأهل الضراء والبؤس موتوا قَدْ سَقَتْهُ المنونُ كأس شعوبِ[3]

وقولها أيضاً :

(١) الإصابة لابن حجر (١٣/٣٤) .

(٢) تذكر إحدى الروايات أن الذي تزوجها بعد عبد الله ، هو زيد بن الخطاب وكان من حظه العاثر أيضاً أن أصابه قدر عاتكة فتركها بعد أن استشهد يوم اليمامة ..

(٣) أسد الغابة لابن الأثير (٥/٤٩٨) .

من لنفس عادها أحزانها ولعين شفها طول السهدْ
جسدٌ لفف في أكفانه رحمةَ اللهِ على ذاكَ الجسدْ

ومما يذكر أنه لما خطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وطلب منها الزواج ، قد اشترطت عليه أن لايضربها ولا يمنعها من الحق ولا الصلاة في المسجد النبوي(١) .. وكان لها كما طلبت رضي اللهعنها ..

كانت عاتكة رضي اللهعنها ما أن تخلع عنها ثياب الحداد ، وترتدي ثياب الفرح ، حتى تجد نفسها من جديد مرتدية لثياب الأحزان ، فهل يعقل أن تكون حياتها سلسلة من الفواجع ، قد قدِر لها فيها أن تشهد على ختام أزواجها ..

ومن جديد يتقدم لخطبتها الزبير بن العوام .. فترتدي ثياب البهجة والفرح .. لتعيش في حياتها الزوجية الجديدة .. حياةً هانئة إسلامية طائعة تقية ليس لها مطلب في الحياة سوى أن تعيش في الستره والإيمان كغيرها من النسوة وتنجب أطفالاً تفاخر بهم الحياة مستقبلاً ..

ولكن الأقدار شاءت ، وأبت عليها من جديد ألا تحظى بما تتمناه ، وما هو إلا زمن قصير على زواجها حتى غادرها زوجها الزبير كي يشترك في معركة وادي السباع بين مكة والبصرة .. ويستشهد في سبيل الله عز وجل فيها ..

وتعود عاتكة من جديد إلى لباس الحزن القاتل .. وإلى رثاء زوجها الحبيب ، فأنشدت تقول :

غَدَرَ ابنُ جَرموزٍ بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معردِ
يا عميرو لو نبهته لوجدته لاطائشاً رعش الجنان ولا اليد

---

(١) الإصابة لابن حجر (٣٤/١٣) .

كم غمـرة قـد خـاضهـا لم يثنـهِ عنهـا طـرادك يـا ابن فقـع القـردد
ثكـلتـك أمك إن ظفـرت بمثـله ممن مضى ممن يـروح ويغـتـدي
والله ربك إن قتـلـت مسـلمـاً حَـلّت عـليك عقـوبـة المتعمدٌ

وما أن تنتهي من عدتها رضي الله عنها ، وتعود ثانية للباس الحزن والأسى والقدر المكتوب ، حتى يتقدم لخطبتها أمير المؤمنين : علي بن أبي طالب كرم الله وجهـه .. فرفضت الزواج منه إشفاقاً عليه من الموت المحتم لكل من يتزوجها .. فقالت له :

ــ يا أمير المؤمنين : أنت بقية الناس ، وسيد المسلمين ، وإني أنفس بك عن الموت ..

فـأعرض عنهـا أمـير المـؤمنـين علي بن أبي طالب كرم اللهوجهـه ، ولم يتزوجها ..

وقد اشتهرت عاتكة بنت زيد رضي الله عنها بأن كل من يقترب منها لابد له من الموت أو الشهـادة .. لهذا قال عنها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي اللهعنه :

ــ من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة ..

وكم كانت تعاني رضي اللهعنها من هذا القول الذي شاع عنها .. وقد ثبت ذلك حين تقدم لها الحسين بن علي وتزوجها .. وسارت معه إلى أرض كربلاء وشهدت مقتله وذبحه واستشهاده بأم عينيها .. وقد كانت أول من رفع خده عن التراب ولعنت قاتله .. وبعد استشهاده أخذت ترثيه كما رثت وودعت أزواجها السابقين .. فقالت :

وحسيناً فلا نسيتُ حُسيناً أقصدته أسنة الأعداءِ
غادروهُ بكربلاءِ صريعاً جادت المزن في ذرى كربلاءِ

وقد تقدم لخطبتها كثيرون من الصحابة الكرام .. لكنها بعد مقتل زوجها الحسين قد أعرضت عن الزواج نهائياً ، متفرغة لطاعة الله عز وجل ، مؤدية لتعاليم الإسلام التي نهلتها من مدرسة النبوة الكريمة .. إلى أن أسلمت روحها الطاهرة إلى بارئها ، راضية مرضية ..

فرحمها الله تعالى ورضي عنها وأرضاها .. وأسكنها فسيح جنانه .

خاتمة

وبهذا أختم هذه الرحلة ... راجياً أن تكون ممتعة، ومفيدة، على أن حياة الجيل الأول أكثر غنى وأعمق غوراً، وما قدمناه فإنما هو مجهود المقل ...

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ تفاسير القرآن الكريم للسادة المفسرين .

٣ ــ شرح صحيح مسلم (عبد القاضي عياض) ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٤ ــ صحيح مسلم ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٥ ــ صحيح البخاري ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٦ ــ سنن أبي داوود ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٧ ــ سنن ابن ماجه ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٨ ــ سنن الترمذي ــ إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٩ ــ سنن النسائي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٠ ــ البداية والنهاية لابن كثير ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١١ ــ تاريخ الطبري ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

١٢ ــ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

١٣ ــ الطبقات الكبرى لابن سعد ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

١٤ ــ الحاكم في معرفة الصحابة ــ للمستدرك ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

١٥ ــ أسد الغابة لابن الأثير ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

١٦ ــ السمط الثمين للمحب الطبري ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

١٧ ــ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهوري ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

١٨ ـــ المحبر لابن حبيب ـــ دار الآفاق الحديثة ـــ بيروت .
١٩ ـــ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت .
٢٠ ـــ السيرة النبوية لابن هشام ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت .
٢١ ـــ عيون الأثر لابن سيد الناس ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت .
٢٢ ـــ الإستيعاب ـــ ابن عبد البر ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت .
٢٣ ـــ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت .
٢٤ ـــ سير أعلام النبلاء للذهبي ـــ دار النفائس ـــ بيروت .
٢٥ ـــ مجمع الزوائد للهيثمي ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت .
٢٦ ـــ كنز العمال ـــ الشركة العربية المتحدة ـــ دمشق .
٢٧ ـــ تهذيب التهذيب ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت .
٢٨ ـــ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ـــ ذخائر العرب ـــ القاهرة.
٢٩ ـــ السيرة الحلبية ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت .
٣٠ ـــ الروض الأنف ـــ الشركة العربية المتحدة ـــ دمشق .
٣١ ـــ شذرات الذهب ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت .
٣٢ ـــ اللؤلؤ والمرجان ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت .
٣٣ ـــ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ابن منظور)ـــ دار الفكر ـــ دمشق .
٣٤ ـــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـــ إسماعيل العجلوني ـــ إحياء التراث العربي ـــ بيروت .
٣٥ ـــ أعلام النساء لعمر رضا كحالة ـــ دار الفكر ـــ بيروت .
٣٦ ـــ لسان العرب لابن منظور ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت .
٣٧ ـــ نسب قريش من جمهرة أنساب العرب ـــ ابن الكلبي ـــ ط العظم .
٣٨ ـــ محمد رسول الله والذين معه ـــ عبد الحميد السحار ـــ دار مصر للطباعة ـــ القاهرة .
٣٩ ـــ سيدات بيت النبوة ـــ د. عائشة عبد الرحمن ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت .

٤٠ ــ علي إمام المتقين ــ الشرقاوي ــ دار الأضواء ــ بيروت .
٤١ ــ الترجمة العربية لكتاب الرسول (بودلي) ــ الدراسات العربية ــ بيروت .
٤٢ ــ حياة صحابيات الرسول ــ الشيخ خالد عبد الرحمن العك ــ دار الألباب ــ دمشق .
٤٣ ــ مختصر رياض الصالحين للنبهاني ــ د. بسام حمامي ــ دار دانية ــ دمشق .
٤٤ ــ المئة الأوائل من النساء ــ سليمان بواب ــ دار الحكمة ــ دمشق .

الفهارس